القول السديد

شرح منظومة

هداية الرشيد إلى معرفة العدل والتوحيد

تأليف

المولى العلامة

الحسين بن يحيى بن الحسين بن محمد

أيده الله تعالى

مكتبة أهل البيت (ع)

تم الصف والإخراج والتحقيق بـ:

مكتبة أهل البيت (ع)

اليمن ـ صعدة ـ ت(531580)

6

مقدمة مكتبة أهل البيت (ع)

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

وبعد:

فاستجابة لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ**﴾ [الأنفال:24]، ولقوله تعالى: ﴿**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران:104]، ولقوله تعالى: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾ [الشورى:23]، ولقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب:33]، ولقوله تعالى: ﴿**إنما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ**﴾[المائدة:55].

ولقول رسول الله ÷:((إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض))، ولقوله ÷: ((أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى))، ولقوله ÷: ((أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء))، ولقوله ÷: ((من سرّه أن يحيا حياتي؛ ويموت مماتي؛ ويسكن جنة عدن التي وعدني ربي؛ فليتول علياً وذريته من بعدي؛ وليتولّ وليه؛ وليقتد بأهل بيتي؛ فإنهم عترتي؛ خُلقوا من طينتي؛ ورُزقوا فهمي وعلمي)) الخبر- وقد بيّن ÷ بأنهم علي، وفاطمة، والحسن والحسين وذريّتهما %، عندما جلّلهم ÷ بكساءٍ وقال: ((اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)) -.

استجابةً لذلك كلّه كان تأسيس مكتبة أهل البيت(ع).

ففي هذه المرحلة الحرجة من التاريخ؛ التي يتلقّى فيها مذهب أهل البيت(ع) مُمثلاً في الزيدية، أنواعَ الهجمات الشرسة، رأينا المساهمة في نشر مذهب أهل

البيت المطهرين صلوات الله عليهم عَبْر نَشْرِ ما خلّفه أئمتهم الأطهار % وشيعتهم الأبرار رضي الله عنهم، وما ذلك إلا لثِقَتِنا وقناعتنا بأن العقائد التي حملها أهل البيت(ع) هي مراد الله تعالى في أرضه، ودينه القويم، وصراطه المستقيم، وهي تُعبِّر عن نفسها عبر موافقتها للفطرة البشرية السليمة، ولما ورد في كتاب الله عزّ وجل وسنة نبيّه ÷.

واستجابةً من أهل البيت صلوات الله عليهم لأوامر الله تعالى، وشفقة منهم بأمة جدّهم ÷، كان منهم تعميدُ هذه العقائد وترسيخها بدمائهم الزكيّة الطاهرة على مرور الأزمان، وفي كلّ مكان، ومن تأمّل التاريخ وجَدَهم قد ضحّوا بكل غالٍ ونفيس في سبيل الدفاع عنها وتثبيتها، ثائرين على العقائد الهدَّامة، منادين بالتوحيد والعدالة، توحيد الله عز وجل وتنزيهه سبحانه وتعالى، والإيمان بصدق وعده ووعيده، والرضا بخيرته من خَلْقِه.

ولأن مذهبهم صلوات الله عليهم دينُ الله تعالى وشرعه، ومرادُ رسول الله ÷ وإرْثُه، فهو باقٍ إلى أن يرث الله الأرض ومنْ عليها، وما ذلك إلا مصداق قول رسول الله ÷: ((إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)).

قال والدنا الإمام الحجّة/ مجدالدين بن محمد المؤيدي(ع): (واعلم أن الله جلّ جلاله لم يرتضِ لعباده إلا ديناً قويماً، وصراطاً مستقيماً، وسبيلاً واحداً، وطريقاً قاسطاً، وكفى بقوله عزّ وجل: **﴿وَأَنَّ هَـذَا صِـرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ**

سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [الأنعام:153].

وقد علمتَ أن دين الله لا يكون تابعاً للأهواء: **﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾** [المؤمنون:71]، **﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾**[يونس:32]، **﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾** [الشورى:21].

وقد خاطبَ سيّد رسله ÷ بقوله عز وجل: **﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ112وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ 113﴾** [هود]، مع أنه ÷ ومن معه من أهل بدر، فتدبّر واعتبر إن كنتَ من ذوي الاعتبار، فإذا أحطتَ علماً بذلك، وعقلتَ عن الله وعن رسوله ما ألزمك في تلك المسالك، علمتَ أنه يتحتّم عليك عرفانُ الحق واتباعه، وموالاة أهله، والكون معهم، **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾** [التوبة:119]، ومفارقةُ الباطل وأتباعه، ومباينتهم **﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾** [المائدة:51]، **﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾** [المجادلة:22]، **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾** [الممتحنة:1]، في آيات تُتْلى، وأخبار تُمْلى، ولن تتمكن من معرفة الحق وأهله إلا بالاعتماد على حجج الله الواضحة، وبراهينه البيّنة اللائحة، التي هدى الخلق بها إلى الحق، غير معرّج على هوى، ولا ملتفت إلى جدال ولا مراء، ولا مبال بمذهب، ولا محام عن منصب، **﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾**) [النساء:135][1].

وقد صَدَرَ بحمد الله تعالى عن مكتبة أهل البيت(ع):

1-الشافي، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) 614هـ، مذيّلاً بالتعليق الوافي في تخريج أحاديث الشافي، تأليف السيد العلامة نجم العترة الطاهرة/ الحسن بن الحسين بن محمد رحمه الله تعالى 1388هـ.

2-مَطْلَعُ البُدُوْرِ وَمَجْمَعُ البُحُوْرِ في تراجم رجال الزيدية، تأليف/ القاضي العلامة المؤرّخ شهاب الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال رحمه الله تعالى، 1029هـ - 1092هـ.

---

[1] (?) – التحف الفاطمية شرح الزلف الإمامية.

20-الوافد على العالِم، تأليف/ الإمام نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم الرسي(ع) - 246 هـ.
21- الهجرة والوصية، تأليف/ الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم الرسي(ع).
22-الجامعة المهمة في أسانيد كتب الأئمة، تأليف/الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) 1332هـ - 1428هـ.
23-المختصر المفيد فيما لا يجوز الإخلال به لكلّ مكلف من العبيد، تأليف/ القاضي العلامة أحمد بن إسماعيل العلفي رضي الله عنه ت 1282هـ.
24-خمسون خطبة للجمع والأعياد.
25-رسالة الثبات فيما على البنين والبنات، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) ت614هـ.
26-الرسالة الصادعة بالدليل في الرد على صاحب التبديع والتضليل، تأليف/ الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) 1332هـ - 1428هـ.
27-إيضاح الدلالة في تحقيق أحكام العدالة، تأليف/ الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) 1332هـ - 1428هـ.
28-الحجج المنيرة على الأصول الخطيرة، تأليف/الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) 1332هـ - 1428هـ.
29-النور الساطع، تأليف/ الإمام الهادي الحسن بن يحيى القاسمي(ع) 1343هـ.
30-سبيل الرشاد إلى معرفة ربّ العباد، تأليف/ السيد العلامة محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد(ع)1010هـ - 1079هـ.
31-الجواب الكاشف للالتباس عن مسائل الإفريقي إلياس - ويليه/ الجواب الراقي على مسائل العراقي، تأليف/ السيد العلامة الحسين بن يحيى بن الحسين بن محمد حفظه الله تعالى.
32-أصول الدين، تأليف/الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين(ع)245هـ - 298هـ.
33-الرسالة البديعة المعلنة بفضائل الشيعة، تأليف/ القاضي العلامة عبدالله بن زيد العنسي رحمه الله تعالى - 667هـ.
34-العقد الثمين في معرفة رب العالمين، تأليف الأمير الحسين بن بدرالدين محمد بن أحمد(ع) 663هـ.
35-الكامل المنير في إثبات ولاية أمير المؤمنين(ع). تأليف الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي (ع) 246هـ.
36-كتابُ التَّحْرِيْر، تأليف/ الإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسَين الهاروني(ع) - 424هـ.
37-مجموع فتاوى الإمام المهدي محمد بن القاسم

كما شاركت مكتبة أهل البيت(ع) بالتعاون مـع مؤسسـة الإمام زيد بن علي(ع) الثقافية في إخراج:

الإمام الحجة عبدالله بن حمزة (ع) 614هـ.
51-المصابيح وتتمتّه، تأليف/ السيد الإمام أبي العباس الحسني(ع)-353هـ، والتتمّة لعلي بن بلال رضي الله عنه.
52-الموعظة الحسنة، تأليف/ الإمام المهدي محمد بن القاسم الحسيني(ع) -1319هـ.
ومع مكتبة التراث الإسلامي:
53-البدور المضيئة جوابات الأسئلة الضحيانية، تأليف/ الإمام المهدي محمد بن القاسم الحسيني(ع) - 1319هـ.
وبالتعاون مع مركز بدر العلمي والثقافي:
54- ديوان الحكمة والإيمان. تأليف الإمام الحجة/مجدالدين بن محمد المؤيدي(ع) 1332هـ - 1428هـ.

وهناك الكثير الطيّب في طريقه للخروج إلى النور إن شاء الله تعالى، نسأل الله تعالى الإعانة والتوفيق.

ونتقدّم في هذه العجالة بالشكر الجزيل لكلّ من ساهم في إخراج هذا العمل الجليل إلى النور -وهم كُثُر- نسأل الله أن يكتب ذلك للجميع في ميزان الحسنات، وأن يجزل لهم الأجر والمثوبة.

وختاماً نتشرّفُ بإهداء هذا العمل المتواضع إلى روح مولانا الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي -سلام الله تعالى عليه ورضوانه- باعثِ كنوز أهل البيت(ع) ومفاخرهم، وصاحب الفضل في نشر تراث أهل البيت(ع) وشيعتهم الأبرار رضي الله عنهم.

وأدعو الله تعالى بما دعا به(ع) فأقول: اللهم صلِّ على محمد وآله، وأتمم علينا نعمتك في الدارَيْن، واكتب لنا رحمتك التي تكتبها لعبادك المتقين؛ اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، واجعلنا هداة مهتدين؛ ﴿**رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**(10)﴾ [الحشر]، نرجوا الله التوفيق إلى أقوم طريق بفضله وكرمه، واللهَ أسأل أن يصلح العمل ليكون من السعي المتقبّل، وأن يتداركنا برحمته يوم القيام، وأن يختم لنا ولكافة المؤمنين بحسن الختام، إنه ولي الإجابة، وإليه منتهى الأمل والإصابة، ﴿**رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [الأحقاف:15].

وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

مدير المكتبة/

إبراهيم بن مجدالدين بن محمد المؤيدي

هداية الرشيد إلى معرفة العدل والتوحيد

6

الحمد لله رب العـالمين، والصـلاة والسـلام على سـيد المرسلين، وآله الطيبين الطاهرين:

1-الحمدُ للهِ في بدءِ النِّظَامِ وفي **خَتْمِ المقالاتِ، لا يُحْصَى لَهُ عَدَدُ**

2-ولا لَهُ أَمَدٌ تُنْهِيهِ غَايتُهُ **ولا تُحِيطُ بِهِ الأَقلامُ والمددُ**

3-وهو الذي خلق الأشيا وأبدعها **ولا يشاركه في خلقها أحد**

4- ولا لَهُ خَالِقٌ رَبٌّ فيعبدهُ **ولا له أَوَّلٌ حقًّا، ولا أمدُ**

5- وليس جسماً له جرم ولا عرضا **وليس نوعاً ولا جنساً له عدد**

6- وَلا يُشَابِهُهُ شَيءٌ، وَلَيْسَ لَهُ **أُمٌّ وصَاحبةٌ، كلا ولا وَلدُ**

7-تباً لمن قال إنَّ الطبعَ أحدثها **أو غيرَهُ، ولصنع اللهِ قد جَحَدوا**

8-ففي تَنُّوعِهَا أيضاً وحِكْمَتِهَا **إبطالُ ما زعموا فيها**

9-فهل جمادٌ لهذا الكونِ يُحْدِثُهُ؟! ... وما اعتقدوا لو حاول العقلاءُ
10-مع اجتماعِهِمو في الدهر واجتهدوا ... خَلْقِ خردلةٍ أو ذَرَّةٍ ما أَطاقوه،
11-أَحَاطَ عِلْمَاً بِكُلِّ وإنْ جَهِدوا ... الكائناتِ فَلا يُحْتَاجُ في حِفْظِهَا
12-وَمُبْصِرٌ في الدَّياجي رَقْمٌ ولا رَصَدُ ... كُلَّ خافيةٍ لا يَعْتريه الْعَمَى عنها،
13-لأَنَّه خَلَقَ الأَشياءَ ولا الرمدُ ... مُحْكَمةً وفي عجائبها التَّبْيِينُ
14-وَعَالِمٌ بِكِلامِ الْخَلْقِ والرَّشَدُ ... أَجْمَعِهِم وما أرادوا به أيضاً،
15-لأَنَّه خَالِقٌ للنُّطْقِ وما قصدوا ... آلَتَهُ وليس أصواتُهَا في
16-ولا لَهُ آلةٌ مِنْ غَيْرِهِ النُّطْقِ تَتَّحِدُ ... خُلِقَتْ حتى يَكونَ
17-والْمُمْكِناتُ جميعاً لِمَسْمُوعَاتِهِ عَدَدُ ... تحتَ قُدْرتِهِ ولا يَلمُّ بِهِ كَدٌّ ولا نَكَدُ
18-لأنَّ قدرتَهُ ليست فلا تُخَصُّ بِمقدورٍ ... لخالقها وَتَنفردُ
19-وكل من أدرك فذاك حيٌّ بلا شكٍّ ... الأشيا وأوجدها فيعتمدُ
20-وَلا يُحِيطُ بِهِ ظَرْفٌ فَالظَّرْفُ مَلْزُومُهُ

وَلَيْسَ يُرَى	الأعراضُ والجسدُ
21-وكيف يَحتاجُهُ مَنْ	ولا لَهُ قبلَهُ ظَرْفٌ
كان أَوْجَدَهُ	ومُقْتَعَدُ
22-ولا تَرَى العينُ إلاَّ	مُكَيَّفَاً، فتعالَى الواحدُ
ما يُقابلها	الأحدُ
23-إذاً فلا بُدَّ من رَبٍّ	وخالقٍ، فهو مخلوقٌ
يُكَيِّفُهُ	ومُضْطَهَدُ
24-أيضاً وليس له	وجهٌ وعينٌ ولا جنبٌ
عضوُ وجارحةٌ	له ويدُ
25-لأن هذا هو	حدوث والضعف لا
التكييف وهو مع الـ	ينفك يطرد
26-وكل ما أنزل	فَفِعلُهُ وحدوثُ الفعلِ
الرحمن من كتب	يطَّرِدُ
27-ولا تَحلُّ بِهِ	لأنَّ أشباحَهَا الأجسامُ
الأَعْراضُ أَجْمَعُهَا	والْجَسَدُ
28-فلا يلم به غمٌّ ولا	ولا سرورٌ، ولا ضُرٌّ،
أَلَمٌ	ولا نَكَدُ
29-فهو الغنيُّ، فما	وكلُّ ظلمٍ وعيبٍ عنه
في فعله دَنَسٌ	مُبتعِدُ
30- منَزَّهٌ رَبُّنَا عن كل	فالمذنبون همو
منقصةٍ	للشَّيْنِ قد قصدوا
31-وكل مَنْقَصَةٍ منا	فالعبد إن حَدَثَتْ
ومَرْذَلَةٍ	بالفعْلِ يَنْفَرِدُ

32-ولا يَشاها، ولا يَرضى بها أبداً ... كَيْف،وقد هَدَّدَ العاصِين إن عَمدُوا؟

33-وأنزل اللَّهُ في تَحْذِيرِنَا كُتباً ... الأمر فيها، وفيها النَّهْيُ والرَّشَدُ

34-لو كان يَرضى بفعل المجرمين فإ ... نَّ المجرمين لِمَا يَرضاه قد قَصَدوا

35-أو كان ما عمل الإنسان من عمل ... فالفعل ليس له والفاعل الصَّمَدُ

36-أو كان أجبرهم في كل ما عملوا ... وإن أساءوا وإن أخطوا وإن عَمِدُوا

37-لصار ما أنْزَلَ الرَّحمنُ مَهْزَلَةً ... والكافرون بما أوحاه ما عَنِدُوا

38-وأصبح الأنبياء بَعْثُهُمْ عبثاً ... والكفرُ بالله والإيمان يَتَّحِدُ

39-والأنبياء نُدين الله خالقَنا ... بأنَّ بَعْثَهُمو حقٌّ ونعتقدُ

40- والمعجزاتُ دليلٌ شاهدٌ لَهُمو ... فَهْي لنا سندٌ حَقًّا ومستندُ

41-ووَعْدُه والوعيدُ لَيس يُخْلِفُهُ ... والكَذْبُ للعاجِزِ المرْذُولِ مُعْتَمَدُ

42-كذا الشفاعةُ للأبْرارِ نُثْبِتُهَا ... وكل بَرٍّ بها في الحشْرِ يَنْفَرِدُ

43-ليست لغيرهمو ... لأنَّه قد نفاها الواحِدُ

حقاً فنُثْبِتَهَا ... الأحَدُ
44-وليس من لا يطيعُ ... بمؤمنٍ وهْوَ بالتصديق
الله خالِقَهُ ... ينْفَرِدُ
45-لو كان قد خالطَ ... لصدَّقَ الفعلُ ما قد
الإيمانُ مهجتَهُ ... كان يعتقدُ
46-أو كان إيمانه حقاً ... لصار في طاعة
بمبعثه ... الرحمن يجتهدُ
47-والوزن يثبته ... وليس تأويلُه للكل
الأعلامُ سادتُنا ... يتَّحدُ
48-والضبط بالوزن ... والعدْلُ أقربُ تأويلٍ
للأعراض ممتنعٌ ... فَيُعْتَمَدُ
49-والأمر بالواجب ... والنهي عما نهانا الله
المعلوم مذهبنا ... نعتمدُ
50-وفي وجوبهما ... إليه والمصطفى
القرآن حجتنا ... والآلُ نستندُ
51-يا رب! إنِّي أراني ... فاجعل رحيلي إلى
بعدُ مرتَحِلاً ... الجناتِ يا صَمَدُ
52-في ظل عرشك ... مسجلاً في سجلاتِ
يومَ الحشْرُ مزدحمٌ ... الأُلَى سَعِدُوا
53-في زمرة ... في يوم لا والدٌ يُجْدي
المصطفى طه وعترته ... ولا ولَدُ
54-صلَّى الإلهُ على ... والحمد لله حمداً ما
طـه وعترتـه ... له عددُ

□□□□□

مقدمة

6

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد الأمين وعلى آله الطاهرين، رب يسر وأعن يا كريم، واجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم، متقبلة مذخورة ليوم الدين، وبعد:

فإني وضعتُ منظومةً في العدل والتوحيد، سميتُها: **(هداية الرشيد إلى معرفة العدل والتوحيد)**، فألحّ عليَّ بعضُ الراغبين في شرحها شرحاً مبسطاً، يستفيد منه القاصر والكامل، والقاصي والداني، فأجبتهم مستعيناً بالله، ومتوكلاً على الله، رغبة في تقديسه وتعظيمه، وتنْزيهه عن النقائص والرذائل وتسبيحه، متوسلاً بها إلى الله، أن يؤمنني يوم الفزع الأكبر، وأن يصرفني بها عن الفحشاء والمنكر، ولذكر الله أكبر.

فأوّل ما نقول: اعلم أيها الطالب للمراتب العالية الرفيعة، والتجارة الدائمة الرابحة، والهارب من الخسارة التي لا يشبهها خسارة، من الخسران الذي لا يستطيع أحد أن يعرف تقدير مقداره، ألا وهو الخلود في النار أعاذنا الله تعالى منها والمؤمنين، التي يقول الله عز وجل في وصفها: **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً**

غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ [النساء:56]، ويقول: **يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ** [المائدة:37]، **وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً** [الفرقان:13].

واللهِ الذي لا إله إلا هو إن الفوز بالجنة بأكملها، وآلاف جنات مثلها لا يساوي الفوز بالنجاة من هذه النار التي قد جمعت جميع أنواع الشدائد والمصائب، فألله ألله في نفسك أيها المسكين لا تبعها بحطام هذه الدار الحقيرة الفانية، واتباع الهوى، **وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى**40 **فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**41 [النازعات]، **وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** [ص:26].

فاعلم أنك لا تصلُ إلى هذه المكاسبِ إلاَّ باتِّباع الحقّ، والبحثِ عنه، والتفتيشِ بجدٍّ واهتمام، وتواضعٍ وانقياد، وتركِ التعصبِ للمذاهبِ، والأسلافِ، واتِّباعِ الهوى؛ لأنَّ الله تعالى يقول: **فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ** [يونس:32]، **أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّي إِلاَّ أَنْ يُهْدَى** [يونس:35]، **وَالْعَصْرِ**1 **إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**2 **إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**3 [العصر].

فأقسمَ الله سبحانه أنَّ الذين لم يتواصوا بالحق خاسرون، ويقول الله سبحانه: **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ**

عَن سَبِيلِهِ [الأنعام:153]، **﴿فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾** [البقرة:213].

فكل هذه الآيات تدلنا على اتِّباع الحق، وأنَّه لا نجاة لنـا إلاَّ به، وأنَّ الهوى يصدُّ عن الحق.

ولا ينسَ طالبُ العلم ما هو المقصود من طلبهِ العلمَ، ألا وهو الوصول إلى معرفة الطريـق الـتي تُوصـله إلى الغايـة المقصـــودة، وهي الوصـــول إلى دار النعيم، والنجـــاة من عذاب الجحيم، وأنَّه يريد معرفة الحقيقـة الواقعيـة الـتي لا يجديه غيرها، وهي العلم الحقيقي، وغيرها الجهل، والجهـل لا يحتاج إلى دراسة، فقد كان معه قبل الدراسة، وقد كـان معـه قَبْـلُ قِسْـطٌ من العلم، وهـو معرفتـه، واعترافـه بأنَّه جاهلٌ، ثم أصبح بعد الدراسة لا يَعـرف أنَّه جاهـل، وأنَّه في خَـطِّ النـار، اللـه المسـتعان! لم يسـتفد من دراسـة نحـو عشرين سنة إلاَّ النار، وكان في إمكانه دخـول النـار بـدون تعب! هكذا الطبيب الماهر يهتم بتشخيص المرض؛ ليكـون ناجحاً في علاجه.

والعجب من أمم الأنبيـــاء، كيـــف يقـــابلون حججَ أنبيائهم ومعجزاتهم بمـا لا تبطـل بـه حُجَجُهم، بالمقـاهرة والمغالبة، نحو قولهم: ساحر، كذاب، مجنـون، ونحـو هـذا من البذاءة التي لا يستخدمها إلاَّ العاجز الضعيف، الـتي لا تبطـل بهـا حجـة، ولا يُهتـدى بهـا إلى محجـة، والحـرب والمحاربة، مع أنَّ الأنبياء صـلوات اللـه عليهم لم يطلبـوا منهم مالاً، ولا أجراً، وإنمـا نصـحوهم ودعـوهم إلى الخـير

الكامل الدائم، الـذي لا يُسـاوَى، ولا يُماثَـلُ، وهـو الخلـود في الجنـات -جعلنـا اللـه تعـالى من أهلهـا والمؤمـنين- وحذَّروهم من الشرِّ العظيم، الـذي لا يُسـتطاع أن يُحـاطَ بمقداره، وهو الخلود في النيران -أعاذنا الله تعـالى منهـا والمؤمـنين- مـع أنَّهـا لا تنفعهم اسـتجابتُهُم، ولا تضـرهم مخالفتهم.

ولو نظـروا في دعـواهم هـل هي صـادقة؟ فيسـتجيبوا لها، ويحذروا مما حذَّروهم، أو كاذبة؟، فيكونـوا على يقين، واطمئنان من مخالفتهم، بأنْ يُبْطلوهـا بالأدلـة الـتي تُبْطِـلُ الدَّعاوَى، أو التسليم والانقياد والتواضع للحقِّ.

وأَعجب من هـذا: الأمم الـتي قـد اعـترفت بالديانـة السماوية، وبالجنة والنار، كاليهود والنصارى، كيف قـابلتِ اليهود عيسى صلوات اللـه عليـه بنفس هـذه المقابلـة، وكيف قـابلوا هم والنصـارى محمـداً صـلوات اللـه تعـالى عليـه وعلى آلـه الطـاهرين بنفس هـذه المقابلـة، وحرّفـوا البشارات بهما التي في التـوراة والإنجيـل، **وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا** [النمل:14].

وأعجب من هذا: هذه الأمة التي قـد آمنت بنبيهـا ÷ وبما جاء به، كيف قوبل أهلُّ الحق بنفس هـذه المقابلـة، أفلا ينظـرون إلى قولـه تعـالى: **وَيَـوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْـهِ يَقُـولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَـذْتُ مَـعَ الرَّسُـولِ سَبِيلاً27 يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً28 لَقَـدْ أَضَـلَّنِي عَنِ الـذِّكْرِ بَعْـدَ إِذْ جَـاءنِي وَكَـانَ**

الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَـذُولاً29 [الفرقـان]، وإلى قولـه تعـالى: **إِذْ تَبَـرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُـواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُـواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ** [البقرة:166].

ومن العجب الذي تحار فيه الأفكار: أنَّ هـذه الأمـة تفرقت إلى فرقٍ شتى، وتدَّعي كلُّ فرقـةٍ أنَّهـا على الحـق، وصارت معجبَةً بما ذهبت إليه، وتضلل كلَّ فرقة تخـالف مـا ذهبت إليـــه، وتحـــاول الـــرد على مخالفيهـــا بالمقـــاهرة، والمغالبة، والتعصب الذي لا يتبين به الحق من الضـلال، بـل وإذا غُلِبَتْ بالأدلة القاهرة لم يفيؤوا إلى الحق، ولم يتحولــوا عن مبـادئهم الضـالة، يغـالطون أنفسـهم بـأن خصـماءهم عنــدهم قــوة، وبصــيرة في الجــدل، والخصــام، وَيُسَــلُّون أنفســهم بهــذا، كيــف ولا يُعــرفُ الحــقُّ من الباطــل إلاَّ بالبراهين، وكلُّ دعـوى بـدون حجـةٍ، ولا برهـانٍ فهي دعـوى عاطلة، باطلة.

وقد أرشدنا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إلى هذا، فيما شجر بيننا، بما قد أجمعت عليه الأمـة، بـأن على المـدعي البينـة، وعلى المنكر اليمين.

والعجب والعتب من، وعلى علماء يـدعون إلى اللـه ورسوله والدار الآخرة، ويعتقدون ألا نجاة لكل هذه الأمة إلا باتبــاع الحــق، والانقيــاد لــه، ثم يتعصــبون لمــذاهبهم وآرائهم، وينسون هذا المقصد أو يتناسونه.

وكـان اللائـق بجميـع علمـاء هـذه الأمـة، وكـل أربـاب المذاهب التعاون على الحق على معرفتـه، والانقيـاد لـه،

وعلى البحث والتفــتيش عنــه بجــدٍّ، وإخلاص، وتفــاهم، وتواضع، وأن يعرفوا، ويفهموا أنَّ المشكلة عامة للجميع، وأن هذه الداهية العظمى للجميع، وأن لا مخلص منهـا إلا باتِّباع الحق والاعتناق لـه، وليسـت طريقـة التقـارب في المذاهب طريقة مخلصة؛ لأنَّ القضية ليست قضية ماليـة حتى يمكن فيها التسامح، والمساهلة، وكـل فريـق ينقّص من مذهبه ما يحصل به التقارب؛ لأنَّ القضـية قضـية رب العالمين، وضع لنا دستوراً وقـوانين ليس لنـا أن نتعـداها، وليس لنـا أن نزيـد، أو ننقص، أو نشـدد، أو نسـهل، فقـد وضـح لنـا سـبيلين: سـبيلاً إلى الجنـة، وسـبيلاً إلى النـار، فعلينا أن نعرف السبيلين؛ لنسلك سـبيل الجنـة، ونجـانب السبيل الأخرى، ولا نكون كما قال الله تعالى: ﴿**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَـــرِينَ أَعْمَـــالاً103 الَّذِينَ ضَــــلَّ سَـعْيُهُمْ فِي الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسـِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً104**﴾ [الكهف]**.**

وقد أرشد الله تعـالى في فاتحة الكتـاب الـتي نتلوها في كل صـلاة بقولـه: ﴿**اهدِنَا الصِّـرَاطَ المُسـتَقِيمَ6 صِـــرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَـــيرِ المَغضُـــوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّآلِّينَ7**﴾**.**

فيــا ليت الأمــة كلهــا يَبعثــون لهم هيئــة من العلمــاء، الأذكياء، الأزكيـاء، الحلمـاء، المبتعـدين عن الـدنيا، واتِّبـاع الهوى، يتدارسون موضوع الآخرة، ويبحثــون عن السـبيل الــتي تقــودهم إلى الجنــة، وتصــرفهم عن النــار، بجــدٍّ

وإخلاصٍ، وتواضع وانقيـاد، وينظـرون في كـل المـذاهب، إلى الإيجابيات والسلبيات، ويفرقون بين الدليل والشبهة، حتى تكون الأمة كلُّها على بصيرة، ويقين من أمرهم.

فوالله الذي لا إله إلا هو إنا نكون على هذه الطريقة والشـروط، ونعاهـد اللـه تعـالى على الإنصـاف، والتواضـع للحق، وترك التعصب، فليس بيننا وبين الحق عداوة.

فوالله الذي لا إله إلاَّ هو إنا لو نعرف أن الحقَّ مع اليهـود، أو النصـارى، أو أيِّ فرقـةٍ من فـرق المسـلمين لانقدنا له، واعتنقناه، وتواضعنا لـه؛ لأنَّا لا نريـد إلاَّ طريـق النجاة، ونعلم أنَّ الحـقَّ طريـقُ النجـاة، وليس لنـا عطـاء من أحد على هذا المذهب، بل ونحب أن يكون الحق مـع بعض المذاهب السهلة ونعتنقها، فلم نعتنق هذا المـذهب الذي ذهبنا إليه رغبةً فيه، بل قهرتنا الأدلة اليقينية عليه.

فإن قيل: فما السـبيل إلى معرفـة الحـقِّ لمن يريـده، ولا يمكن أن تكون المذاهب المتناقضة كلُّها حقاً؟

قيل له: السـبيل أن نرجـع إلى كتـاب اللـه عـز وجـل، الـذي لا يأتيـه الباطـل من بين يديـه ولا من خلفـه، وإلى الروايات التي أجمعت عليها الأمة.

ولا يمكن أن نقـول: إن اللـه تعـالى تركنـا في عَمًى ولَبْسٍ من أمرنـا، وفي متاهـات، حاشـا اللـه تعـالى أن يلزمنـا باتِّبـاع الحـق ولا يُبَيِّنُـهُ لنـا؛ لأنَّ هـذا خلاف العـدل والحكمة.

أما تبيينه بالكتـاب فقد بَيَّنَـهُ الله تبـارك وتعـالى في

قوله: **إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُـذْهِبَ عَنكُمُ الـرِّجْسَ أَهْـلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** **[الأحزاب:33].**

والمراد بها: عليٌّ وفاطمة والحسنان؛ لأنَّ النبيَّ ÷ حين نـزلت الآيـةُ لَـفَّ عليهم كسـاءَهُ، وقـال: **((اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الـرجس وطهـرهم تطهيراً))**[1]، فقد تواترت الروايات من طريق أهل السنة والشيعة بهذا.

فإن قيل: الآية في سياق الزوجات.

قيـل له: لـو أرادهن لأتى فيـه بضـمير الإنـاث، وقـد زاده رسولُ الله ÷ توضيحاً بلَفِّ الكساءِ عليهم، وخصهم به.

---

[1] - تفسير الحبري - (ج 1 / ص 181) أمالي المرشد بالله الشـجرية - (ج 1 / ص 291) المختـار من صـحيح الأحـاديث والآثـار - (ج 1 / ص 3) مناقب أمـير المؤمـنين (ع) للكـوفي - (ج1 / ص 157) إيضـاح الدلالـة في تحقيق أحكام العدالة - (ج 1 / ص 2) التحف شرح الزلف - (ج 1 / ص 3) مجمـع الفوائـد - (ج 1 / ص 244) السـنن الكـبرى للنسـائي - (ج 5 / ص 113) مشـكل الآثـار للطحـاوي - (ج 2 / ص 268) جـامع الأصـول من أحاديث الرسول (أحاديث فقط) - (ج 9 / ص 6703) مسـند الصـحابة في الكتب التسـعة - (ج 48 / ص303) المعجم الأوسـط - (ج 7 / ص 318) المعجم الكبير - (ج 9 / ص 25) المعجم الكبير - (ج 23 / ص 333) سـنن الترمـذي - (ج 5 / ص 351) سـنن الترمـذي - (ج 5 / ص 663) سـنن النسـائي الكـبرى - (ج 5 / ص 112) خصـائص علي - (ج 1 / ص 49) المسند الجامع - (ج 32 / ص 417) صحيح وضعيف سنن الترمـذي - (ج 7 / ص 205) صـحيح الترمـذي - (ج 3 / ص 91) بيـان مشـكل الآثـار ـ الطحاوى - (ج 2 / ص 169).

فإن قيل: هذا خاص بأهل الكساء.

قيـل لـه: أهـل الـبيت بمعـنى الآل؛ لأنهمـا يسـتعملان بمعـنى واحـد، وفي مـدلولٍ واحـدٍ لغـةً وعرفـاً، وبـدليل تصغيرهما على أُهَيْل، والآل هم الذرية قـال اللـه تعـالى: **﴿إِنَّ اللّهَ اصْـطَفَى آدَمَ وَنُوحـاً وَآلَ إِبْـرَاهِيمَ وَآلَ عِمْـرَانَ عَلَى الْعَـالَمِينَ33 ذُرِّيَّةً بَعْضُـهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ34﴾ [آل عمران].**

ولَمَّا حُرِّمَت الزكاة على بني هاشم أجمعت الأمـة أنهـا حُرِّمَت على آل علي، وآل عقيل، وآل عباس، وآل جعفر، وأنَّ المراد بآل كل واحد من هؤلاء: ذريته.

فإن قيل: إنَّ الآل قد يُستعمل في القرابة الأَدْنين.

قيـل له: الأصـل اسـتعماله في الذريـة، وإنْ اسْـتُعمل فيهم، وفي غيرهم فبقرينة، وهم أقرب القرابة وأدناها؛

فقـد دخلـوا على كـلِّ الاسـتعمالات، وحـديثُ الكسـاءِ أخرج كلَّ مُحْتَمَلٍ.

فإن قيل: فما وجه دلالة الآية؟!

قيـل له: المـراد بإذهـاب الـرجس: إذهـاب الضـلال، أمَّا البـول والـبراز ونحوهمـا فهـو موجـود فيهم كغـيرهم، ولأنَّ المقامَ مقامُ مدح فلم يبق إلاَّ الأول.

فــإن قيــل: إنَّمــا دلت الآيــة على العصــمة، لا على الحجية.

قيـل له: لَم تثبت العصـمة في غـيرهم، فهـل يخطـر ببالـك وهـل يتصـور أن يكـون الخطـأ مـع المعصـومين،

والصواب مع غيرهم.

ولأنَّ مدحهم بهذا المدح مما يَـدْعو إلى الاقتـداء بهم، والاتِّبـاع لهم، وإذا كـانوا يخطئـون ففيـه إغـراء بالخطـأ، والإغــراء بــالقبيح قــبيح، وأقــل أحــوالهم أنهم نــاجون، فالمقتدي بهم ناجٍ، فهو في سبيل النجاة والصواب، وهذا ما نرومه. **وهذا هو الدليل الأول.**

الـدليل الثـاني: قـول اللـه تعـالى: **﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:23].**

وقد سُئل رسول الله ÷: من هم قرابتـك الـذين أُمرنـا بمودتهم؟ فقال: **((علي، وفاطمة، وابناهما))**[1].

وهـذا كـذلك ممـا قـد تـواترت بـه الأخبـار من روايـات الشيعة، وأهـل السـنة، مـع أنهم هم وأولادهم من أقـرب القرابة، فهم داخلون بغير احتمال، وغـيرهم محتمَـل لـولا تفسير النبي ÷ الذي حصر القرابة به.

فإن قيل: فأولادهم غير داخلين.

قيـل له: حكم الآخِـرين حكم الأولين في كـل خطـاب من الله تعالى ورسـوله ÷ وإلاَّ فـالآخِرون من كـلِّ الأمـة غير داخلين في الرسالة؛ لأنَّ خطاب المعدوم لا يصح.

---

[1] (؟) - تفسير الحبري (ج 1/ ص 213) أمالي المرشد بالله الشجرية (ج 1/ ص283) مجمع الزوائـد ومنبـع الفوائـد . محقـق (ج 7/ ص 6) مجمـع الزوائد ومنبع الفوائد . محقق (ج 9/ ص 94) مجمع الزوائد ومنبـع الفوائـد (ج3/ص210) مرقـاة المفـاتيح شـرح مشـكاة المصـابيح (ج17/ص496) لوامع الأنوار (1/126-127)ط2.

وإنما الحصر لإخراج باقي القرابات، مع أن المراد الأولاد الذين اقتفوا آثارهم، وأخذوا دينهم عنهم، والمقتدي بالمحقِّ محقٌّ سواءً دخلوا، أم خرجوا، وهذا ما نرومه من تبيين الحقِّ، وأهل الحق.

ووجه دلالة الآية: أن الله تعالى يقول: ﴿**لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ **[المجادلة:22]**، وكذا قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ**﴾ **[الممتحنة:1]**، وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾ **[المائدة:51]**، فلما أمر بمودتهم كان شهادة لهم بأنهم غير محادين لله ورسوله، وأنهم غير أعداء لله ولا للمؤمنين.

وكذا آية المباهلة، فالأمة مجمعة على أنَّه لم يَدْعُ ÷ إلاَّ علياً، وفاطمةَ، والحسنين.

وفي هذه الآية دلالات:

منها: أنَّ الحسنين أولاد رسول الله ÷.

ومنها: أنَّه أخرجهم يَتوسل بهم، ولا يُتَوَسَّل إلاَّ بالخِيرة.

ومنها: أنهم أخصُّ الناسِ به وأحبهم؛ لأنَّ المقامَ مقامُ تَحدٍّ، فهو لا يُضحي بنفسه وأخصِّ الناس وأقربِهِم، وأحبِّهم إليه، ويعرضهم للهلاك إلاَّ وهو على يقين، واطمئنان من

أمره، ولا شكَّ أن من اجتمعت فيهم هذه الفضائل أنهم في سبيل النجـاة، وأن مَن اقتـدى بهم فقـد استمسـك بـالعروة الوثقى.

وأما الروايات التي أجمعت عليها الأمة:

فمنها حديث الثقلين: وهو قوله ÷: ((إني تـارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضـلوا من بعـدي أبـدا: كتـابَ اللـه وعـترتي أهـلَ بيـتي، إنَّ اللطيـف الخبـير نبـأني أنَّهمـا لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)) [1].

وهذا الحديث من الأحاديث المتواترة، التي أجمـع على روايتها الشيعة وأهل السنة، ففي هـذا الحـديث دلالـة على أنَّ الْمُتَمَسِّكين بهم هم أهلُ الحق، **من وجوه**:

منها: أنَّه حَكَمَ على المتمسكين بهم بعدم الضلال.

ومنها: أنه قرنهم بالقرآن، وأخبر أنَّهم لا يفارقونـه ولا يفـارقهم، وهـو كلام اللـه الـذي لا يأتيـه الباطـل من بين يديه، ولا من خلفه.

ومنهـا: حـديث السـفينة: وهـو قولـه ÷: ((أهـل بيـتي كسـفينة نـوح من ركبهـا نجـا ومن تخلـف عنهـا غـرق

---

[1](?)- مفتاح السـعادة/السـيد العلامـة علي محمـد العجـري - (ج 1 / ص 1246) المختــار من صــحيح الأحــاديث والآثــار - (ج 1 / ص 3) بحث في حديث التمسك بالثقلين - (ج1/ ص 1) تيسـير المطـالب - (ج 1 / ص 29) درر الأحــاديث النبويــة بالأســانيد اليحيويــة - (ج 1 / ص 61) مــآثر الأبــرار للزحيف - (ج2 / ص 241) التحـف شـرح الزلـف - (ج1/ ص34) الجامعـة المهمة لأسانيد كتب الأئمة - (ج1/ص 28) لوامع الأنوار(1/457) ط2.

وهوى))[1]، وهذا نصٌّ صريح في أنَّهم أهل الحق.

وقـد روى هـذا الحـديثَ، واعـترف بـه جميـعُ طوائـف الشيعة، سيما الزيدية، والإمامية، والكثيرُ من أهل السنة.

وفي حـديث الثقلين: دلالـة على أنَّ المـراد بأهـل البيت أهل الكساء، وذرية رسـول اللـه ÷، ولـو أراد أولاد علي من فاطمــة وغيرهــا؛ لاكتفى في دخــول الكســاء بفاطمــة وعلي ’، مـع أن آيـة المباهلـة، وأحـاديث: أهـل بيتي، وعترتي، تبين أنَّ المراد: ذريـة رسـول اللـه ÷، ولا ننكـر فضـلهم، فلهم الفضـل العظيم، ولأولاد فاطمــة & زيادةُ مزية، وقد كان علي # يفضل الحسنين على سـائر أولاده، ويقول: إنَّهما ذرية رسول الله ÷.

ويكفي هذه الذرية أنها من ماءٍ خرج من فاطمة، وعلي، وفاطمة من مـاء خـرج من رسـول اللـه ÷، ومن خديجـة، فهم من أزكى الرجال، وأطهر النساء.

وأنَّ الله تعالى شرع الصلاة عليهم في كـلِّ الصـلوات، فلــو لَم يكن لهم إلاَّ هــاتين الفضــيلتين لكفت من يريــد الحق أن يتمسكَ بهم، ويأخذَ دينَهُ عنهم.

مـع أنَّ سـائر الفـرق يتمسـكون بعلمـاء لَم يـرد فيهم شـيء ممـا ورد في أهـل الـبيت، كالشـافعية، والحنبليـة، والمالكية، والحنفية، وغيرهم.

وهذه سنة الله تعـالى في الأنبيـاء المتقـدمين صـلوات الله عليهم جعل الله سبحانه في ذريتهم الهدى والنور.

---

[1] (?)- مسند زيد بن علي - (ج 1 / ص 94) لوامع الأنوار (2/97) ط2.

قال الله تعـالى: ﴿إِنَّ اللّهَ اصْـطَفَى آدَمَ وَنُوحـاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَـالَمِينَ33 ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللّهُ سَـمِيعٌ عَلِيمٌ34﴾ [آل عمـران]، وقال في إبـراهيم صـلوات اللـه تعـالى عليـه وعلى آلـه: ﴿وَلَقَــدْ أَرْسَــلْنَا نُوحــاً وَإِبْــرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوءَةَ وَالْكِتَــابَ فَمِنْهُم مُّهْتَــدٍ وَكَثِــيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد:26]، وقال في ذريـة يعقـوب #: ﴿يَا بَنِي إِسْــرَائِيلَ اذْكُــرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة:47].

فهـل يُتصـور في سـيد المرسـلين أن يكـون الهـدى والنور في غير ذريته، وتكون ذريته على ضـلال! هـذا مـا تمجه الأسماع، ولا تقبله العقول.

هذا، ومن اطّلع على تـواريخهم وسـيرهم، يعـرف أنهم حجج الله تعالى على عباده، وأنَّهم أهـل الحـق، والفرقـةُ الناجيــة، فــإنهم لا زال العلم في بيــوتهم، وفي ذراريهم، والهـدى والنـور، والأمـر بـالمعروف، والنهي عن المنكـر، كمــا قــال اللــه ســبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْـرَ أُمَّةٍ أُخْـرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمـران:110] وكمــا قــال اللــه ســبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:104].

فإنهم لا زالوا، ولن يزالوا على هذا، كما قال النــبي ÷:

((أهل بيتي كالنجوم كلما أفل نجم طلـع نجم))[1]، ((أهـل بيتي أمان لأهل الأرض، والنجوم أمان لأهل السماء، فـإذا ذهب أهل بيتي من الأرض أتى أهـل الأرض مـا يوعـدون، وإذا ذهبت النجــوم من الســماء أتى أهــل الســماء مــا يوعدون))[2]، ((إنَّ عند كلِّ بدعة تكون من بعدي يُكاد بهـا الإسلام، ولياً من أهل بيتي موكلاً، يذب عنـه، يعلن الحــق وينـوره، ويـرد كيـد الكائـدين؛ فـاعتبروا يـا أولي الأبصـار، وتوكلوا على اللَّه))[3].

فتدبر يا أخي، وتفكر إن كنت تريد النجاة، واتِّباع الحق؛ فَحَكِّمْ عقلَكَ هل تجد ذريةً من ذراري الصحابة مثـل هـذه الذريـة؟! أنسـابهم محفوظـة، والعلم، والهـدى، والنـور لا زال في ذراريهم.

وقد ورد في علي، وفاطمة، والحسـنين خاصـة، وفي

---

[1] - هـذا الحـديث رواه الإمـام المنصـور باللـه # في شـرح الرسـالة الناصحة (1/419) ورواه الإمـام الحجـة مجـد الـدين بن محمـد بن منصـور المؤيدي(ع) لوامع الأنوار - (ج 2 / 97) ط2.

[2] - درر الأحاديث النبوية بالأسانيد اليحيويـة - (ج 1 / ص 61) التحـف شرح الزلف - (ج 1 / ص 373) رواه الإمام الحجـة مجـد الـدين بن محمـد بن منصور المؤيدي (ع) لوامع الأنوار (1/527) ط2 بلفظ: (أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء).

[3] - لوامع الأنوار للإمام الحجة/ مجدالدين بن محمـد المؤيـدي(ع)- (ج 1 / ص 14) وقال: رواه الإمام النـاطق بـالحق أبـو طـالب (ع) في أماليـه، بسنده إلى جعفر الصـادق بن محمـد البـاقر، عن أبيـه، عن جـده، عن علي (ع) والإمام المنصور بالله # في شرح الرسالة الناصحة (1/283).

أهل البيت عامة من الفضائل ما يستغرق مجلدات من رواية الشيعة وأهل السنة.

وكذا ورد في بعض أفرادهم من البشارات مثل ما ورد في زين العابدين، وولديه الباقر، وزيد بن علي، والنفس الزكية، والفخي، ومحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، وأخيه القاسم بن إبراهيم، وحفيده الهادي يحيى بن الحسين، والناصر الأطروش، وكذا ما وقع لكثير منهم، ومن شيعتهم من الكرامات: من استجابة دعائهم، ومن الروائح الطيبة الصاعدة من قبورهم، والأنوار التي تهبط على قبورهم، وكرامات كثيرة، بعضها كالمعجزات، وهذه مما تزيد الأدلة تأييداً.

ومن أراد الاطِّلاع على ما ورد فيهم عن النبي ÷؛ فليطالع لوامع الأنوار لمولانا وسيِّدنا مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي حفظه الله تعالى؛ فإنه يجد فيها ما لا يبقى له بعده شكّ ولا ريب.

فإن قيل: أهل البيت قد تفرقوا في البلدان، واختلفوا اختلافاً كثيراً، ويقرب أن قد ذهب إلى كلِّ مذهب منهم طائفة، ولا يمكن أن يكونوا كلُّهم على حق مع تناقض أقوالهم، وتباين مذاهبهم، فما المخرج؟! وكيف يَعْرفُ الحقّ من يريده؟!

فالجواب وبالله تعالى التوفيق: أنه يُعرف الحق بإجماعهم في أيِّ عصر، وقد كانوا في الزمن الأول قليلين مجمعين على العقيدة، وعلى عقيدة واحدة في

زمن الإمام زيد بن علي ’ مطابقة لما أسسه لهم جــدهم علي بن أبي طالب # في نهج البلاغة.

انظر لِمَا في كتاب الإيمان، وكتاب الصفوة للإمام زيــد بن علي # وما في كتاب الإهْلِيلَجَة للإمام جعفر الصــادق # مطابقاً لما في نهج البلاغــة، فمن حــذا حــذوهم، وأخـذ دينــه عنهم، فهــو الحجــة في زمانــه، ومن أخــذ دينــه من غيرهم فهو دين مستوردٌ غير دينهم في الأصول، والفروع في المســائل العمليــة، لكن المخطئ فيهــا معــذورٌ؛ لأنَّ أدلتهــا ظنيــة، وإذا بحثتَ في كتب الزيديــة وجــدتهم على عقيدة واحدة من لدن علي بن أبي طـالب صـلوات اللــه عليـه إلى زمننـا هــذا، فهـؤلاء هم حجج اللــه تعـالى على عباده في كل زمان.

والذين أخــذوا دينهم عن غـير آبـائهم، وعن غـير أهـل بيت نبيهم؛ فدينهم مستورد غير دين أهل البيت.

فالزيدية هم الـذين أخـذوا دينهم في العقيـدة عن علي والحســنين وأولادهما، وتطــابقت عقيــدةُ أوَّلِهِم وآخِرِهم، ويعززونها بالأدلة العقلية، والنقليــة، الــتي لا يبقى معهــا شــك، ولا ريب، ومن اطّلــع عليهــا وجــدها كافية، شـافية، ويجيبـون على كـلِّ شـبه المخـالفين، بمـا يشـفي صـدر طـالب الحـق، ولا يبقى لـه شـك، ولا ريب، ومن شك فيما نقول بحث كتبهم.

أما في المسائل الفرعية الــتي المخطئ فيهــا معــذور؛ لأنَّ أدلتهــا ظنيــة، فلكـل إمـام أنظـارٌ، وهم متفقـون في

أكثرها، والقول قـول من اعتمـد على آبائـه في الأصـول، والفروع؛ لأنَّ الأدلة المتقدمة لم تَخُصُّ ولم تُخَصِّص.

هـذا، وأمَّا مـا يدَّعيـه سـائرُ فـرقِ الشـيعة غـير الزيدية، أنَّها متمسـكة بأهـل بيت رسـول اللـه ÷، فذلك ذهاب إلى سرابٍ بقِيعَة؛ لأنهم انتموا إلى عدد معـدود من أولاد الحسـين، ورفضـوا أولاد الحسـن، وسـائر أولاد الحسين غير ذلك العدد، والنبيُّ ÷ يقول: ((إني تـارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي))[1]، ولم يقل: واثني عشر منهم، ويقـول: ((مثـل أهـل بيـتي كمثـل سـفينة نـوح))[2]، ولم

[1] - أخرج حديث (الثقلين) الإمام المنصـور باللـه عبـد اللـه بن حمـزة (ع) في الشـافي (1/190) والمرشـد باللـه (ع) في الخميسـية (1/145) والترمذي في صحيحه (5/663) رقم (3788) وأحمد في المسـند (3/59) رقم (11578) والفضـائل (2/585) رقم (990) والطـبراني في الكبـير (3/65) رقم (2678) والصـغير (1/232) رقم (376) وأبـو يعلى في مسـنده (2/376) رقم (1140) والحـاكم في المسـتدرك (1/172) رقم (319) وابن المغـازلي في مناقبـه (ص91) رقم (155) والسـمهودي في جواهر العقدين (ص231) وقال: أخرجه ابن عقدة في الموالاة، والقندوزي في ينابيع المودة (1/38) .

وأخرجه من خطبة يوم الغدير: مسلم (4/1873) رقم (2408) وأحمـد في المسند (4/366) رقم (19285) والطبراني في الكبـير (5/183) رقم (5028) وابن خزيمـة في صـحيحه (4/62) رقم (2357) وابن الجعـد في مسـنده (ص397) رقم (2711) وأبـو يعلى في مسـنده (2/303) رقم (1027) وابن سعد في الطبقات (2/192) .

[2] - أخـرج حـديث (السـفينة) الإمـام الهـادي (ع) ذكـره في الأسـانيد اليحيوية (ص51) والطبراني في الصغير (2/84) رقم (825) وفي الكبير (

يخصص.

وليس بين زين العابدين، والباقر، والصادق، والكـاظم، والرضـا % وبين سـائر أهـل الـبيت خلاف ولا نـزاع، بـل علماء الزيديـة ينتمـون إليهم، وهم من مـراجعهم الكبـار، وهم من أكـابر علمـاء الزيديـة، وكتبهم طافحـة بالروايـة عنهم، ونَقْلِ مذاهبِهِم، وأقوالِهِم، ورواياتِهِم، ولا يعــترفون بصحة كلما يرويه عنهم هؤلاء الذين يزعمون أنهم ينتمون إليهم، وأهل البيت أعرف بمـذاهبهم من الـذين يزعمـون أنهم من أتباعهم وشيعتهم.

هذا، وأمـا بقيـة أئمتهم وهم محمـد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن العسكري % فلم تشـتهر عنهم روايـات، ولم نعرف لهم كتباً، ويبعد أن يكونوا على خلاف ما يكـان عليه آباؤهم رضوان الله تعـالى وصـلواته وسـلامه عليهم وعلى جميع أهل البيت الطاهرين.

3/45) رقم (2636) والأوســط (4/10) والهيثمي في مجمــع الزوائــد (9/168) وقـال: رواه الـبزار، وأحمـد في الفضـائل (2/785) رقم (1402) والكنجي في الكفايـة (ص339) وابن عـدي في الكامـل (4/197) وابن أبي شيبة عن علي موقوفـاً (6/370) والحـاكم في المسـتدرك (3/163) رقم (4720) وابن المغازلي في مناقبـه (ص101) رقم (177) والسـمهودي في جواهر العقدين (ص260) ومحمـد بن سـليمان في مناقبـه (2/146) رقم (624) والقزويني في ينـابيع المـودة (ص35) والمحب الطـبري في الـذخائر (ص20) وهـو في مسـند الشـهاب (2/273) رقم (1342) وأخرجـه الإمـام المرشد بالله (ع) في أماليه الخميسية (1/151) والإمام المنصور باللـه عبـد الله بن حمزة (ع) في الشافي (1/188) .

فإن قيل: إن الله تعالى يقول: ﴿**لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ...**﴾الخ [الأحزاب:5]، فيلزم أن من أخطأ في عقيدته بعد ما قد بذل الوسع أن الآية تشمله، وأنه معفو عنه، وقد قلتم: إنه لا نجاة إلا باتباع الحق واعتناقه.

فالجواب والله الموفق للصواب من وجوه:

الأول: أني لم أقل من تلقاء نفسي، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي قال وأقسم أن الإنسان خاسر إلا من استثناهم، والله لم يستثن إلا المؤمنين، العاملين، المعتنقين للحق، وسيأتي في حقيقة الإيمان أن الضال خارج عن حقيقته.

الثاني: أن الآية وردت خطاباً للمؤمنين؛ لأنَّه بضمير الخطاب، ولسياق الآية وهو: ﴿**ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ...الخ**﴾ [الأحزاب:5]، والكفار ليسوا بإخوان في الدين، فدل على أن المراد الخطأ في العمل؛ لأنَّه خطاب للمؤمنين الذين قد ثبت إيمانهم، ولأنه في سياق العمل، ولأنه قال: ﴿**فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ**﴾ ولو أراد أن يشمل الخطأ في العقيدة لقال: فيما أخطأتم فقط، وبدون به؛ لأنَّ المفعول به -وهو قوله: به- ليس نفس الفعل.

وأما الخطأ في العقيدة، فإن العقيدة نفس الخطأ،

والخطأ نفس العقيدة، فدل على أن المراد فيما أخطـأتم يا مؤمنون في فعله، ولأنه إذا كان خطابـاً للمؤمـنين كمـا بينا فالمؤمنون ليسوا مخطئين في عقيدتهم، بل ربما في بعض أفعالهم، وتروكهم.

الوجه الثالث: أن الـذين يشـبهون اللـه، أو ينسـبون إليه المخازي، والقبائح، والعيـوب يعبـدون هـذا الـذي هـو على معتقـدهم، وهـو غـير اللـه، فقـد عبـدوا غـير اللـه، وسيأتي في تفسـير آيـة المشـيئة تبـيين أن اللـه لا يغفـر الشرك، سواء كان خطأً أم عمداً، ويؤيده، ويؤيـد كـل مـا ذكرنـا قولـه تعـالى: ﴿**قُـلْ هَـلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَـرِينَ أَعْمَالاً 103 الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الـدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِـنُونَ صُـنْعاً 104 أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَـــرُوا بِآيَـــاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَـالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَزْنـاً105 ذَلِـكَ جَـزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَـرُوا وَاتَّخَـذُوا آيَـاتِي وَرُسُلِي هُزُؤاً 106**﴾ **[الكهف].**

الوجه الرابـع: أن وقـوع مثـل هـذا السـؤال المفـروض بعيـد غايـة البعـد، فليس من خـرج عن الحـق قـد بـذل الوسـع، وإن قـال؛ لأنَّ اللـه يقـول: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَـدَوْا زَادَهُمْ هُـدًى..**﴾ **[محمد:17]**، ويقــول: ﴿**إَن تَتَّقُـواْ اللّـهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانـاً**﴾ **[الأنفـال:29]**، ويقـول: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً**﴾**[الطلاق:2]**، أي مخرجا من الضلال، ويقـول: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَـدُوا فِينَا لَنَهْـدِيَنَّهُمْ سُـبُلَنَا**﴾

[العنكبـوت:69]، ﴿فَهَدَى اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ لِمَا اخْتَلَفُـواْ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:213]، ولم يتركنا الله في تيه وعمى، بـل أوضـح اللـه السـبل، وبين الحجج، ولم يظهـر من أي فرقة من الفـرق أنهم بـذلوا وسـعهم في معرفـة الحق، بل قابلوا أهـل الحـق بنحـو مـا قـوبلت بـه الأنبيـاء صلوات الله وسلامه عليهم كما قد ذكرنا.

هــذا، وقــد يحصــل بعض تكريــرات لبعض الأدلــة في الكتــاب، وســببها أن بعض الأدلــة يكــون فيــه دلالــة في المســألة الأولى، والمســألة الأخــرى، والإحالــة على مــا مضى قد لا يفهمها بعض الطلبة، وبعضـها كـان لي كتـاب متقــدم فيــه جــواب على ســؤال ورد من بعض البلــدان، فــأُعْجِب بــه بعض الطلبــة، ورجحــوا أن يضــموا بعض المواضيع التي فيه مع هذا، وإن حصـل فيـه بعض تكـرار؛ لأنَّ في كل موضع زيادة فائدة ليست في الآخر.

وهــذا أوان الشــروع في المقصــود، ومن اللــه تعــالى نستمد العون والتأييد، وأن ينفع به إخـواني المؤمـنين، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، متقبلاً مذخوراً ليوم الدين.

كتاب التوحيد

6

1-الحمدُ للهِ في بدءِ النِّظَامِ وفي ... خَتْمِ المقالاتِ لا يُحْصَى لَهُ عَدَدُ

2-ولا لَهُ أَمَدٌ تُنْهِيهِ غَايتُهُ ... ولا تُحِيطُ بِهِ الأَقلامُ والمددُ

3-وهو الذي خلق الأشيا وأبدعها ... ولا يُشَارِكُهُ في خلقهاِ أَحَدُ

4- ولا لَهُ خَالِقٌ رَبٌّ فيعبدهُ ... ولا لَهُ أَوَّلٌ حَقًّا وَلا أَمَدُ

5-وليس جسماً له جرم ولا عرضاً ... وليس نوعاً ولا جنساً له عدد

6-وَلا يُشَابِهُهُ شَيءٌ وَلَيْسَ لَهُ ... أُمٌّ وصَاحبةٌ كَلاّ ولا وَلَدُ

هذا شـروع في بـاب التوحيـد، وفي هـذه الأبيـات ثلاث مسائل.

الأولى: إثبـــات الصـــانع، **الثانيـــة:** نفي التشـــبيه، **الثالثة:** إثبات القدم، وأنه لا يجوز عليه الفنى والعدم.

ولما كان الله لا يُعرف بالعيان، وإنما يعرف بالنظر في مخلوقاتـه الـتي تـدل على وجـود صـانعها لـزم أن نقـدم

موضــوعاً في استحســان النظــر، ووجوبــه، ثم نشــرح المسائل الثلاث.

فنقول: اعلم أيها الطـالب للنجـاة الـذي يحب لنفسـه الخير، ويكره لها جميع أنواع الشرور، الـذي يُتْعِبُ نَفْسَـهُ في هـذه الـدار، ويتحمَـلُ فيهـا المشـقات الشـاقة، الـتي يُبْهِظه حملُهَا، بل قد يُعَرِّضُها للأخطار والمهالك، من أجل طلبِ خيرٍ مرجو، قد يصيبه وقد لا يصـيبه، من أجـل خـيرٍ حقيرٍ تنتهي مدتُه، وتنقضي عدتُه، عمّا قليلٍ تفارقه.

وإذا أصــابك مــرضٌ أو عَــرَضٌ فإنَّك تَبــذُل الغــالي والـرخيص في محاولـة الخلاص مِمّـا أصـابك، وتبحثُ عن الأطبـاء الـذين لهم مهـارةٌ كاملـة في معرفـة الأمـراض والـدواء النـاجح، وتُسـافر الأقطـار، وتَتحمـل الْحُمـالات والمشقات، والغربة، من أجل رجاء، وأملٍ غيرِ مضــمون، للتخلص مما أصابك، أو أصاب أي أحبائــك، وأنت تعلم أنَّ لهذا البلاء مدة ينتهي بانتهائها ولا يدوم.

فـاعلم أنَّ الخـير الـدائم الـذي لا يُسْـتطاع أن يُعـرف مقداره والوصول إليه وهو محقق مضمون، والشر الدائم الـذي بلغت شِـدتُهُ غايـات الغايـات، أحـقُّ بـأن تَبحثَ عن السـبيل الـتي توصـلك إلى هـذا الخـير الكامـل الـدائم، وتصرف عنك هذا الشر الدائم، بكلِّ جدٍّ واهتمام.

وأن تَبحثَ عن أهل المهـارة والخـبرة الكاملـة، الأمنـاءِ الــذين لا يغشــونك ولا يخــدعونك، الــذين يوصــلونك إلى معرفة هذا السبيل، وتبذل كلما يستطاع بذلُهُ.

وتنظـر إلى أن لـك سـمعاً، وبصـراً، ولسـاناً، وعقلاً، وأيدياً، وأرجلاً.

وتعرف أنـك لسـت الـذي أوجـدت نفسـك، ولا الـذي أوجدت لها السمع، والبصر، والعقـل، واللسـان، وأن هـذا صنعٌ عظيمٌ، لصانع، قـادر، حكيم، بلـغ الغايـة في القـدرة والإتقان، لو اجتمع الإنس والجن على أن يخلقوا مثله مـا استطاعوا، وكذا الملائكة أيضاً، ولا أن يخلقوا جارحـة من هذه الجوارح.

ثم تنظر إلى ما خُلِقَ لك في هذه الـدنيا من الأغذيـة، والفواكـه، والمسـتلذات الـتي لا تسـتطيع أن تحصـيها، **﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّـهِ لاَ تُحْصُـوهَا إِنَّ الإِنسَـانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾** **[إبراهيم:34]**.

فـإذا عـرفتَ هـذا وتفكـرت في الأمم الماضـية الـتي عمـرت الـدور الشـامخة، وحـرثت، وجمعت الأمـوال، ثم أبادها، وأفناها، وأخرب دورَهَـا، وأبـاد أموالَهَـا، عـرفتَ أنَّ هذا هو الـذي بيـده الخـيرُ كلُّه، والشـرُّ كلُّه، وأنَّه الـذي لا يُغْلَبُ، ولا يُقْهَـرُ، فـإذا كنتَ تحبُّ الخـيرَ، وتكـرهُ الشـرَّ، فأقبل إلى معرفة هذا الذي تُذهل العقولَ قدرتُهُ البالغـة، التي لا يحاط بمقدارها.

واعلم أنَّ الإعراضَ عنه، والجهلَ بـه - وقـد أنعم عليـك بالنعم التي لَفَتْنا نظرك إلى التفكر فيها- قبيحٌ، وعيبٌ كبير، وأنَّ النظر في معرفته واجبٌ يَقْبُحُ الإخلالُ بـه، يعـرف هـذا البهائم - فضلاً عن العقلاء- فإنَّها تُقْبِلُ إلى مَن أحسن إليها،

وتعرفُه، وتَنفُرُ عن من أساء إليها وتُنْكِرُهُ، وكذا الأطفال.

سيما إذا أرسل إلينا رسولاً جامعاً لخصال الكمال، وأيَّدَه بالمعجزات التي لا يُطيقها البشر، يدعونا إلى الخير العظيم، ويحذرنا من الشر الذي لا يشبهه شر، فإنَّ الإعراض عن النظر في دعوته في غاية القبح من جهتين:

الجهة الأولى: الإعراض عن دعوة رسول هذا المنعم العظيم.

الجهة الثانية: تعريض النفس للعذاب الشديد الدائم، فإنه في غاية القبح.

فثبت بهذا وجوب النظر في دعوة هذا الرسول، فنؤمن بها إذا كان صادقاً، أو لا نؤمن بها إن كان كاذباً، فثبت بهذا وجوب النظر.

وقد أنكر الأشاعرة وجوب شكر المنعم، ووجوب النظر العقليين، وشككوا فيهما، وسنوردها إن شاء الله بصورة الفنقلة، ونجيب عنها، ونحتج على وجوب الشكر الذي يوجب النظر.

فنقول: لا شك أن بَيْنَ من أحسن إلى رجل، وتابع إليه الإحسان، ثم احتاج، أو طلب منه حاجة يسيرة، وبَيْنَ من طلبه تلك الحاجة، ولم يقع منه أي إحسان فرقاً جلياً؛ لأنَّ العقلاء يلومونه في الأول دون الثاني إن لم يقضها وهو مستطيع، وهذا معنى الوجوب العقلي، وهو استحقاق الذم، وإنكاره إنكار للضرورة.

فـإن قيـل: إنمـا يجب مـع الطلب، فمجمـوع الأمـرين يوجب الشكر.

قيل له: الطلب ليس له أي تأثير، وإنما التـأثير للنعمـة كالدَّين، والوديعة مع أنه قد طلب بإرسال الرسل وإنـزال الكتب.

ألا ترى أن من طلب -وليس له أي هذه ونحوهـا ممـا يوجب لصاحبها حقاً- لم يثبت لـه أي شـيء، فالنعمـة هي التي أوجبت لصاحبها حق الطلب، ولا يسقط الحق بتركه كالدَّين سواءً سواء، غاية الأمر أنه يتضيق بالطلب.

فإن قيل: لا يجب النظر إلا إذا علمنا أن ما وصل إلينـا من المنافع نعمة، وهو يحتمل الاستدراج، ولا نعـرف أنهـا نعمة إلا إذا عرفنا الله، وأنه عدل حكيم غـني، ولا نعـرف هذا إلا بالنظر، فيلزم الدَّوْر.

قيل له: يلـزم النظـر مطلقـاً، لنعـرف هـل هي نعمـة؟ فنؤدي مـا يجب علينـا من الشـكر، أم اسـتدراج؟ فنكـون مطمئـنين من تـرك الشـكر؛ لأنَّه لم يجب فنؤديـه. وهـذا على فرض تسـليم الاحتمـال؛ لأنَّ الاسـتدراج إنمـا يفعلـه الضعيف العاجز من إيصال ما ظاهره الخـير والنعمـة إلى من يريد أن يضره به كما يفعله الصياد من وضع الطعــام في الشبكة، وما يفعله العدو لعدوه من تقريبه له الطعام الشهي، وقد وضع فيه السم.

ولا يحتاج إلى هذه الحيلة الضعيفة خالق الكون، وكيف لا ينــال غرضــاً منَّا، وقــد خلقنــا، وأَمْرُنــا تحت إرادتــه

وتصـرفه، حياتنـا، وموتنـا، وسـمعنا، وبصـرنا، وعقولنـا، وظاهرنـا، وباطننـا، وطعامنـا، وشـرابنا، وجميـع أحوالنـا، كيف لا ينال غرضاً حقيراً إلا بهـذه الحيلـة الضـعيفة الـتي تدل على العجز، وتنافي القدرة، والحكمة؟!.

وكلمـا يُقَـدَّر من الأغـراض الـتي قـد تحصـل لـه منـا لا يساوي عشر معشار ما أوصـله إلينـا من النعم، دع عنـك خلقنا، وما يشتمل عليه كـل واحـد منـا من النعم الـتي لا يساويها العالم ألف مـرة من السـمع، والبصـر، والأيـدي، والأرجـــل، واللســـان، والعقـــل، وغيرهـــا، ويلـــزم من الاستدراج الحاجـة؛ لأنَّ الأغـراض الحِكْمِيَّة ممتنعـة معـه، وما أشبه هذا الاسـتدراج بمن لـه شـجرة عنـد داره فيهـا ثمر ضعيف يناله من داره بأسهل الوسـائل، ثم بـنى داراً عظمى عندها لينال تلك الثمرة، وما يحصـل من الثمـر لا يساوي عشر معشار ما ينفق في أساس تلك الدار فضلاً عما ينفقه في بنيانها، وإن كانت نعم الله لا تقدر بمقـدار، مع أن الواقع قـد كشـف لنـا أنـه لم يحصـل من اللـه أي اسـتدراج لا في أنفسـنا، ولا في من قـد عرفنـا ممن قـد انقضـت حيـاتهم، وانتهت مُـدَّتهم، ولا قـد سـمعنا بـه، ولا حُكِيَ لنا فيمن مضى قبلنا، وقد كشف لنـا التـاريخ كثـيراً من حيل الملوك، والرؤساء واستدراجاتهم، ولم نسمع به في رب العالمين.

ومن الأدلة على وجوب شكر المنعم أنَّا عبيد مملوكون لله، ولم نر شيئاً استحق به المُلكية سوى خلقه لنا مع مـا

اشتمل عليـه الخلـق من المنـافع العظـام، مثـل: السـمع، والبصر، والعقل، و اللسان، وغيرها، وليس الخلق لغــرض راجـع إلى نفسـه؛ لأَنَّه غـني بـل لغـرض راجـع إلينـا وهـو النعمة والإحسـان، فـإذا اسـتلزمت هـذه النعمـة المُلكيـة، والعبودية فبالأولى الشكر.

وإذا تـأملت القـرآن، وبعض مـا ورد في السـنة وجدتـه يجعـل الطاعـات والعبـادات كلهـا شـكراً، ويوجبهـا لأجـل الشكر؛ لأَنَّه يذكر النعمـة، ثم يسـتنكر على عـدم الشـكر عليهــا، ويــوبخ، ولا فائــدة في ذكــر النعم وتعــدادها ثم يسـتنكر ويـوبخ على عـدم الشـكر عليهـا لـو لم تكن هي توجب الشكر، ولو كانت العقول لا تدرك ذلك كان ذكرهــا عبثــاً عَرِيًّا عن الفائــدة قــال تعــالى: **﴿اعْمَلُـوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾** [سبأ:13]، **﴿لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾** [النمـل:40]، **﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسَـانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـاهُ سَـمِيعاً بَصِـيراً2 إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً3﴾** [الإنسـان]، **﴿وَضَــرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَــةً كَــانَتْ آمِنَــةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَـرَتْ بِـأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾** [النحل:112]، **﴿لإِيلافِ قُرَيْشٍ1 إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّـيْفِ 2 فَلْيَعْبُـدُوا رَبَّ هَـذَا الْبَيْتِ3 الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُــوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَــوْفٍ4﴾** [قـــريش]، **﴿يَا بَنِي إِسْــــرائيلَ اذْكُـــرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ**

وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ [البقرة:40]، **يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** [البقرة:47]، **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ** [المائدة:20]، **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ** [البقرة:152]، **لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ** [إبراهيم:7]، **هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ** [الرحمن:60]، وقال تعالى: **وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً** [الأحقاف:15]، فلولا أن نعمة الوالدين هي العلة في وجوب شكرهم لم يكن لقوله: **حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً..** الخ، فائدة.

وقال تعالى: **وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنُ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ14 وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً15** [لقمان]، بدأ بذكر نعمة الأم أولاً، ثم أمرنا بالشكر عليها، ولم يرخص لنا في ترك الشكر، وإن دعوانا إلى الكفر.

وقال تعالى: **﴿قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾**[الشورى:23]، فجعل مودة القربى جزاء نعمة النبي ÷.

وقال النبي ÷: **((أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي))**[1] وهذا نص صريح، فجعل ما يغذونا به من النعم هو العلة في وجوب حب الله، وحب النبي وأهل بيته صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وسلم.

وقال تعالى: **﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾**[الإسراء:23]، إلى أن قال: **﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾** [الإسراء:24]، فجعل تربيتهما هي العلة في التوصية بهما.

وقال تعالى: **﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾** [التكاثر:8]، وأي فائدة في السؤال عنه لو لم يكن موجباً

---

[1] (؟) - تيسير المطالب - (ج 1 / ص 340) مناقب أمير المؤمنين (ع) للكوفي - (ج 2 / ص 154) لوامع الأنوار - (ج 1 / ص 491) شعب الإيمان للبيهقي - (ج 3 / ص 418) حلية الأولياء - (ج 3 / ص 211) فضائل الصحابة - (ج 2 / ص 986) العلل المتناهية - (ج 1 / ص 267) بحر الفوائد المسمى بمعاني الأخيار للكلاباذي - (ج 1 / ص 2).

للشكر عليه.

وقال تعالى: ﴿**وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ**33 وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ34 لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ35﴾ [يس]، وقال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ**71 وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ72 وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلا يَشْكُرُونَ73﴾ [يس]، وأي فائدة في تعداد النعم ثم تعقيبها بالاستنكار والتوبيخ على عدم الشكر عليها لو لم تكن توجب الشكر، وأنا نعرف ذلك بعقولنا، وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ**﴾ [المائدة:11]، ونحو ذلك في القرآن كثير.

[المسألة الأولى في إثبات الصانع]

إذا عرفت هذا فليس لنا طريقٌ إلى معرفة الْمُرْسِلِ بالمشاهدة، ولو كان يُعْرَفُ بالمشاهدة لم تحتج الرسل إلى المعجزات، فليس لنا طريق إلى معرفته إلاَّ النظر فيما خلق وأودع في هذا العالم من الأجسام والأعراض؛ أمَّا حدوث المشاهَدات اليومية فهو مدرك ضروري لا يحتاج إلى نظر، وأما غيرها فلا يمكن إثبات حدوثه إلا بالنظر لأنا لم نشاهد خلق السموات والأرض والجبال والبحار

والشـــمس والقمــر والكــواكب، ولا يمكننــا أن نَحْتَجّ على حــدوثها وخلقهــا بنحــو قولــه تعــالى: ﴿**اللَّهُ خَـالِقُ كُـلِّ شَيْءٍ**﴾[الرعد:16]، ﴿**لَخَلقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْـقِ النَّاسِ**﴾[غـافر:57]، ونحوهـا على الكفـار الملحـدين، والذين ينكرون حـدوث العـالم، وينكـرون الـرب جـل وعلا؛ لأنَّ كلامه تعالى لا يكون حجة إلا إذا ثبت وجوده، وأنه عدل حكيم، ولا يثبت ذلك إلا إذا ثبت حدوث العالم فيلزم الــدَّوْر؛ لأنَّ حدوث العالم مترتب على إخباره، وحجية إخباره مترتبـة على معرفة وجوده عدلاً حكيماً، ومعرفة وجوده مترتبـة على حدوث العـالم والـدعاوى -مجـردة عن البرهـان- لا تثبت بهـا حجـة، وإلا لـزم صـحة دعـوى من ادعى قـدم العـالم، ومن ادعى حدوثـه، فيلـزم أن يكـون العـالم محـدَثاً قـديماً، وهـو محال، ولهذا ندبنا الله سبحانه إلى النظـر والتفكـر في كثـير من آي القرآن كقوله تعـالى: ﴿**أَفَلا يَنْظُـرُونَ إِلَى الإِبِـلِ كَيْــفَ خُلِقَتْ**﴾ [الغاشـــية:17]، ﴿**فَلْيَنظُــرِ الإِنسَــانُ إِلَى طَعَامِهِ**﴾ [عبس:24]، ﴿**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا**﴾ ﴿**وَمِنْ آيَاتِـهِ**﴾ ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**﴾ [البقرة:164]، ونحوها.

فنظرنــا إلى اختلاف الســموات، والأرض، والجبــال، والبحار فإذا هـو يـدل على حـدوثها، وعلى أنـه محـال أن يكون العالم قديماً مـع هـذا الاختلاف، وأنـه لا بـد لهـا من صانع خلقها، وخالف بينها، ووجدنا الاختلاف في مقاديرها، وألوانها، ومحالِّها، وغير ذلك.

بيانه: أنـا وجـدنا جبلاً طـويلاً، وجبلاً قصـيراً، وعريضـاً،

وغير عريض، ووجدنا الطويل كان يمكن أن يكون قصيراً، والقصـير كـان يمكن أن يكـون طـويلاً، وكـذا العـريض والدقيق، وهذا الإمكان ضروري لا شك فيه، ولا مخصـص لجعله على مقدار دون مقدار إلا اختيار صانعه.

وكـذا الأرض إذا كـان مقـدار عرضـها ألفي ميـل مثلاً فيجـوز في العقـول أن تكـون أكـثر وأقـل، ولا مخصـص لجعلها على مقدار دون مقدار إلا اختيـار صـانعها، فثبت أن كل مقدر لا بد له من مقدِّر يقدِّره وصانع يصنعه.

وأمـا الاختلاف في الألـوان فإنـا وجـدنا حجـراً سـوداء، وأخرى بيضاء، وحمراء ونحو ذلك.

وطينة بيضاء، وسوداء، وحمراء، وصـفراء، وكـان يمكن أن تكـون السـوداء بيضـاء والعكس، ولا يجـوز أن تكـون البيضـاء بيضـاء -وهـو يجـوز العكس- إلا بمخصـص، واختيـار مختـار، ولم نجـد شـيئا أوجب هـذا الاختلاف إلا الصـانع المختار.

وكذا وجدنا حجراً صلبة ملسـاء، وغـير ملسـاء، وحجـراً غير صلبة خشنة، وغير خشنة، فلا بـد من مخـالف خـالف بينها.

وأما الاختلاف في المحالِّ فإنا وجدنا السـماء مرتفعـة، والأرض منخفضة، ووجدنا الجبل في محل والصـحراء في محل، وكان من الممكن أن تكون الصحراء محل الجبـل، والجبـل محـل الصـحراء، والسـماء منخفضـة، والأرض مرتفعـة، ولا مخصـص، فهـذه الصـفات والأعـراض الـتي

أوجبت حدوث الأجسام والأعراض، وأن لها صانعاً مختاراً.

وقد أشار الله سبحانه إليها في القرآن نحو قوله تعالى: **﴿أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الإبل كَيْفَ خُلِقَتْ17 وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ18 وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ19 وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ20﴾** **[الغاشية]**، فدلنا على أن الاختلاف في الكيفيات دليل على أنه لا بد لها من صانع، وإلا كانت الآية عرية عن الفائدة، وكذا قوله تعالى: **﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّختَلِفٌ أَلوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ27 وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ28 إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ29 ﴾** **[فاطر]**، فنبهنا على أن الاختلاف يدل على حدوثها، وعلى قوة صانعها، وعلمه بكيفية الصنع وحكمته.

وأيضاً: فإنَّ العالَمَ أجسامٌ، وأعراضٌ، **فالجسم:** هو الذي يشغل المكانَ طولاً وعرضاً وعمقاً، **والأعراض:** صفات ذلك الجسم، كالحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، والصَّلابة والرخاوة، والخشونة والملاسَة، واللذة والألم، والشهوة والنفرة، والمحبة والكراهة، والغمِّ والسرور، وكذا سائرها.

فالأجسام لا تخلو: إمَّا أن تكون ساكنة، أو متحركة، ولا يصح أن تكون لا ساكنة ولا متحركة.

والحركة: انتقال الجسم من محل إلى محل.

والسكون: لبثه في محل ولو يسيراً.

والذي يـدل على حـدوث الحركـة والسـكون أنَّ الحركـة تكون بعد السكون، والسكون بعد الحركة، فثبت أنـه يحصـل كـل واحـد منهمـا بعـد عدمـه، وهـذا عين الحـدوث، فثبت حدوثُهُما، وهما ملازمان للجسم، لا ينفكّ عن أحـدهما، فلـزم حدوثُهُ.

بيان التلازم: أن الجسم إذا جازت عليه الحركة جاز عليـه السـكون، ومن جـازت عليـه الحركـة فلا يجـوز أن يخلـو عنهـا، أو عن نقيضـها، وهـو السـكون، فـإذا كـان ملازمـاً لأحـدهما وهمـا محـدَثان لـزم أن يكـون محـدَثاً مثلهمـا؛ لأنَّ مـا لازم الْمُحْـدَثَ مُحْـدَثٌ مثلـه، وإلاَّ انتفى التلازم.

فثبت حدوث الأجسام، والأعراض؛ لأنَّهما متلازمـان، وأنَّ لهما صانعاً، مختاراً؛ لأنَّ الدليل قد أوجب الاختيار، ولا يكون الاختيار لعلة غيرِ حيةٍ، ولا قادرة.

ودليل آخـر على حـدوث الأجسـام: أنَّ الأجسـامَ مُلازِمَةٌ لإمْكـانِ الزيـادةِ والنقصـان، والإمكـان ملازم لهـا، وكذا الجمع والتفريق.

بيان ذلك: أنَّ الجسم إذا كان طوله خمسـين ذراعـاً، فإنَّه يجـوز أن ينقص منـه عشـرة، فيصـير أربعين، وأن يزداد عشرة، فيصير ستين.

وأمَّا الجمـع، فإنَّه من الْمُمْكِنِ أن تضـم حجـراً على حجـر، فتصـير داراً، وأن تهـدمها وتفـرق أحجارهـا، وهـذا نفسه عين الزيادة والنقصان.

ومعنى الإمكان: أنَّه ليس بمحال.

يـبين ذلـك ويزيـده توضـيحاً: أنَّ الأجسـامَ بعضُـهَا كبـيرٌ، وبعضُـهَا صـغيرٌ، وبعضُـها متوسـط، فـالكبيرُ زائـدٌ، والصغيرُ ناقص، والمتوسطُ أنقص من الكبير، وزائـد على الصغير، فقـد حصـلت الزيـادة والنقصـان في المتوسـط، والزيادة في الكبير، والنقصان في الصغير.

ومعنى الإمكان: أنَّ الجسـمَ قابـلٌ لهـا، لا ينفـكُّ عن قَبولها، فلو كان لا يمكن ولا يجوز، لزم أن تكونَ الأجسامُ كلُّهَا على مقاسٍ واحد.

فثبت أنَّ الأجسـامَ ملازمـةٌ لجـواز الزيـادةِ والنقصـانِ، والجمـعِ والتفريـق، والزيـادةُ والنقصـانُ والجمـعُ والتفريـقُ مُحْدَثَاتٌ، وما لازم الْمُحْدَثَ فهو مُحْدَثٌ مثله.

[المسألة الثانية: إثبات القدم]

وهو أن نقول: إنَّ الأشياءَ لا يَخلو كلُّ واحدٍ منها: إمَّا أن يكون جائزَ الوجود، أو واجبَ الوجود.

ومعنى جائز الوجود: أنَّه يجـوز عليـه العـدم والوجـود، ولا ينفكّ عن هذه الصفة.

ومعنى واجب الوجود: أنَّ الوجـود لا يَنفـكُّ عنـه، لا في الماضي، ولا في المستقبل، ولا في الحال، ولا يَجــوزُ عليه العدم بحال من الأحوال، ولا يَثبت لذات أنهـا جـائزة الوجود، أو واجبة الوجود إلاَّ ببرهان.

أمَّا الأجســام فقــد دللنــا فيمــا مضــى أنهَّا مُحْدَثَـةٌ، والْمُحْدَثَـةُ جـائزة الوجـود، وكـذا الأعـراض؛ لأَنَّهـا صـفات الأجسام، فإذا ثبت حدوث الأجسام ثبت حدوثها.

ونزيده وضوحاً: أنَّ الجسم إذا كان طوله مثلاً عشرين ذراعاً، فكان يجوز أن يكون عشرة أذرع، فإذا جاز فقد جاز على نصفه العدم، وإذا جاز على النصف جاز على الكل؛ لأنَّه يجوز أن يكون النقص أي نقص النصف من أسفله، ويجوز أن يكون من أعلاه، فإذا جاز النقص -وهو العدم- على الجهتين فقد جاز على الكل، فإذا جاز العدم عليه؛ فوجوده جائز لا واجب، فإذا كان جائزاً فلا يصح ولا يمكن خروجه من العدم إلى الوجود إلاَّ باختيار مختار، فاحتاج إلى صانع.

والصانع لا يَخلو إمَّا أن يكون جائزَ الوجود، أو واجبَهُ.

إن كان جائزَهُ، احتاج إلى صانع، ولزم إمَّا التسلسل، أو التحكم، وكلاهما محال.

والتحكم: أن نقتصر على عدد من الصانعين بدون برهان، فنقول مثلاً: الرابع، أو الخامس، أو نحو ذلك واجب الوجود، فهذه دعوى باطلة، وتخصيص بدون مخصص، وترجيح بدون مرجح.

والتسلسل: ألا نصل إلى نهاية، ووجود العالَمِ يستلزم النهاية، فيلزم أن تكون الآلهة منتهية وغير منتهية، وهذا تناقض وهو محال، وهذا المحال الذي لزم بالتسلسل.

ولم يدل الدليل إلاَّ على صانعٍ واحدٍ فيجب الاقتصار عليه، وأنَّه واجب الوجود.

[المسألة الثالثة نفي التشبيه]

فتَحَصَّل من هذا أنَّ الذوات ثلاث: الأجسام والأعراض

ذاتان، وهما مُحْدَثتان.

فالجسم: الذي يشغل المكان طولاً، وعرضاً، وعمقاً.

والعَرَضُ: الذي لا يستقل بنفسه، ولا بد له من جسم يحل فيه؛ لأنَّه صفته.

وقد دللنا على حدوث الأجسام، فيلزم حدوث الأعراض؛ لأنَّها **صفاتها، ولا تستقل بنفسها، ولا يمكن صفة بدون موصوف، كالألوان،** والصلابة، والرخاوة، والرطوبة، واليبوسة، مع أن هذه تَعْدَمُ بوجودِ أضدادها.

وأمَّا الحركة والسكون، والشهوة، والنفرة، والمحبة، والكراهة، والإرادة، والظنونات، والوهومات، والعلم، واللذة، والألم والسرور، والهم، والغم، ونحوها فحدوثها ضروري، وهما جائزتا الوجود؛ لأنَّ الوجود قد تخلف عنهما قبل وجودهما.

والذات الثالثة: ذات الصانع، وهي واجبة الوجود، فلا يصح أن يتخلف عنها الوجود لا في الماضي، ولا في المستقبل، فهو الأول الذي ليس لأَوَّلِيَّتِهِ أوَّل، والآخر الذي ليس لآخريته آخر، ولا يُشابه المخلوقات؛ لأنَّه لو شابهها كان مُحْدَثاً مثلها.

فلا يصح أن يكون في مكان؛ لأنَّه يكون مُقَدَّراً، ولا يمكن أن يكون على مقدار دون مقدار، إلاَّ باختيار مختار، كما قدمنا.

ولا أن يكون له وجه، أو يد، أو عين، أو أي جارحة

حقيقة؛ لأنَّها تكون مُقَدَّرَةً مُكَيَّفَةً.

ولا يجوز أن يكون على مقدار دون مقدار، وهو يجوز عليها مقادير كثيرة، ولا كيفية دون كيفية إلاَّ باختيار مختار، فيمكن أن تكون العين صغيرة، وكبيرة، ومتوسطة، وعلى مقادير كثيرة، وأن يكون لونُها أسود، أو أخضر، أو أزرق، ولا يمكن أن تكون على لون دون لون، ولا على مقدار دون مقدار إلاَّ باختيار مختار.

وكذا الوجه واليدان، لا يمكن أن يكون الواحد منها على مقدار دون مقدار، ولا لون دون لون، وهو يمكن العكس، أو الضد إلاَّ باختيار مختار، فيلزم إذاً أن يكون مخلوقاً ضعيفاً، يتحكم فيه خالقه.

فإن قيل: فإنه قد ورد في القرآن أن له وجهاً وعيناً ويداً وجنباً ونحو ذلك.

قيل له: القرآن عربي، وفي لغة العرب الحقيقة والمجاز، فإن حملناه على حقيقته؛ فهو عين التشبيه، وصار هذا يتناقض مع قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى:11]، ومع حجج العقول كما قدمنا، وإن حملناه على المجاز لم يحصل التعارض والتناقض، وهو الذي نريد، ويوافق قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً**﴾ [النساء:82]، وسيأتي لهذا مزيد بحث إن شاء الله تعالى.

هذا ولما كنا قد بينا أنه تعالى ليس بجسم، فلا يصح أن نثبت له صفةً من صفات الأجسام، وهي الأعراض

المحدثــة؛ لأنهــا تســتلزم الحــدوث، فلا نصــفه بلــون ولا حرارة، أو برودة، أو صلابة، أو رخاوة، أو شهوة، أو نفرة، أو ألم، أو ســرور، أو حركــة، أو ســكون؛ لأَنَّه إذا جــازت عليه صفة من هذه الصفات جاز عليه ضدها، ولا مخصص لإحــداهما من الأخــرى إلا الصــانع المختــار، فيحتــاج إلى صانع، ولزم حدوثه.

ولأنه يلزم أن يكون جسماً؛ لأَنَّها لا تحل إلا في جسم.

ولأن الحركــة والســكون محــدثتان، فــإذا جــازت عليــه الحركة جاز عليه السكون، ومن جازت عليــه الحركــة فلا يجوز أن يخلو عنها أو عن نقيضــها، وهــو الســكون، وهمــا محدثان، فإذا كان ملازماً لأحدهما وهما محــدثان لــزم أن يكون محدثاً مثلهما.

فــإذا ثبت هــذا فلا يصــح أن يقــال: إن اللــه يصــعد، أو ينــزل، أو ينتقل من مكــانٍ إلى مكــان، أو أنــه في مكــان؛ لأنَّ اللُبث في مكان سكون، والانتقــال حركــة، فلا بــد لــه إذاً من أحدهما، فيكون ملازماً له لا انفكــاك لــه عنــه؛ لأَنَّه لا يعقل من جاز عليه السكون والحركة أن ينفــك عنهمــا، بل لا بد له من أحدهما، وهما محدثان كمــا ســبق، فيلــزم حدوثه، مع أن كل محدود لا يعقل إلا متحركاً أو ساكناً.

ولا يمكن أن يشابهه شيء من المخلوقين في صــفاته، ولا يشابههم في صفاتهم؛ لأَنَّه لو شابههم للــزم أن يكــون مخلوقاً، ضعيفاً، عاجزاً، محتاجاً، فيَنْزل من مرتبة الإلهية، التي حاز بها غايات صــفات الكمــال، إلى مرتبــة العبوديــة

الضعيفة.

فكيف نَصِفُه بصفةٍ لا يقدر معها على خلق خردلة؟! وهو القادر على خلق كل شيءٍ، ولا يعلم معها إلاَّ أشياءَ محدودة، وهو عالِم الغيب؛ لأنَّ صفات المخلوقين يلزم منها الحدوث، فيلزم ما ذكرنا، ولهذا قال الله سبحانه وتعالى: **يَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً90 أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَداً 91 وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً92** [مريم]؛ لأنَّه يلزم منه ما ذكرنا.

وأما أنه لا يشابهه أحد في صفاته؛ فلأنَّ الواقع المشاهَد عدم المشابهة، وليس أحدٌ يدّعي ذلك، فليس أحدٌ يدّعي أنّه يعلم الغيب، ولا أنَّه يقدر على كل شيء، ولا أنّه لا تخفى عليه المسموعات، والْمُبْصَرَات، ولا أنَّه قديمٌ لا أول له، بل ذلك معلوم ضرورة.

وأمَّا أنَّه لا ندَّ له ولا شريك، -أي المذكورة في الأبيات- فلأنَّه لو كان له شريك لأتتنا رسلُهُ، وكتبُهُ.

ولأنَّه لم يقم برهانٌ إلاَّ على صانع واحد، ولا يُمكن إثبات صانعين، أو ثلاثة، أو أربعة، أو عشرة، ولا أقل، ولا أكثر إلاَّ ببرهان، ولم يقم دليل إلاَّ على واحد، وهذا كاف في إبطال دعوى من يدعي وجود الشريك، وبه يثبت التوحيد.

وأما الدليل على امتناع الشريك، وعدم إمكانه: فلأنَّه لو فُرِضَ إمكان اثنين، أو أكثر، فلأنه يلزم انفصال كل واحد منهما عن الآخر، والانفصال يلزم منه أن يكونا

محدودين، وقد أثبتنا فيما مضى أن كل محدود محدَث بما لا مزيد عليه، فتبطل إلاهيّتهما إذاً، وبهذا تعرف أنه لا يمكن القدم إلا لذات واحدة.

ولأنَّه لَم يدّعها أحدٌ إلاَّ فرعون، والنمرود، والمشركون، وكذا دقيانوس، وغيرهم، وهم أجسام وأعراض محدودة مُكَيَّفَةٌ، وقد أوضحنا أنَّ كل ما كان كذلك فهو مُحْدَثٌ، وقد ماتوا وذهبوا.

وأمَّا أصنام المشركين فهي مع ما ذكرنا جمادات، لا تنفع ولا تضر، وكل إله يُدَّعَى فهو محدودٌ مُكَيَّفٌ مثلها، مُحْدَثٌ جائزُ الوجود، واللَّهُ تعالى واجب الوجود، لا يصح عليه العدم، وهذه مُحْدَثَةٌ وقد عدمت.

[الجواب على الملاحدة]

7-تباً لمن قال إنَّ الطبعَ أحدثها ... أو غيرَهُ، ولصنع اللهِ قد جَحَدوا

8-ففي تَنُّوعِهَا أيضاً وحِكْمَتِهَا ... إبطالُ ما زعموا فيها وما اعتقدوا

9-فهل جمادٌ لهذا الكونِ يُحْدِثُهُ؟! ... لو حاول العقلاءُ الدهر واجتهدوا

10-مع اجتماعِهِمُو في خلقِ خَرْدَلَةٍ ... أو ذَرَّةٍ ما أَطاقوه، وإنْ جَهِدوا

في هذه الأبيات إبطال ما زعمته الملاحدة من أن الذي أثّر في العالم طَبْع، أو علة، أو نجم، أو فلك، أو

نفس فلك، أو غيرها.

أمَّا الحوادث اليومية التي نشاهد حدوثها فحـدوثها ضـروري لا يحتاج إلى نظر.

وكونُها وجدت مختلفة متنوعة محكمة متقنة في غاية الإحكام والإتقان، وعلى قانون الحكمـة والمصـلحة، ينفي كون المؤثر فيها جماداً كما تزعمه الملاحدة من طبــع، أو علة، أو نجم، أو فلك، أو نحو ذلك؛ لأنَّ الإحكـامَ والإتقـانَ يَتنافيـان مـع هـذه المـؤثراتِ المزعومـة؛ لأنَّ الإحكـامَ والإتقـانَ لا يكـون إلاَّ من قـادرٍ عـالمٍ مختـارٍ، حيٍّ، وليس في الجمادات هذه الصفات، ولو كانت الجمادات لها تأثيرٌ _على فرض_ لكان عشوائياً.

كيف والجن والإنس والملائكـة لا يَقـدرون على خلـقِ أضعفِ مخلوقٍ من هذه المخلوقات، مع أنهم قـد اتصـفوا بالقدرة، والعلم، والاختيار؛ لأنَّ قدرتهم مخلوقةٌ، خصصـها خالقُها فيما أراد، فكيف بجماد لا يقدر ولا يعلم، وليس له حياة ولا اختيار.

[الحكمة في كون المخلوقات على قوانين وأسباب]

وإنما غَرَّ هؤلاء أنَّ الله تعالى جعل المخلوقات في هذه الدار على قوانين وأسباب، ليهتدي كلٌّ منا إلى ما يريد.

فجعل الحيوانات تتوالد من ذكر وأنثى من ذلك النوع، فمن أراد الإبـل عمـد إلى ذكـر وأنـثى منهـا، وكـذا البقـر والغنم وسائر الحيوانات.

ومن أراد البرّ، أو الذرة، أو الشعير عمد بذر ذلك المقصود.

ومن أراد الفواكه عمد إلى غرسة من ذلك النوع الذي يريده، ولو لم يجعلها الله تعالى على هذه القوانين والأسباب لم يهتدِ الناس إلى ما يريدون في معايشهم.

وليست هذه أسباباً موجبة، فتارة تُنتِج النعجة ذكراً، وتارة أنثى، وقد تنتج اثنين أو ثلاثة، وتارة لا تُنتِج، وكذا سائر الحيوانات.

ولو كانت علةً موجبةً لكان الإنتاج نوعاً واحداً لا يختلف.

وكذا البذور، والأشجار تارة تَنبُت، وتارة لا تَنبُت، وقد تحيى الأشجار المغروسة، وقد لا تحيى، وقد خلق آدم من طين، وحواء من آدم، وعيسى من غير أب، وناقة صالح من جبل، والجآنّ من مارج من نار، فبهذا تعرف أن هذه ليست عللاً موجِبة.

هذا، وأما غير الحوادث اليومية من أصناف العالم كالسماء، والأرض، والنجوم ونحوها، **فالجواب عليهم من وجوه**:

الأول: أنا ننكر وجود بعضها فضلاً عن تأثيرها، وليس لهم دليل على وجودها، وإنما هي دعوى مجردة عن البرهان، وكل دعوى بدون برهان فهي باطلة، وإلا لزم التناقض بين من يدعي نجماً ومن يدعي علة، أو طبعاً، أو

صانعاً، أو نحو ذلك؛ لأنَّ الذي قال: علة مناقض لمن قال: نجماً، وكذا البواقي، وقس على هذا كل دعوى.

الثاني: أنه لا يصح أن يكـون العـالَم مـع اختلافـه لعلـة واحــدة على فــرض إمكانــه؛ لأنَّ العلــة ليســت صــانعة مختارةً، حتى توجد أشياءَ مختلفةً كالنار، إنمـا يلـزم منهـا إحراق ما وقع فيهـا، أو تـؤثر في حرارتـه، ولا يوجـد منهـا بقر، وغنم، وإبل وكذا سائر الموجودات.

ولا لعلل متفقة كنار، ونـار، ونـار؛ لأنَّ مؤثراتهـا سـواء، فيلزم أن يكون العالَم نوعاً واحداً إذا كان المؤثر علـة، أو عللاً متفقة.

فإن قالوا: الذي أَثَّرَ في العالَمِ عِلَلٌ مختلفة، احتــاجت العلـل إلى مَن يُخـالِفُ بينهـا، كمـا احتـاج العـالم إلى من يخالف بينه.

فإن قالوا: الذي خالف بين العلـل علـة أو علـل، عـدنا الكلام معهم في العلة، أو العلل، وهو أن العلـة الواحـدة، أو العلل المتفقة لا تؤثر إلاَّ في مؤثراتٍ متفقة.

فإن قالوا: مختلفة، احتاجت إلى مخالف يخالف بينهـا، فإما أن يتسلسل الكلام وهو محال، وإما أن يضطروا إلى صانع مختار بطلت العلل، ورجعوا إلى قولنا.

فإن قالوا: المختلفة لا تحتاج إلى مخالف خالف بينها.

فلنا جوابان:

الأول: أن العـالَمَ إذا احتـاج إلى مـؤثر لاختلافـه فالعلـل مثله، والفرق تحكم.

والجواب الثاني: أنه لا يصح أن تكون مختلفـة وكـان يمكن أن تكـون متفقـة، ولا متفقـة أيضـاً وكـان يمكن أن تكون مختلفة إلاَّ باختيار مختار.

فـإن قيـل: العـالَمُ قـديم، وإنَّمـا هـذا في الحـوادث المشاهدة اليومية.

قيل لهم: لا يصح أن يكون قديماً مع اختلافه، مـع أنَّ في كلِّ صنفٍ منه ما يدل على حدوثه.

الثالث: أن العـالم بلـغ الغايـة في العظمـة، والإحكـام، والإتقان، عجزت العقلاء والعلماء عن الاطلاع على جميـع غرائبه وعجائبه، فقد بلغت قدرة صانعه وعلمه، وحكمته، وإتقانه غايات الغايـات، كيـف ولـو حـاول العلمـاء، وأهـل الصناعات البالغـة من الملائكـة، والجن، والإنس على أن يخلقوا مثل أضعف خلقـه مـع اجتمـاعهم لم يقـدروا، ولن يقـدروا، فكيـف بجمـاد ليس لـه حيـاة، ولا قـدرة، ولا علم يخلق أو يؤثر في إيجاد هذا العـالم المختلـف المتقن غايـة الإتقان، فلقد بلغ المدعي لهذا في غاية الغباوة، والحمـق، وأعظم منه في الغباوة، والحمق الذي يصدق دعواه بدون حجـة، ولا برهـان، ومـا أظن الـذين أسسـوا هـذا بأغبيـاء، ولكنهم المترفون يخافون على مناصبهم أن يأخذها عليهم الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه وهكـذا الـدهر إلى يـوم القيامة، وأعانهم على ذلـك عُبَّاد الـدرهم، والـدينار، والجم الغفـير هَمَجٌ رُعَـاع أتبـاع كـل نـاعق ﴿**وَجَحَـدُوا بِهَا وَاسْـتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُـهُمْ ظُلْمـاً وَعُلُـوًّا**﴾ [النمـل:14]،

وسيندمون يوم لا ينفع الندم ﴿**إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ 166 وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوْا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ167**﴾ **[البقرة].**

[الفرق بين الفاعل المختار والعلة]

هذا والفرق بين العلة، والفاعل المختار من وجوه:

الأول: أن الفاعل لا بد أن يكون حياً قادراً عالماً يفعل ما يريد، ويترك ما لا يريد، والعلة المؤثرة على قول من يقول بها ليست حية، ولا قادرة، ولا عالمة، ولا مختارة، بل تأثيرها عشوائيٌ، تأثير وجوب، لا يمكن تخلفه عنها، وإنما تأثيرها ملازم لها لا يمكن أن يتخلف عنها، وإلا لم تكن علة فيه.

وذلك كقول المعتزلة إن الجسم مؤثر في التحيز، وإن القدرة علة مؤثرة في القادرية، والعلم في العالمية، والحياة في الحيية، وقد شرحنا كلامهم، وأبطلناه.

وكذا النار فإنها ملازمة للحرارة وإحراق ما وقع فيها، وليس لها اختيار، ولهذا تحرق من وقع فيها سواء كان يستحق الإحراق أم لا.

وكذا السم يضر من دخل فيه.

ويقولون: إن الذي أثر في العالم علة كهذه العلل أوجبت وجوده، ولا يمكن أن يتخلف عنها، ولو تخلف عنها

لم تكن علة فيه؛ لأنَّ من شأن العلة أن لا يتخلَّفَ معلولها عنها؛ لأنَّ تأثيرها ليس كتأثير الفاعـل تـأثير اختيـار؛ بـل أن بينها وبين معلولها تلازماً لا تنفك عنه، ولا ينفك عنها، فـإن كـانت قديمـة فهـو قـديم مثلهـا، وإن محدَثـة فمحـدَث، كملازمة النار للحرارة.

الثـاني: أن العلـة والمعلـول متقارنـان ليس أحـدهما متقـدماً على الآخـر، فليس أحـدهما بالتـأثير أولى من الآخر، وتلازمهما لا يدل على ما يدعونه من التأثير.

[صفات الله تعالى الذاتية]

11-أَحَاطَ عِلْمَاً بِكُلِّ الكائناتِ فَلا — **يُحْتَاجُ في حِفْظِهَا رَقْمٌ ولا رَصَدُ**

12-وَمُبْصِرٌ في الدَّياجي كُلَّ خافيةٍ — **لا يَعْتريه الْعَمَى عَنْها، وَلا الرَّمَدُ**

13-لأنَّه خَلَقَ الأَشياءَ مُحْكَمةً — **وفي عجائبها التَّبْيِيْنُ والرَّشَدُ**

هذه الأبيات، اشتملت على:

1- أنَّه عـالِمٌ بكـلِّ الكائنـات، فهـو العـالِمُ بمـا مضـى، والحاضـر، ومـا سـيكون، وكلمـا يُمكن العلم بـه، وبمـا لا يكون كيف يكون لو كان.

2- وعلى أنَّه بصير.

أمـا الـدليل على أنَّه عـالم: فهـو أنَّه خلـق الأشـياء محكَمَةً، متقنة غاية الإحكام والإتقان، ولو لم يكن عالِمًـا،

لكـــانت أفعالُـــه عشـــوائية، كمـــا أنَّ العـــالِمَ بالخياطـــة، والنجـــارة، والكتابـــة وســـائر الصـــناعات يُتْقِنُ صـــنعتها، والجاهل لا يتقنها.

[شيء من عجائب الإحكام والإتقان]

ونريد أن نلفت الناظر إلى بعض عجائبها، فـأوَّلُ شـيء نذكر خلقَهُ للإنسان، فإنَّه خلقـه خلقـاً متقنـاً، فجعـل فيـه البصر الذي لا تستقيم حياته، ومزاولة أعمال معيشـته إلاَّ به.

وجعل له السمع واللسان، اللذَين لا يستقيم التخاطب إلاَّ بهما، ولا تكمل أعمـال معيشـته إلاَّ بهمـا، وجعـل لـه الأيـدي والأرجلَ، ولا يَخفى عِظم منافعهما.

وجعـل لـه الغـذاء، وجعلـه يتنقـل من محـلٍّ إلى محـل، ويمتصه البـدن تـدريجاً، حـتى يتمكنَ الإنسـانُ من السـفر، ومن الأعمال الكثيرة، بين الوجبتين.

وجعل له العقل الذي جعله مهيمنًا على جميع أعضـائه، وفضَّلَه به على جميع المخلوقات.

وانظـر إلى مـا جعـل اللـه تعـالى في خلـق وجهـه من العجائب، والإتقان.

كيـف جعـل فيـه العيـنين والحـاجبين والأذنين والشـفتين والمنخرين والذقن.

وحفظ العينين بالأنف والحاجبين وبغلاف خفيف.

ولم يَشتبه وَجْهٌ مع صِغَرِ حجمه بوجهٍ آخرَ في مليارات الوجوه، فَرَّق بينهم بالقـدرة الإلهيـة، وبـدون رقـوم، ولـو

اشتبهوا لحصل الفساد الكبير، فلا يعـرف الـزوج زوجتـه، والأب والأمُّ أولادَهما.

وجعل لنا الشمس، وجعل فيها نورًا عظيمًا يعم العـالَمَ كلَّهُ، ولولاه ما استطاع الناس أن يعيشوا، وَلَمَّا كان الليل للنوم والسكون، جعل نورَهُ ضعيفًا، وليعرف العقلاء نعمة النور، وبِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ الأُشْيَاءُ، وفيهما أيضًا منافع أخرى.

وأرسل المطر على نظام، أرسل الرياح تُثـيرُ السـحابَ، ثم جعله ركامًـا، وجعـل فيـه الـبرق، والرعـد، حـتى يتمكن الناس من تحصين أنفسهم، وتحصين أمتعتهم، وكلما يضره المطر، أو يخربه قبـل سـكبه، وجعلـه يَنْـزل قطـرات ليعم نفعه، ولا يضر.

وأرسل الأنبياء -صـلوات اللـه تعـالى عليهم- بقـوانين محكمــة متقنــة، أكثرهــا وأعظمهــا في صــلاح حيــاتهم ومعايشهم، ولو طبقوها لعاشـوا سـعداء في هـذه الحيـاة الدنيا.

وقِسْمُ العبادات جزءٌ قليل، مع أنَّه لا يخلو عن منفعة، ومن تأمل فيها علم أنَّهـا لا تصـدر إلاَّ من حكيم، بـل فيهـا ما يدل على أنَّها لا تصدر إلاَّ من ربِّ العزة.

والأنبياءُ صلوات الله تعالى عليهم لا يَحتاجون معها إلى معجـزات، لـو صـادفت عقـولاً واعيـة، خاليـةً من الكـبر، والحسد.

فدَعَانَا اللَّهُ تعالى إلى التحابب والتآخي، وترك الظلم، والتعـدي، والغش، والخـداع، والمكـر، والحسـد، والكـبر،

والسـب، والغيبـة، والنميمـة، والقتـل، والنهب، والسـرق، وقطع الطريق، وحرَّم الزنـا؛ لأنَّ فيـه التعـديَ على حُـرَمِ الناس، واللواطَ؛ تنْزيهاً لنا عن القـذارة، ولتكثـير النسـل، وإتيـانَ المـرأة في المحيض كـذلك، وفيـه حفـظٌ لصـحة الرجل، لِمَا في كثرة الوطء من المضرة، والخمـرَ حفظـاً للعقـل، ولـدفع مـا قـد يحصـل من السـكر من المضـرات بـالنفس والمـال، وشـرع النكـاح على هـذه الطريقـة المشروعة؛ حفظـاً للأنسـاب، ولِمَـا قـد يحصـل من النكـاح العشـوائي من التخاصـم، والمقاتلـة والعـداوات، وللتعـاون بين الزوجين بتربية أولادهم، وأحوال معايشهم.

وحـرَّم الطلاق البـدعيَّ لِمَـا قـد يحصـل من الندامـة لِمَن يُطلِّق حال الغضب.

وشرع الرجعة رحمة لمن تنـدم، وحـرّم الزوجـة بعـد الثالثـة إلاَّ بعـد زوج، حفظـاً لكرامـة المـرأة، وتأديبـاً للمتلاعبين.

واشتراط الولي والشهادة، فرقاً بين النكاح والسفاح، وشرع الحدودَ ردعاً وزجراً للمعتدين، وتفصـيل المـواريثِ دفعًا للخصام، وقس الباقي.

[بصير والدليل عليه]

وأمـا الـدليل على أنـه بصـير لا تخفى عليـه المبصـرات، فهـو أنَّه خلـق المخلوقـات على مقـادير وألـوان مختلفـة، ففي ألـوان الآدمـيين، والغنم، والبقـر، والطـير، والفواكـه، والزهـور، والجبـال، والأرَضِـين،

والسماوات، والظلمة، والنور ما لا يَهتدي لـه إلاَّ المبصـر؛ لأنَّ المولود الذي ولد أعمَى لا يعرف شـيئاً من ذلـك، ولا لوناً من لون.

هذا، ولما كان الله يرى بدون آلة مجعولة مخلوقة حتى يتحكم فيها جاعلها، وخالقها، لزم أن يـرى كـل المرئيـات الظاهرة، والباطنة؛ لأنَّ الرؤيـة من شـأنه، ومن حقيقتـه، فلا يمكن أن تتخلف عنه، ولو خفي عليـه بعض المرئيـات لكـانت قـد تخلفت عنـه، ولم تكن لـه صـفة ذاتيـة، ولأنـه تَحَكُّمٌ وتَخْصِيصٌ بدون مُخَصِّص لو فرض ذلك.

والـدليل على أنـه يـرى المرئيـات الباطنـة أنـه خلـق الحيوانات، وفي بطونها الكبد والرئة، والكـرش، والقلب، والطحـال، والكلى، والمِعـا، والشـحم، وألوانهـا مختلفـة، ويخلق الأولاد في بطون أمهاتهم مختلفة ألوانهم، وكـذلك الأثمار، والأشجار لون ظاهرها مخالف للون باطنها، وكذا الأرض طبقـات مختلفـة ألوانهـا، وهـذا زيـادة تأكيـد، وإلا ففي الأول ما يكفي.

[سميع والدليل عليها]

14-وَعَالِمٌ بِكِلامِ الْخَلْقِ أَجْمَعِهِم	**ومَا أرادُوا بِهِ أيْضاً، وما قَصَدُوا**
15-لأنَّه خَالِقٌ للنُّطْقِ آلَتَهُ	**ولَيسَ أصَواتُهَا في النُّطْقِ تَتَّحِدُ**
16-ولاَ لَهُ آلةٌ مِنْ غَيْرِهِ خُلِقَتْ	**حتى يَكونَ لِمَسْمُوعَاتِهِ عَدَدُ**

في هذه الأبيات: صفة سميع، والدليل عليها، وأنَّه عالِمٌ بجميع المسموعات، وما أُريد بها.

فالذي يدل على أنَّه سميع، أنَّه خلق لنا، ولكلِّ ناطقٍ آلات الصوت والنطق، وآلات السمع، وجعل لكلِّ ناطقٍ صوتاً مخالفاً، فللذكر من الآدميين صوتٌ، وللأُنثى صوت، وللبقر والغنم والإبل والطير، لكل نوع صوت، ولا يَقدر على هذا من لا يعلم المسموعات.

فالأصم الذي ولد أصم، لا يعرف الأصوات.

هذا، ولَمَّا كان اللَّهُ تعالى يعلم المسموعاتِ بدون آلةٍ خَلَقَها له خالقٌ، فيتحكَّمُ فيها خالقُها، فيخصصها في مسموعات دون مسموعات، لزم أن يعلم المسموعات كلَّها، ولا يخفى عليه شيءٌ منها.

[الرد على من جعل سميعاً بصيراً بمعنى حي لا آفة به]

هذا، وأما استدلال بعض المتأخرين من أصحابنا، والمعتزلة على كونه سميعاً بصيراً بكونه حياً لا آفة به فلم ينتهِضْ؛ لأنَّه لا ينتقل الذهن من كونه حياً لا آفة به إلى كونه سمعياً بصيراً, وإنما هو اتفاقي، كقولنا: العالم بسيط، وكل بسيط حادث، ولأن الدليل على كونه حياً علمه بالمدركات المسموعات، والمبصرات، والمطعومات، والمشمومات، والملموسات، وقدرته عليها فيلزم الدور؛ لأنَّ علمه بالمسموعات، والمبصرات يدل على كونه حياً، وكونه حياً لا آفة به يدل على كونه

سمعياً بصيراً.

وأيضاً فقد يَؤُول احتجاجهم بكونه حياًّ لا آفـة بـه على أنـه سـميع بصـير إلى الاحتجـاج بنفس الـدعوى وهـو مـا يسمى مصادرة وهي: الاحتجاج على الدعوى بنفسها.

بيان ذلـك: أن كـل من في أذنيـه أو عينيـه آفـة غـير الصـمم والعمى فهـو سـميع بصـير، وليسـت الآفـة الـتي يمتنع معها كونه سميعاً بصيراً إلاَّ العمى والصمم، فيصـير المعـنى: وكـلُّ حيٍّ ليس بـأعمى ولا أصـم فهـو السـميع البصير، فكأنهم قالوا: والـدليل على كونـه سـميعاً بصـيراً كونه حيًّا سميعاً بصيراً، وكل من كـان حيًّا سـميعاً بصـيراً فهو سميع بصير.

والذي يظهر أن الذي يدل على كونه مُدْرِكاً للمدرَكات التي تُدرَك بالحواس الخمس خلقـه لهـا متنوعـات تنوعـاً كثـيراً, وخلقــه لنــا الآلات الــتي نــدركها بهــا ونمــيز بين مختلفاتها بها، وإدراكه لها علمه بها؛ لأنَّ الإحساس ممتنع عليه.

هـــذا، وإدراكــــه للمحسوســــات، والملموســــات، والمطعومات، والمشـمومات كلهـا بمعـنى العلم، ويقـال لــه: مُـدْرِكٌ حقيقــة؛ لأنَّ من يعلم المـدرَكات يقـال لـه: مُدْرِكٌ حقيقة، ويقال له: سـميع بصـير مجـازاً، ولا يطلـق عليه لامس، ولا طاعم، ولا شـامّ؛ لأنَّه لا يصـح أن يطلـق عليه من المجـاز إلا مـا أطلقـه على نفسـه، وقـد سـمى نفسه سميعاً بصيراً، فيجوز أن نسـميه بهمـا لا غـير، وإن

كانـا بمعـنى عـالم؛ لأنَّه لا يجـوز أن نطلـق على اللـه من الأسـماء إلا مـا تضـمن مـدحاً لقولـه تعـالى: ﴿**وَلِلّـهِ الأَسْـمَاءُ الْحُسْـنَى فَـادْعُوهُ بِهَا**﴾ **[الأعـراف:180]**، ولأنـه يلزم التشبيه في لامس، وطـاعم، وشـامّ، بخلاف سـميع، بصير، فهما أبعد عن التشبيه.

فإن قيل: إن بين العلم، والإبصار فـرق، ألا تـرى أنـا إذا فتحنا أعيننا إلى المرئيات ثم غمضناها فإن علمنا بهـا حـال إغماضنا خلاف علمنا بها حين فتحنا لها.

قيل له: إن علم اللـه يخـالف علمنـا، وإنمـا نتفـق في الاسم، ألا ترى أنه يعلم الآلام التي تصـيبنا، والهم، والغم، والسـرور، واللـذة، والأمن، والخـوف، ومقاديرهـا بـدون تـألم، أو تلـذذ، أو تضـجر، أو سـرور، أو تخـوف، أو فـرح، وبمقـادير المطعومـات، والمشـمومات، والمسـموعات، واختلافها، وكذا المبصرات، والملموسات، المرغوب فيها، والمنفور عنها، وبدون تلذذ، أو سرور، أو تضجر, أو نفور، فهــو يعلم في الحلويــات بالفــارق بين حلاوة الســكر، والعسـل، والتمـور، والـزبيب، والرمـان، والـتين، وكـذا الفارق بين مـرارة الصـبر، والمـر، واللبـان المـر، وسـائر المطعومـات المـرة، ودرجـات الحـرارة، والـبرودة، وكذا المشمومات، والمسموعات، والمبصرات، والمؤذي منها، والمريح فالفرق بين علمنا وعلمـه بين واضـح، وقس مـا لم نفصل على ما قد فصلنا في بعض المحسوسات.

وسيأتي لهذا إن شاء اللـه تعـالى مزيـد توضـيح بعـد شـرح

القدرة، وبقية الصفات الذاتية.

[قدرة الله والدليل عليها وعلى أنه حيٌّ]

17-والْمُمْكِناتُ جميعاً تحتَ قُدْرتِهِ ... ولا يَلمُّ بِهِ كَدٌّ ولا نَكَدُ
18-لأنَّ قدرتَهُ ليست لخالقها ... فلا تُخَصُّ بِمقدورٍ وَتَنفردُ
19-وكل من أدرك الأشيا وأوجدها ... فذاك حيٌّ بلا شكٍّ فيُعتمدُ

في هذه الأبيات: إثبات القدرة له، وإحاطتها بجميع الكائنات.

أمَّا الدليل على قدرة الله تعالى، ففيما خلق أعظم دليلٍ، وفي عجائب مخلوقاته ما يغني.

أمَّا الدليل على إحاطته بجميع المقدورات، وأنَّ إدراكَهُ محيطٌ بجميع المدركات، فنريد الآن أن نوضح الأدلة عليها كلها، وقد أوضحنا الأدلة على أنَّه عالم سميع بصير قادرٌ.

هذا، والقادر العالم السميع البصير لا يكون إلا حياً، فالحياة ملازمة لهذه الصفات، تنتفي بانتفائها، وتثبت بثبوتها. وهذا واضح لا يحتاج إلى زيادة تفصيل.

[الدليل على إحاطة علم الله وقدرته وإدراكه]

ونريد الآن أن نشرح الأدلة على الإحاطة. **فنقول:** لَمَّا كان الله سبحانه وتعالى يُدرِك المدركات كلَّها، المعلومات، والمبصرات، والمسموعات، والملموسات، والمطعومات، والمشمومات، ويَقدر على خلق

المخلوقات بدون آلة مجعولة، مخلوقة حتى يتحكم فيها خالقُها مثلنا، فإنَّ الله سبحانه وتعالى خلق لنا آلاتٍ لهذه الأشياء، وجعلها لأشياء محدودة، لا نستطيع أن نتعداها، وجعل لبعضٍ زيادة على حسب ما تقتضيه الحكمة والمصلحة.

أمَّا الله سبحانه فليس له آلة مخلوقة، بل هذه صفات ذاتية، لا تتخلف عنه، بل من شأنه العلم وإدراك المدركات، والقدرة على الممكنات، لا تتخلف عنه، ولا يتخلف عنها؛ لأنَّ إدراكه لبعضٍ دون بعضٍ تحكمٌ، وتخصيص بدون مخصص، فلا بد أن يُدْركها كلَّها، أو يَجهلَها كلَّها. وكذا القدرة مثلها.

ولو تخلفت عنه في حال من الأحوال لزم أن يكون جاهلاً وعاجزًا.

وقد دلَّ الدليل على أنَّه قادر، عالِمٌ، سميع، بصيرٌ، وبقية المدرَكات داخلة تحت العلم، فهي كلُّها بمعنى عالِم، لكن بعلمه بالمبصرات، والمسموعات يسمَّى سميعًا بصيرًا، وبعلمه بها وبالمطعومات، والمشمومات، والملموسات، وسائر المحسوسات يُسمَّى مُدْرِكًا.

والدليل على علمه بسائر المدرَكات: أنَّه خلق المطعومات أنواعًا مختلفةً، ونوَّع كلَّ نوعٍ أنواعًا، فالحلويات مختلفةٌ اختلافًا شاسعًا، فللعسلِ ذوقٌ، وللسكر ذوق، وللتمر ذوق، وللعنب ذوق، وهي مختلفة أيضًا فيما بينها.

والمشمومات مختلفة، الطيبات والمنتنات، وكذا

الملموسات، فهـذا حـارٌّ، وهـذا بـارد، وهـذا خشـنٌ، وهـذا أملسٌ، فلو لَم يكن يعلمها لَم يَقدر أن يخـالف بينهـا، وقـد أشرنا أنَّ للجسـم صـفة ذاتيـة، وهـو أنَّه يشـغل المكـان، ولـه مقادير، طول وعرض وعمق، ولا يمكن وجـود جسـم متخلفًـا عن هذه الصفات.

والعرض لا يستقل بنفسه، ولا بد لـه من جسـم يحـل فيه، ولا يمكن وجود عرضٍ مستقلاً بنفسه؛ لأنَّ الأعـراض صـفات الأجسـام، فهـذه صـفات الأجسـام والأعـراض الذاتية، ولا يمكن التخلـف عنهـا؛ لأنَّه من تقليب الحقـائق وتعكيسها، كما لا يمكن أن يكون العدم وجـودًا، والوجـود عدمًا.

وليس المـراد أنَّه لا يمكن إعـدام الموجـود، وإيجـاد المعدوم، بل المراد: أنَّه لا يُمكن أن يكـون العـدم نفسـه وجودًا، والوجودُ عدمًا؛ لأنَّه من تقليب الحقائق.

وكذا ليس المراد أنَّه لا يمكن إعدام الجسم، وإعـدام العرض، بل المراد: أنَّه لا يصح وجود عـرضٍ مسـتقلاً في غير جسم، ولا جسم غـير طويـل، ولا عـريض ولا عميـق؛ لأنَّه من تقليب الحقائق، وتعكيسها.

فلمـا أوضـحنا أن العلم من شـأن اللـه تعـالى، ومن حقيقته، فلا يصح أن يتخلف عنه في حال من الأحوال؛ لأنَّه لـو تخلـف عنـه فقـد جهـل في ذلـك الـوقت، أو في تلـك القضية، وإذا صح هذا أصبح أنَّ العلم ليس من شـأنه، ومن حقيقته، ولا يصح هذا إلاَّ لو كان له علم بجعل جاعلٍ، حـتى

يجعلَهُ يعلمُ أشياء، ويجهل أشياء.

وهكذا سائر صفات الله تعالى الذاتيـة، وهي الوجـود، والقدرة، والعلم، والإدراك، لكلِّ المدرَكات، والحيـاة؛ لأنَّه لا يكون قادرًا عالِمًا إلاَّ وهو حيٌّ، وكذا غـنيٌّ، وسـيأتي إن شاء الله تعالى الدليل على أنَّه غنيٌّ.

فثبت بهـذا أنَّ اللـه تعـالى قـادر على جميـع أنـواع المقـدورات، عـالمٌ بجميـع المعلومـات، مبصـر لجميـع المبصرات، سـميع بجميـع المسـموعات، ومـا أرادوا بهـا، وما قصدوا؛ لأنَّهـا من المعلومـات، ومُـدرك لجميـع أنـواع المـدرَكات، موجـود دائمًـا، غـنيٌّ، وأن هـذه الصـفات لا تتخلف عنه في حالٍ من الأحوال.

[بحث في الصفات]

هـذا، واعلم أن الصـفات ثلاث: صـفات فعـل، وصـفات ذات، وصفات ذاتيات، فصفات الفعل التي يتصـف بهـا إذا فعل، ويشـتق لـه من ذلـك الفعـل صـفة كخـالق، ورازق، ومعطي، ومحـــيي، ومميت، وقاتـــل، وآكـــل، وشـــارب، ونحوها، وهذه يتصف بها الفاعل إذا فعل، وتنتفي عنـــه إذا لم يفعل.

وصفات الذات هي القائمة بالذات كـالألوان، والقـدرة، والعلم، والحيـاة، والسـمع، والبصـر، والإرادة، والكراهـة، والمحبة، ونحوها، فإن كانت ملازمـة لا يمكن تخلفهـا عن موصوفها فهي الصفة الذاتية، ومعنى ذاتية أنها من شـأن ذاته، ومن حقيقتها، وأنه استحقها من أجـل ذاتـه، أي من

حقيقة ذاته، كالتحيز للجسم، فإنه لا يمكن تخلف الجسـم عنها، ولا تخلفها عنه، فالصفات المذكورة في حقنا، -غـير التحيز- صفات ذات فقط، وفي حق الباري تعالى صـفات ذات ذاتيــة، وإن لم تكن حالــة فيــه لكنهــا منســوبة إلى الذات ثابتةٌ لها لا تتخلف عنها؛ لأنها ليســت بفعـل فاعـل، وهذا هو الفرق بين صفة الذات، والذاتيـة، فـافهم الفـرق بينهما.

[الشبه الواردة على مذهب العدلية في الصفات والجواب عليها]

وبقي توضيح ما قد يرد من بعض الإشكالات في وصفه تعالى بهذه الصـفات الذاتيـة، واتِّصـاف بعض المخلـوقين بِشِبْهِها، نحو اتِّصافهم بسميع وبصير، وعالم وقــادر، وحي وغني، ومُدْرِك، فقد يتوهم بعض الطلبـة أنَّ هـذا يقتضـي التشبيه.

وقد يُوردُ عليهم بعضُ المشككين هـذا **ويقـول:** لم قلتم: إنَّا إذا قلنا: إن الله تعالى جسم لا كالأجسام- إنَّ هذا تشبيهٌ؟ وقد أَثبتم هذه الصفات للـه تعـالى وللأجسـام، وهي: قــادر، عالم، حي، سميع، بصـير، موجـود، وأثبتم للـه تعـالى ذاتًـا لا كالذوات، وشيئًا لا كالأشياء، فَلِمَ لم يلـزمكم التشـبيه مثلمـا ألزمتمونا؟!

والجواب والله الموفق للصواب، ومنه نستمد الإعانــة، والتيسير، والسداد أنا نقـول: **اعلم** أن على طــالب العلم أنْ يعــرف أنَّ المقصــد بطلب العلم البحث عن معرفــة

الحـــق والانقيـــاد لـــه، ولا يعـــرف الحـــق من الباطـــل إلا بالبراهين، وإذا قد عـرف الحـق وأهلـه بالأدلـة المعلومـة التي لا ريب فيهـا فلا يخـرج عنهم لإشـكالات وردت على بعض مــذاهبهم، بــل يحــاول حــل الإشــكال إن قــدر، أو الرجوع إلى الأصل وهو أن هـؤلاء هم أهـل الحـق بالأدلـة القطعية، وإن وقـع بعض الإشـكالات في بعض المسـائل، وعلى طالب العلم الإنصاف ومجانبـة الهـوى؛ لأنَّ الهـوى يصد عن الحق.

وثانياً: أنَّا نجيب على هذا السؤال بعدة أجوبة:

[الاشتراك في التسمية لا يوجب التشبيه]

الجواب الأول: أنَّ الله سبحانه قد نفى التشبيه بقوله تعـالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِـهِ شَـيْءٌ**﴾ [الشـورى:11]، وهـذه من صفات المدح التي اختصَّ بها، وتميز بهـا، ولا تكـون مـدحًا إلاَّ إذا كان مختصًا بصـفات الكمـال الـتي لا يشـاركه فيهـا مشارك، مُنَزَّهًـا عن صـفات المخلـوقين الـتي يلـزم منهـا الضـعف، والعجـز، والحـدوث، والحاجـة، وقـد أوضـحنا أن الجسم هو: الذي له مقدار طول، وعـرض، وعمـق، وهـذا الذي عليه الأمة بأسرها، بل وغيرهم.

وقد أوضحنا بما لا مزيد عليه أنَّ كلَّ مقدَّر ومكيَّفٍ فلا بدَّ له من مُقَدِّرٍ ومُكَيِّفٍ؛ لأنَّها تجوز عليه مقادير وتكييفات كثـيرة، لا يمكن أن يختصَّ بأحـدها، وهـو يجـوز العكس أو الضد، إلاَّ باختيار مختار، وإلاَّ كان تحكمًا، وتخصيصًا بــدون مُخَصِّص.

وهل يثبت خلق السموات والأرض، والجبـال الـتي لم يشـاهد أحـدٌ خلقهـا إلاَّ بهـذه الطريقـة، والطـرق الـتي قـدمناها، وهي ثابتـة في كـلِّ الأجسـام، ولا نسـتطيع أن نجيب على الملاحدة، والذين حكموا بقدم العالم، إلا بهذه الطرق.

إذا عرفت هذا فالـذوات ثلاث، أو أربـع: ذات البـاري، وذات الجسم، وذات العرض، وكذا الجوهر عند من يقول بـه، ولكـل واحـدة منهـا ممـيزات تتمـيز بهـا عن الـذوات الأخرى.

فالجسم هو: الطويل، العريض، العميق، الذي يشغل المكان.

والعرض هو: الذي لا يسـتقل بنفسـه، ولا بـد لـه من جسم يحل فيه.

والجـوهر هو: الجــزء الــذي لا يتجــزأ لصــغره، ولا ينقسم ولا يقال لـه جسـم إلا إذا انقسـم طـولاً، وعرضـا، وعمقاً عند من يقول به.

وكل هذه جائزة الوجـود، وذات البـاري غـير هـذه وهي واجبة الوجود.

فذات البـاري ليسـت بجسـم، ولا عـرض، ولا جـوهر، وهي قديمة.

وهــذه الــذوات محدثــة. وكــل ذات تســمى شــيئاً، فالاشتراك في التسمية فقط، فلا يلزم منه المشابهة.

كما إذا سُمي رجـل بجـراد أو طلحـة، أو سـمّى عـدة

رجال كل واحد سمّى ولده علياً فإنــه لا يلـزم المشـابهة بين الأولاد، ولا بين الرجـل وبين الشـجرة المعروفـة، ولا بينه وبين الجراد.

بخلاف قولنا: جسم فقد اشـترك في الماهيـة، ماهيـة الجسم وحقيقته وهي الطويـل، العـريض، العميـق، الـتي يلزم منها الحدوث كما أوضحناه سـابقا، ولا يخـرجهم من هـذا المـأزق قـولهم لا كالأجسـام؛ لأنَّهم قـد شـركوه في ماهية الجسم التي يلزم منها الحدوث.

وكـذا اشـتراكنا في الصـفات نحـو عـالم، قـادر، حي، سميع، بصير، مُدْرِك، موجود إنما هو اشـتراك في الاسـم فقط؛ لأنَّ صفات الله صفات ذاتية ثابتة له في الأزل، ولا يصح تخلفها عنه في أي وقت؛ لأنهـا من شـأنه وحقيقتـه، كما أن من شأن الجسم وحقيقتـه كونـه طـويلاً، عريضـاً، عميقـاً، يشـغل المكـان؛ فلا يصـح أن يكـون جسـم غـير مشتمل على هذه الصفات، ولا أن تحصل هـذه الصـفات ولا يحصل الجسم؛ لأنها لا تتخلف عنـه، ولا يتخلـف عنهـا، فهي له صفات ذاتية، لا تنفك عنه، ولا ينفك عنها، ملازمة للحدوث، أما الصفات الأخرى وهي سميع، بصـير، عـالم، قـادر، حي، موجـود، مـدرك فهي للجسـم صـفة جـائزة الوجـود يصـح تخلفـه عنهـا، وتخلفهـا عنـه، وهي في حـق الباري صفة ذاتية لا تنفك عنه، ولا يصـح تخلفـه عنهـا، ولا تخلفها عنه، فهي ثابتة له في الأزل.

وهي أيضــاً تختلــف في حقنــا وحقــه، فنحن نــدرك

المسموعات، والمبصرات، والمطعومات، والمشمومات، والملموسات، والمعلومات بـآلات، ونقـدر بقـدرة، ونتكلم بلسان، ونحيا بحياة.

وليس كـذلك البـاري تعـالى فليس إلا مجـرد الـذات فليس له آلة يقدر بها، أو يعلم، أو يبصر، أو يسمع بها، أو يـــدرك المـــدرَكات بهـــا المطعومـــات، والمشـــمومات، والملموسات، وسائر المدرَكات، وليس حياً بحياة.

وهو عـالم باللـذة، والمسـتلذات، والآلام والمؤلمـات، ومقاديرها، والمطعومات، والمشمومات المريحات منهـا، والمؤذيـــات، واختلافهـــا، ومقاديرهـــا، والمســـموعات، والمبصـرات المرغـوب فيـه، والمنفـور عنـه، والشـهوة، والنفرة ومقاديرها بدون تألم، أو تلذذ، أو إيذاء أو كراهـة، أو نفـور، أو سـرور، أو شـهية، ويعلم الحـرارة والـبرودة، والرطوبـة واليبوسـة، والصـلابة والرخـاوة، والخشـونة والملاسة بـدون ملامسـة أو مماسـة، ونحن بـالعكس في هذه كلها.

وهو عالم بهذه الأشياء كلها، ومُدْرِك لها قبل وجودها، وبعد وجودها، وبعـد عـدمها، ولا يمكن أن يعتريـه الجهـل، ولا العجز، ولا العـدم، ولا المـوت، والفنـاء، ولا أن يجهـل شيئاً من المدرَكات كلها؛ لأنها لم تثبت لـه بآلـة ولابجعـل جاعـل حـتى يخصصـها بـوقت دون وقت، أو شـيء دون شيء، فلا بد من أن تثبت له دائمـا، أو تنتفي عنـه دائمـاً؛ لأنَّ ثبوتهـــا لشـــيء دون شـــيء، وفي وقت دون وقت

تحكم، وتخصيص بدون مخصص.

فلما ثبت لنا أنه قادر، عالم لصنعه الفعل المحكم لزم أن يشـمل علمـه جميـع المعلومـات، وقدرتـه جميـع الممكنات، ولا تتعلق قدرته بغير الممكن؛ لأنَّه يصـير غـير الممكن ممكناً، وهذا تناقض.

إذا عرفت هذا- عـرفت أن ليس بين صـفاتنا وصـفاته اتفاق إلا في الاسم فقط، وهو لا يلزم منـه التشـبيه، فلم نشابهه في صفاته صفات الكمال حـتى يثبت لنـا مـا ثبت لـه ولم يشـابهنا في صـفاتنا صـفات النقص حـتى يلـزم الحدوث بخلاف قولهم: جسم.

وجواب آخر على هـذا الإشـكال كنت قـد أجبت بـه في موضع آخـر: أنـا نقـول: لا شـك أن قولـه تعـالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّـمِيعُ البَصِـيرُ**﴾[الشـورى:11]، آيـة صـريحة دالـة على أن اللـه سـبحانه لا يشـبه شـيئاً من مخلوقاته، ولا يشبهه شيء منها.

واعلم أن المشـابهة إنمـا تقـع بالاشـتراك بين الـذاتين، أو الذوات في صفة من الصفات به يحصل التماثـل، والتشـابه، كاشتراك الأسد والرجل الشجاع في الجرأة والشـجاعة، أمـا الاشتراك في الذات نفسها فلا يصح؛ لأنَّه يؤدي إلى أن تكون الذوات ذاتاً واحدة، وهـذا عين التنـاقض؛ لأنَّ المفـروض أنهـا ذوات متعددة.

بلى قد يكون الاشتراك في الذاتية، وهي الأمر الجـامع الذي تصير الذوات بسبب الاشتراك فيه جنسـاً واحـداً، أو

نوعـاً واحـداً، كاشـتراك الأجسـام في الجسـمية أي في حقيقـة الجسـم وهي: الطويـل العـريض العميـق الـذي يشغل المكان، فكلما كـان كـذلك فهـو جسـم، واشـتراك الأعراض في العرضية وهي: كل شيء لا يستقل بنفسـه، ولا بد له من جسم يحل فيه كالحرارة والبرودة، والحركة والسكون، ونحو ذلك، فـإن هـذه لا تسـتقل بأنفسـها، ولا يمكن أن تكون إلا في جسم، وكذا سائر الأعراض، وعلى الجملة فالأعراض هي صفات الأجسام.

إذا تقرر هذا فلم يحصل بين اللـه سـبحانه، وبين سـائر الـذوات أيّ اشـتراك لا في الـذات لمـا سـبق، ولا في الذاتية؛ لأنَّ الله سبحانه ليس بجسم ولا عرض، ولم يقـع الاشتراك إلا في التسمية فقط، وهي لا تسـتلزم التشـبيه والمماثلة كما إذا سميت رجلاً بطلحة فإن هذه لا تستلزم المشـابهة بين الرجـل وبين الطلحـة -وهي الشـجرة المعروفة- وهذا واضح.

وجواب آخر كنت قـد أجبت بـه في مكـان آخـر ورأينا ذكره هنـا لتعميم الفائـدة: أن التشـبيه إنمـا يقع بحصول معنى في الذاتين أو الذوات به تصير الذوات جنساً واحداً أو نوعاً أو متشابهات كما مر، ونحن لم نقل: إن اللـه يعلم بعلم، ويقـدر بقـدرة، وكـذا لم نقـل في البـواقي، ونقـول في المخلـوقين: إنهم يعلمـون بعلم مخلوق، وكـذا في البـواقي، فلم نثبت الأمـر الجـامع للـه ولغيره حتى يلزم مـا ذكـرتم، ولأن العـالم منـا إنمـا يعلم

بعلم خلقه الله ويقدر بقدرة خلقها الله فهو في الحقيقة مُعْلَم ومُقْدَر، ولأن علمنا بمقادير الحرارة ونحوها من الملموسات، والمطعومات بواسطة اللمس والحس، والله يعلم بغير هذه الواسطة، فهو يعلم مقدار الألم فينا، واللذة، والغم، والحزن، ومقدار حلاوة الحالي، وكذا سائرها من غير لمس، أو إحساس، ومقدار الألم بدون تألم، واللذة بدون تلذذ بخلافنا، فإذا كان العالم منا إنما هو مُعْلَم، ولم نشترك في الأمر الجامع، واختلف الإدراكان لم يقع التشبيه سيما وعلمنا عرض يحصل ويزول، وعلم الله ثابت، غير عرض حاصل في الأزل، دائم، وعلمنا في الوقت الواحد لا يكون إلا بمعلوم واحد ثم يزول، وعلم الله بالكائنات كلها في الأزل، ويدوم، وليس بشيء، وإنما هو بمعنى أن المعلومات لا تخفى عليه، وكذا بقية الصفات، فلم يحصل الاشتراك إلا في التسمية كما قدمنا في الذات.

[الجواب على ما يرد على قولنا: إن صفات الله ذاته]

وبقي إشكال قد يشكل على بعض الطلبة، وقد يُلَبِّسُ به بعض المشككين على المذهب الزيدي، **وحاصله**: أنا نقول: إن صفاته ذاته، وهي العلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والحياة، فيلزم على هذا أن العلم هو الله، والقدرة هي الله، ويلزم على هذا أيضاً أن القدرة هي العلم والحياة، وأن العلم والحياة هما القدرة، وكذا

سائرها، ولا يخفى ما في هذا من التناقض والتنافر.

والجواب الحق والله الموفـق: أن هـذه العبـارة فيهـا بعض إلغاز، وليس المقصود بها ما ذُكِرَ، وما يُتَوَهَّم.

وإنما المقصود أن ليس لله آلات يقـدر بهـا، ويعلم بهـا، ويسمع بهـا، ويبصـر بهـا، وليس لـه حيـاة، وليس إلا مجـرد الذات قادرة، عالمة، سميعة، حية، بصيرة، فليس له قـدرة يقدر بها، وكذا البواقي، فهو نفي للصفات الحقيقية.

وليس المـراد أيضـاً أن ذاتـه آلـة، بـل المـراد: أنـه لا تخفى عليـه المســموعات، والمبصــرات، والمعلومــات، والمطعومات، والمشمومات، وسائر المدرَكات، ولا يعجز عن كل المقدورات.

فلا يلزم مـا ذُكِـرَ، ولا مـا تـوهم، فهـو قـادر في الأزل بدون قـدرة، وكـذا البـواقي، فـافهم هـذا موفقـاً إن شـاء الله.

والمــدرَكات كلهــا بمعــنى العلم، وليس يحصــل للــه إدراك للمعلومــــــات، والمـــــــدرَكات، المســــــموعات، والمبصرات وسائر المدرَكات حتى يحتـاج آلـة يـدرك بهـا ذلك، ولا آلة يخلق بها، أو يسـتعين بهـا؛ فالمـدرَكات كلهـا معلومات في الأزل، ولا تخفى عليه دائماً.

وإنمــا يقــال: عَلِمَ ويَعْلَم باعتبــار وجــود المعلومــات ماضيها، وحاضرها، ومستقبلها.

وإذا قال: ولما يعلم ونحوها، فإنمـا المـراد أنهـا مـا قـد حصـلت، فلا يصـح أن يخـبر أنـه قـد علم حصـول وقوعهـا،

ومضيها وما قد وقعت بل يعلم أنها ستقع.

وإنما يعلم المعلومات على ما هي عليه فالماضي ماضياً، والمستقبل مستقبلاً، والحاضر حاضراً.

[الدليل على عدم الآلة في حق الله تعالى]

وإنما لم نثبت له آلة؛ لأنه لا دليل عليها.

ولأنها لا تخلو إما أن تكون قديمة أو محدَثة، إن كانت محدَثة لزم أن يكون الله جاهلاً، وعاجزاً، وغير حي في الأزل، **ثم لا يخلو:** إما أن يكون هو الذي أحدَثها لنفسه، أو غيره، إن كان هو فلا بد قبلُ أن يكون قادراً، وعالماً، وحياً إذ لا يستطيع أن يحدثها، وهذه الصفات مسلوبة عنه، وكيف يستطيع أن يوجدها فيه وهو ليس حياً، ولا قادراً ولا عالماً.

وإن كانت ثابتة، وموجودة فيه، فلا يحتاج إلى إيجادها بل هو من تحصيل الحاصل.

وإن كان الموجد لها غيره لزم أن يكون محدَثاً؛ لأنَّ من جملة الصفات الحياة، والوجود أيضا، وكيف يكون رباً والذي أحياه غيره، وأوجده؟!

وإن كانت هذه الصفات قديمة لزم قدماء مع الله، ولزم أن تكون كل صفة قادرة على جميع أنواع المقدورات، عالمة بجميع المعلومات، وكذا بقية الصفات الإلهية إذ لا فرق بين قديم وقديم، والفرق تحكم، وتخصيص بدون مخصص، فتكون آلهة.

فإن قيل: لا تكون آلهة إلا إذا كان لها مخلوقات تكون

آلهة لها.

قيل له: لنا عن هذا جوابان:

إمـا أن نقـول: إن الإلـه هـو الـذي اتصـف بصـفات الكمـال، وإلا لـزم أن لا يكـون اللـه إلهـاً قبـل خلـق المخلوقات، وهذا الذي اختاره الأمير الحسين #.

والجـواب الثـاني: أن نقـول إن اللـه خلـق الخلـق وليس له حاجة إلى خلقهم، فلا بد أن تكـون الحكمـة هي التي دعت إلى خلقهم، فلا بد لهؤلاء أن تدعوهم الحكمـة إلى الخلق؛ لأنهم مثله في جميع الصفات.

أما أنه يلزم أن يكون لله أنداد، وأشباه، وأمثـال فممـا لا شك ولا ريب فيه.

وأما المخلوقين فإن خالقهم هو الذي خلـق لهم آلات يقدرون بها، ويعلمون، ويـدركون، وجعلهـا خاصـة بأشـياء دون أشياء، فلم يكن تحكماً، ولا تخصيصاً بدون مخصص.

فهذا الـذي يلـزم الصـفاتية الـذين جعلـوا للـه معـاني قديمـة، ومن قـال بقـولهم، وكـذا من قـال إن كلام اللـه قديم.

وبطلان قدم القرآن، وجميع كلام اللـه واضـح ضـروري، كيف وهو حروف لها أول وآخر، وتارة يسبق حـرفَ السـين حرفُ الباء نحو: ﴿**بِسْمِ اللهِ**﴾ وتـارة العكس نحـو: ﴿**لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ**﴾ [سبأ:15]، وهكذا بقية الحـروف، ولا ينكـر هـذا إلا الذي لا يعرف الحدوث، والقدم، أو المتعصب تعصـباً أعمى، تفضحه المشاهدة كالذي يدعي أن الناقة جمل.

ولما كانت الأشاعرة أذكياء يعرفون أن مثل هذا لا يتمشى، ولا ينفق عند كثير من الأغبياء -فضلاً عن الأذكياء- حاولوا الخروج من هذا المأزق، ولكنهم فروا إلى غير مفر.

فالمستجيرُ بعمرو عند كربته	**كالمسْتَجِيرِ مِنْ الرَّمْضَاءِ بالنَّارِ**

فأثبتوا لله الكلام النفسي، وقالوا بقدمه، ولنا معهم دورٌ سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى.

والعجب من مثل هؤلاء الأذكياء كيف أوصلهم التعصب إلى هذه المواصيل والتغريرات على من لا يفهم، كما تخبطوا في الكسب الذي أسسه لهم أبو الحسن الأشعري حين فرَّ من صريح الجبر الذي صرح به جهم بن صفوان؛ ففروا إلى غير مفرّ أيضاً، وما استطاعوا أن يُبيِّنوا ما هو ولا أظن أبا الحسن الذي أسسه يعرفه هو فضلاً عن أتباعه، ولنا معهم فيه دور سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى.

[كلام المعتزلة في صفات الله والجواب عليهم]

هذا، وأما المعتزلة فبعضهم جعل لله مَزِيَّة بكونه قادراً وعالماً وكذا سائرها، وهؤلاء الذين يثبتون المزايا، وبعضهم يثبتون الأحوال ويقولون: لله حالة بكونه قادراً غير حالة كونه عالماً، فإن أرادوا بهذه أموراً اعتبارية، ولا يثبتون شيئاً غير الله، وإنما يريدون أن مفهوم العلم غير

مفهوم القدرة فلا ضير، وإلا فليس لهم دليل على ما يدعونه.

[الجواب على البهشمية]

وأما البهشمية فقالوا: إن صفات الله غير هذه المعاني، **وقالوا:** إن الصفات هي ثبوت العلم لله، وثبوت القدرة، وكذا سائرها، ويعبرون عنها بالقادرية، والعالمية، والحيية، والوجودية.

ويقولون: إن هذه هي الصفات، وليست هي الله، ولا غيره، ولا شيء، ولا لاشيء.

ويقولون في غير الله: إن القدرة هي التي أثرت في القادرية، والعلم في العالمية، وأن القدرة علة في القادرية علة موجبة، وليست بفعل فاعل، وكذا العلم.

وقد يحتجون على أنها ليست بالفاعل بل بالعلة -وهي القدرة والعلم- أنه لا يمكن سلب القدرة وبقاء القادرية، ولا العكس، وكذا العلم والعالمية، فثبت أن القدرة هي العلة المؤثرة في القادرية، وكذا سائرها.

ويقولون: إن العلة لا تتقدم معلولها وجوداً بل رتبة، وكأنهم لا يريدون بالتأثير إلا التلازم بينهما.

والجواب والله الموفق للصواب: أن ليس لله قدرة، ولا علم حقيقة حتى يؤثرا فيما زعموا، وكذا سائر الصفات، وليس إلا مجرد الذات قادرة عالمة... الخ الصفات إن جعلوا هذا في حق الله، وإن أثبتوا له قدرة، وعلماً حقيقة لزمهم ما ألزمنا الصفاتية.

وإن جعلوها في حق غـير اللـه، **فـالجواب:** أن سـلبها سلب للعلة، فسلب القادرية سلب للقـدرة؛ لأنَّ القادريـة حصول، أو ثبوت، أو وجـود القـدرة، وسـلب هـذه الصـفة سلب لها، لكن لا يلزم أن لا تكون بفاعل غيره، وهو اللـه سبحانه وتعالى.

وقد قـال اللـه تعـالى: ﴿**فَجَعَلْنَاهُ سَـمِيعاً بَصِـيراً**﴾ [الإنسـان:2]، وهذا نص في محل النـزاع؛ لأنَّ سـميع عنـدهم غير السمع، وكذا البصـير، وأن البصـر هـو الـذي أثـر في بصير.

ولا يلــزم من التلازم بين نحــو القادريــة -مــع فــرض تسليمها- وبين القدرة ومن توقفهـا على القـدرة لا يلـزم أن القدرة هي التي أثرت فيها، وأن القدرة علة فيها، كما لا يلزم من التلازم بين الأبوة والبنوة، وَتَوَقُّفُ كـلِّ واحـدة منهما على الأخرى، لا يلـزم أن كـل واحـدة منهمـا أثـرت في الأخرى، ولا من التلازم بين الحركـة والسـكون، وبين حدوث من اتصف بهما لا يلزم أنهما المؤثران في حدوثه، فالتلازم دليل لا مـؤثر، وكـون الأبـوة غـير البنـوة لا شـك فيه، بخلاف القادرية والقـدرة، ولا يصـح أن تكـون البنـوة مؤثرة في الأبـوة، والعكس؛ لأنَّه يلـزم تقـدم كـل واحـدة منهما على الأخرى، ولو رتبة كما يزعمون، وهذه مناقضة لا شك فيها، ولا ريب.

وما أظن أحداً يقول به، مع أن القدرة لا تتعلق بســلب الأبـوة والبنـوة بعـد حصـولهما، وتتعلـق بسـلب القـدرة

والقادرية.

وإذا تأملت كلامهم، وعرفت معنى القادرية ونحوها، وهي كون صاحبها قادراً، ومعناه ثبوت القدرة له، وحصولها، إذا تأملت هذا عرفت أن كلامهم في غاية السقوط، وهل يتصور أن القدرة هي التي أثبتت نفسها لموصوفها، وحصلت وأوجدت نفسها له.

ولا نسلم أن ثم صفة غير نحو العلم والقدرة؛ لأنَّها التي يتحلى بها صاحبها، وتُكْسِبُه مدحاً ورفعة، أو ذماً وضِعَة، وإنما سمي الواصف واصفاً؛ لأنَّه يحكم على الموصوف بما يكسبه ما ذكرنا، وكذا الوصف؛ لأنَّه حكم على صاحبها وإثبات الصفة لموصوفها.

ولا نسلم أن الصفة ما ذكر بل **الصفة:** المعنى القائم بالجسم الذي يتحلى به ويتصف به.

وأما الحكم بها له فهو وصف لا صفة.

فيقال: فلان متصف بالصفات المحمودة وهي حسن الخلق، وغيره مما يمدح به، والجارية متصفة بالجمال أو بالبياض؛ فالجمال والبياض ونحوهما هن الصفات، وكذا الجذام والبرص هما الصفتان، لا قول الواصف، ولهذا إذا كان كاذباً فليس في الموصوف تلك الصفة، فقول الواصف وصف لا صفة إلا تجوزاً، وتسامحاً، وفي اصطلاح النحاة.

والذي يظهر أنهم إنما يقولون بهذا في المخلوقين لا في الله، وهذا هو اللائق بهم.

أما أن صـفات اللـه هي القادريـة، والعالميـة، ونحوهـا، فهو مذهبهم، ويدل على أنهم إنما يريـدون بهـذا في غـير الله أنهم أثبتوا لله الصفةَ الأخص، ويقولون إنهـا اقتضـت لــه الصــفات الأربــع القادريــة، والعالميــة، والحييــة، والوجودية، وليس المراد بالاقتضاء إلا التلازم.

والعجب مِن عَدِّ صفة الوجـود من الصـفات المقتضـاة؛ لأَنَّه إذا كان موجوداً فاقتضاء الصفة للوجـود من تحصـيل الحاصـل، وإذا كـان معـدوماً فليس ثمَّ شـيءٌ يحتـاج إلى صفة.

[كلام حول الصفة الأخص]

هــذا، وليس إثبــات الصــفة الأخص للــه تعــالى ببعيــد، وأصحابنا وأئمتنا يثبتونها إلا أنهم لا يسمونها الصفة الأخص، بل قالوا: إن الله واجب الوجود، مختص بالقدم.

فقد أثبتوا لله هذه الصفة، وجعلوهـا مختصـة بـه تعـالى، وهي الفارقــة بينــه وبين ســائر الــذوات، والصــفة للجســم شَغْلُه المكان، وهي الفارقة بينه وبين سائر الذوات.

وهي للعرض عدم اسـتقلاله، وأنـه لا بـد لـه من جسـم يحل فيه.

وهي للجوهر عند من يقـول بـه عـدم انقسـامه طـولاً، وعرضاً، وعمقاً.

هذا والصفة الفارقة بينه وبين كل المحدثات كون ذاتـه واجبة الوجود، والمحدثات جائزة الوجود، والصفات الــتي ذكرناها للجسـم، والعـرض، والجـوهر صـفات فارقـة بين

المحدثات أنفسها، وبين ذات الباري أيضاً.

وأمـا صـفات اللـه الأخـرى الـتي هي العلم، والحيـاة، والقـدرة، وصـفة مُـدْرِك، فهي وإن كـانت مختصـة بـه لا يشاركه فيها مشارك، لكن كونها واجبة ذاتية لا تنفك عنـه هـو الفـارق بينهـا وبين صـفات المحـدَثين؛ لأنهـا جـائزة الوجود، تحصل تارة، وتنفك أخرى، وتعدم أيضاً، وصــفات المحــدَثين أعــراض، فهي ذوات، وصــفات اللــه أحكــام، وتعبير، فلكونه لا تخفى عليه المعلومات، والمســموعات، والمبصرات، والمطعومات، والمشمومات، والملموسات، نعـبر عنهـا بعـالم، وسـميع، وبصـير، ومـدرك، ولكونـه لا يعجزه شيء بقـادر، ولكونـه لا يتصـف بهـذه الصـفات إلا الحي أثبتنـا لـه صـفة حي، لكنـه عـالم بغـير علم، بصـير سميع بغير سمع وبصر، مُدْرِك للمدركات بغـير الحـواس، حي بغير حياة، وقادر بغير قدرة.

هذا ولا نقول: إن الصـفة الأخص اقتضـت لـه الصـفات الأربـع، كيـف ومنهـا الصـفة الوجوديـة، والصـفة الأخص واجب الوجود، ولا يصـح أن صـفة الوجـود تقتضـي صـفة الوجود.

أمـا البهشـمية فكـأن الصـفة الأخص عنـدهم غـير مـا ذكرنا، بل هي صفة خامسـة بغـير دليـل يـدل عليهـا، ولم يبينوا ما هي بل مجرد الصفة الأخص، وما أظنهم يعرفون مـا هي، بـل مـا يعرفـون إلا مجـرد هـذا الاسـم، وكـأنهم يعتقدون أن الصفات الأربع يشترك فيها الله وغيره، وقـد

أوضحنا هنا، وفي موضع آخر أيضاً أن ليس بينها وبينه في الصفات ثَمَّ اشتراك إلا في الاسم، فلا يلـزم التشـبيه، ولا المحذور الذي يلزم من التشبيه.

وقــد اخترنــا أن الصــفة الأخص هي: واجب الوجــود؛ لكونها الفارقة بين ذات الله، وبين الذوات المحدثة.

وأما سائر الصفات الذاتية التي لا تنفك عنه، وإن كانت من مختصــاته، فإنمــا هي فارقــة بينهــا وبين صــفات المخلوقين الـتي اشـتركت هي وإياهـا في الاسـم، ولكـل واحدة منها حقيقة تفارق الأخرى.

بيانه: أن علم الله صفة ذاتية لا يصح تخلفهـا عنـه في أي حال من الأحوال، ولا أن ينسى ما قد علمه، ولا يصـح أن يجهــل شــيئاً من المعلومــات لا في الحــال، ولا في الماضــي، ولا في المســتقبل، فهــو يعلم المعلومــات الحاضـرة، والماضـية، والمسـتقبلة، ويسـتمر العلم، فهـو مثل واجب الوجود، سواء سواء؛ لأنَّه لا يعلم بآلة مجعولة حتى يخصصها جاعلها فيما أراد، بل العلم من شأنه، ومن حقيقته، فلا بـد من أن يعلم المعلومـات كلهـا، أو يجهلهـا كلهــا؛ لأنَّ علمــه بمعلــوم دون معلــوم، وفي وقت دون وقت تحكم، وتخصــيص بــدون مخصــص، وكــذا ســائر الصفات الذاتية، بخلاف علم المخلـوقين فإنـه بآلـة، يعلم أشــياء محــدودة، وفي وقت دون وقت؛ لأنَّه يعلم بآلــة مجعولـة خصصـها خالقهـا وجاعلهـا في معلومـات قليلـة محدودة، تزداد في وقت، وتنقص، وتعدم في أوقات أخر،

فلا تحكم فيها، وكذا سائر الصفات.

هذا وقد ألزم أصحابنا الصفاتية الذين جعلوا صفات الله معاني قديمة أن يثبت لها ما يثبت لله من صفات الإلهية؛ إذ لا فرق بين قديم، وقديم، فإن أراد البهشمية بالاقتضاء مثل هذا، أو نفسه، يعني أن بين القديم وبين صفاته تلازم كالتلازم الذي بين الجسم والتحيز فلا يمكن وجود قديم غير متصف بهذه الصفات، كما لا يمكن وجود جسم غير متحيز فكقولنا، إلا أنهم جعلوا الصفة الوجودية إحدى الصفات المقتضاة وقد أبطلنا هذا فيما سبق, وإن أرادوا أن الصفة هي التي أثرت في صفاته فغلط غاية الغلط، وأصبح وجود الباري بعلة؛ لأنَّ صفة الوجودية إحدى الصفات التي اقتضتها الصفة الأخص عندهم.

[الجواب على ما يقال إن العدلية معطّلة]

فإن قيل: فإذا كنتم قد نفيتم أن يكون الله في مكان، وأن يُرى، وأن يكون محدوداً، ونفيتم أن يكون عالماً بعلم قديم، وقادراً بقدرة قديمة، وحياً بحياة قديمة، وسميعاً وبصيراً بسمع وبصر قديمين، وأن له كلاماً قديماً، فقد عطلتم الله، وأبطلتموه؛ لأنَّ هذا شيء لا يعقل.

والجواب: أنا لم نعطله، ولم نبطله، وإنما نفينا أن يشابه شيئاً من مخلوقاته، وقد دللنا على امتناع التشبيه عقلاً وسمعاً.

وأما أنه لا يعقل فإن أريد أنه لا يتصور فالحق أنه لا يُتَصور، ولا يلزم التعطيل، وإنما تُتَصور الأجسام والأعراض،

وكيف يحـاول الإنسـان الضـعيف أن يتصـور ربـه؟! وهـو لا يعرف الروح التي اشتمل عليها بدنه، وبها استقامت حياته، ولا يقدر أن يتصـورها، ولم يلـزم التعطيـل: ﴿**قُلِ الـرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [الإسراء:85]، مع أنَّا وأنتم نحكم بأن الله خـالق المكـان، وقبـل المكـان لقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُـلِّ شَـيْءٍ**﴾ [الرعـد:16]، فـإذاً لم يكن لله مكان قبـل خلـق المكـان، فلم يكن محـدوداً، فكيف احتـاج إلى المكـان؟ ولم يكن محتاجـاً قبـل، ولم يلـزم التعطيـل إلا أن تثبتـوا للـه مكانـاً قـديماً، وتحكمـوا بقـدم عرش حقيقي، وكرسـي حقيقي لـه، فهـذا عين التشـبيه، ويلزم منه التثليث كمذهب النصـارى، فـإن أثبتم مـع هـذا قـدرة، وعلمـاً، وحيـاة، وسـمعاً، وبصـراً أعراضـاً قديمـة، وحكمتم بـأن كلام اللـه قـديم، فقـد أثبتم مثـل النصـارى ثلاث مرات، لأنكم أثبتم تسعة قدماء.

أما نحن فأثبتنا ما أثبته الدليل، ونفينا ما نفاه، ولم نجـد دليلاً إلا على قديم واحد، ولم نجـد دليلاً على كلام قـديم، ولا عرش، ولا كرسي قـديمين، ولا على أعـراض قديمـة، بل قام الدليل على أنه لا يمكن أكثر من قديم واحد، وما ذا نجيب على الملحـدين الـذين يـدعون قـدم العـالم من الطبائعيـة، والفلاسـفة، وغـيرهم إذا قـالوا**:** إذا قـد أثبتم أعراضاً وهي: الصـفات، وأجسـاماً وهي: اللـه، والعـرش، والكرسي، على قـول من أثبت لـه يـداً، ووجهـاً، ونحوهـا حقيقة، وحدَّدُوه، فإذا قد أثبتم أعراضـاً، وأجسـاماً قـدماء،

فما المانع من أن نقول: إن العالم قديم، وإنما هـو أجسـام وأعراض؟ ويقولـون: إن الحـوادث اليوميـة إنمـا هي لعلـل وطبائع مختلفة قديمة حتى صارت معلولاتها مختلفة، وأنتم لم تجعلوا الاختلاف دليل الحدوث.

[استحالة المكان والرؤية عليه تعالى]

20-وَلا يُحِيْطُ بِهِ ظَرْفٌ، وَلَيْسَ يُرَى
فَالظَّرْفُ مَلْزُومُهُ الأعراضُ والجسدُ
21-وكيف يَحتاجُهُ مَنْ كان أَوْجَدَهُ؟
ولا لَهُ قَبْلَهُ ظرفٌ ومقتعدُ
22-ولا تَرَى العينُ إلاَّ ما يُقابلها
مُكَيَّفَاً، فتعالَى الواحدُ الأحدُ
23-إذاً فلا بُدَّ من رَبٍّ يُكَيِّفُهُ
وخالقٍ، فهو مخلوقٌ ومُضْطَهَدُ

اشتملت هذه الأبيات على بيـان أن ليس للـه مكـان، وأنَّه لا يُرَى بالدليل العقلي على كل منهما.

أما نفي المكان؛ فلأنَّ المكان يَلـزمُ منـه الإحاطـة بمن فيه، فيلزم أن يكون مقَدَّراً، وقـد أوضـحنا فيمـا سـبق أنَّ كلَّ مُقَدَّرٍ لا بـدَّ لـه من مُقَـدِّرٍ يُقَـدِّرُهُ، فيكـون إذاً مُحْـدَثَاً، ولأنَّ المكان لا يكـون إلاَّ للأجسـام وهي المـراد بالجسـد، والأعراض، والله تعـالى ليس بجسـمٍ ولا عَـرَضٍ، وقـد ثبت أنَّه قديمٌ.

فإن قيل: إن لله مكانـاً، ولـو لم يكن لـه مكـان لكـان عدماً محضاً؛ لأنَّه لا يعقل شيء لا في مكان.

قلنـا: قـال اللـه سـبحانه وتعـالى : ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُـلِّ شَيْءٍ**﴾ [الزمر:62]، والمكان من جملة الأشياء المخلوقة.

فالله خالق المكان، وقبل المكان ولم يكن عدماً محضاً؛ فإذا أمكن قبل خلق المكان صار ممكناً بعد.

فإن قالوا: إن المكان قديم.

قلنا: هذا خلاف ظاهر الآية؛ لأنَّه قال: ﴿**كُلِّ شَيْءٍ**﴾ وليس لهم دليل على وجود مكان قديم، ولا يصح إثبات شيء بغير دليل.

ولأنه يكون قد شارك الله في صفة القدم، والله يقول: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ **[الشورى: 11]**.

ولأنه يلزم أن يَثْبُتَ له ما ثبت لله من الصفات، فيكون مثله لعدم المخصص بين قديم، وقديم.

ولأنه يلزم أن يكونا محدَثين؛ لأنّ الظرفية والمظروفية من صفات الحدوث للاختلاف وللتقدير كما أوضحناه سابقاً، وهذا تناقض؛ لأنهما يصيران قديمين محدَثين ولو أمكن قديمان مختلفان لأمكن قدماء كثيرون ولو أمكن ذلك لأمكن أن يكون العالم كله قديماً.

24- أيضاً وليسَ لهُ عُضوٌ وجَارحةٌ وجهٌ وعَينٌ ولا جَنبٌ لهُ ويَدُ

25-لأن هذا هو التكييف وهو مع الـ حدوث والضعف لا ينفك يطرد

في هذه الأبيات نفي الجوارح التي هي الوجه، والعين، والجنب، والأيدي، ونحوها، وإنما قلنا: وليس له يد، ولا

وجـه، ولا جنب، ولا عين، ولا جارحـة من الجـوارح كلّهـا حقيقة؛ لأنَّه لو كان له يد حقيقة لكانت مكيفة لها مقـدار طول، وعرض، وعمق، ملونـة، وكـذا الوجـه لا بـد لـه من مقدار طولاً، وعرضاً وعمقاً ولـون، وكـذا العين لا بـد لها من مقـدار طـولاً، وعرضـاً وعمقـاً ولـون إمـا أسـود، أو أخضـر، أو أزرق، أو أحمـر، ولا يمكن أن يكـون لها مقـدار دون مقـدار، ولا لـون دون لـون وهـو يجـوز أن يكـون لها ألوان، ومقادير كثيرة إلا باختيار مختـار، وإلا فهـو تخصـيص بـدون مخصـص، فتكـون محدَثـة ويكـون اللـه محـدَثاً؛ لأنّـه مكيف.

وليس لنا دليل على حدوث السموات والأرض إلا كونها مكيفة، أجساماً، جائزة الوجود، لا بـد لها من الحركـة، أو السكون، وهذه دلائل الحدوث في كـل جسـم، وإذا أمكن أن يكون الله جسماً، مُكيَّفاً، قديماً بطـل حـدوث العـالم، وإذا بطــل حــدوث العــالم لم يحتج إلى صــانع، فتبطــل الإلهية.

[الجواب على الآيات التي ظاهرها التشبيه]

فإن قيل: إنه قد ذكر في القـرآن أن لـه وجهـاً وعينـاً، وجنباً، ونحوها.

فالجواب عليهم من وجوه:

أما أولاً: فليس لهم في الآيات التي ذكـر فيهـا الوجـه، والعين ونحوها دليل على إثبات الجوارح للـه حقيقـة؛ لأنَّ الآيات لا يمكن حملها على ظاهرهـا لا عنـدنا ولا عنـدهم،

وذلك أن قوله تعالى: ﴿**وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِيَ**﴾ [طـه:39]، وقوله تعالى: ﴿**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا**﴾ [القمر:14]، لو حملت على ظاهرها لزم أن موسى يصنع فوق عين الله، وأن السفينة تجري على عين الله، أو بسبب عينه، وهذا إخبار بخلاف الواقع وبما لا يفيد، وليس مقصوداً لا عندنا ولا عندهم، وكذا قوله تعالى: ﴿**وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى19 إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى20**﴾ [الليل]، وقوله تعالى: ﴿**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ**﴾ [الرحمن:27]، وقوله تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ**﴾ [القصص:88]، فإنها لو حملت على ظاهرها لزم أن العبادة للوجه فقط، وأنها تعدم ذاته ولا يبقى إلا الوجه، وكذلك قوله تعالى: ﴿**يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ**﴾ [الزمر:56]، لو حملت على ظاهرها لزم أن الكافر فرط في جنبه إما أن يكون جَرَحهُ أو خَزَقَهُ أو كسر بعض عظامه وهذا لم يقل به أحد لا منَّا ولا منهم، وكذا قوله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَاماً فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ**﴾ [يس:71]، لو حملت على ظاهرها لزم أن يكون لله أيد في فروج النياق والبقر والنعاج والمعز وهذا خلاف الواقع ومما لا يقول به أحد، وكذا قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**﴾ [الفتح:10]، لو حملت على ظاهرها لأحسوا بها وقت المبايعة وعلموا بها ويكون الإخبار بها إخبارٌ بما قد علم، والإخبار بالمعلوم عبث لا فائدة فيه، وإنما أراد أن العهد للنبي ÷ عهد لله

تعالى، وكذا قوله تعالى: ﴿**بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ**﴾ [المائدة:64]، إنما هو مشاكلة لقول اليهود فيما حكاه الله عنهم بقوله: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾ [المائدة: 64]، وهم إنما كنوا بها عن البخل، والله إنما كنى بها عن الكرم رداً عليهم ولهذا قال بعدها: ﴿**يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ**﴾ [المائدة:64]، وليس بين البسط الحقيقي والإنفاق ارتباط وإنما هي كقوله تعالى: ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ**﴾ [الإسراء:29]، إنما أراد لا تبخل ولا تسرف في الإنفاق ولا يمكن حملها على الحقيقة؛ لأنَّه ÷ لم يغلها قبل وليس له أي داع إلى غلها حتى ينهى عنه، فإذا ثبت أن الآيات لا يمكن حملها على ظاهرها، لا في العين، والأعين، ولا في الوجه والجنب، وأنه لا بد من تأويلها عندنا وعندهم لم تثبت لهم بها حجة؛ لأنهم إنما يحتجون بظاهر الآيات، وقد امتنع حملها على ظاهرها عند الجميع فلم يبق إلا التأويل، وليس تأويلهم بأولى من تأويلنا، فتأويلنا تعضده حجج العقول، والقرآن، أما القرآن فقوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى:11]، ولو كان له وجه وأيدي وأعين وجنب حقيقة كان له مِثْل ولزم التشبيه، وأما حجج العقول فقد تقدمت.

[بحث في المحكم والمتشابه]

وأما ثانياً: فاعلم أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ**

وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ [آل عمران:7]، فحَكَم على الذين يتبعون المتشابه بالزيغ.

وليس المراد رفض المتشابه؛ لأنَّه قد خاطبنا به، ولو رفضناه رفضاً باتاً لكان إنزاله وخطابنا به عبثاً عرياً عن الفائدة، ولكنه قد عرفنا كيف العمل بهما؟ وما هو المعول عليه منهما؟ بأن جعل المحكمات المعول عليها، والتي يرجع إليها، وأن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه.

فدلنا بهذا على أن ليس المراد رفضه، وإنما المراد رده إلى المحكم، وأن الراسخين في العلم هم الذين يعلمون كيفية رده إلى المحكم.

وكذا ليس المراد أن لا نعمل بظاهر المتشابه دائما، فإذا لم يصرفنا عن العمل بظاهره صارف لا لفظي ولا عقلي، ولم يتعارض مع المحكم وجب تبقيته على ظاهره، والعمل بظاهره، وهذا هو القانون اللغوي في مدلولات الخطاب.

هذا إن قلنا: إن المتشابه هو الذي يحتمل معنيين، أو معان متضادّة، أو متناقضة مطلقاً، إما بطريقة المجاز، أو الاشتراك، أو غيرهما كالعموم، والخصوص، والإطلاق، والتقييد ونحوهما.

وأما إن قلنا: إن المتشابه هو: المحتمل لمعنيين، أو معانٍ وتعارض مع المحكم فهذا الذي ذكرنا أنه يجوز بل

يجب تبقيته على ظاهره غير داخل في المتشـابه. فهـو إذاً إمـا من المحكم، أو قسـم ثـالث، فلا نكـون ممنـوعين من حمله على ظاهره.

ويؤيـد هـذا: أن اللـه جعـل المتشـابه قسـيماً للمحكم، ومقابلاً له، وهذا لم يقابلـه، فلم يكن من المتشـابه، ولأن المـانع الـذي منـع من إتبـاع المتشـابه لم يحصـل فيـه، والمانع هو ما يلزم من إتباع المتشـابه أن يكـون القـرآن متناقضاً مختلفاً، والله يقول: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْـدِ غَيْـرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً**﴾ **[النساء:82].**

وكذا ابتغاء الفتنة وهي: الضلال، والخروج عن الحق.

فالمحكم إذاً: الآيات الصريحة التي لا تحتمـل أكـثر من معـنى واحـد، والآيـات الـتي لم يمنـع من حملهـا على ظاهرها مانع.

والمتشابه: ما عارض المحكم.

وهذا جواب على مـا يـرد على حـد المتشـابه بأنـه: الـذي يحتمـل أكـثر من معـنى، وقـد نهينـا عن التمسـك بظـاهره فيلزم إذاً إهمال الكثير من الأحكام الشرعية.

وحاصل الجواب: أنا إما أن نلتزم هذا الحـد، ونقـول: إنما نهينا عن إيثار المتشـابه على المحكم، ولا يحصـل إلا إذا تقابلا، وتعارضا.

أو نزيـد في حـد المتشـابه قيـداً وهـو (إذا عـارض المحكم) فنكون قد خرجنا عن هذا المأزق.

فإن قيل: بم عرفتم هذا؟

قيل له: لما قسَّم الله الآيات قسمين، ونهانا عن المتشابه، عرفنا أن المتشابه ما قابل المحكم، وأنا إنما نهينا عن رفض المحكم والتمسك بما صادمه، وعارضه.

فإن قيل: بم عرفتم أن حد المحكم ما ذكرتم؟

قيل له: لأن مدلوله ظاهر جلي، ولم يمنعنا عن التمسك به مانع، وهذا حقيقة الإحكام.

فعلى من أراد لنفسه النجاة والخروج عن الزيغ أن يتمسك بالمحكم، ويكل أمر المتشابه إلى الله، ويؤمن به إن لم يستطع أن يتأوله تأويلاً مطابقاً للقانون اللغوي، والعقل، ومحكم القرآن، فهذا يكفيه ولا يلزمه أن يعرف تأويل المتشابه.

ومن أمثلة التأويل المطابق لما ذكرنا أن القرآن قد نزل على لغة العرب، وفيها الحقيقة، والمجاز، والاستعارة، والكناية، والتشبيه.

وقد يستعمل الجنب في الجهة، والدليل عليه : قوله تعالى: **يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ** [الزمر:56]، ولم يفرط الكافر إلا في طاعة الله، وجهته، وتستعمل اليد في القوة، والنعمة، دليله قول الله تعالى: **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** [الذاريات:47]، وقال تعالى في آية أخرى: **ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ** [فصلت:11]، وقال تعالى: **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ**

يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ [يس:82]، فدل في هاتين الآيتين أن كل أفعاله ليست بالأيدي، وإنما هي بالأمر، ونص في الآية الأولى أنه إنما خلق السموات بالأمر، فدل على أنه إنما أراد بقوله: **بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ** القوة، وإلا تناقضت الآيتان.

والمراد باليد النعمة في قوله تعالى: **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**[المائدة:64]، فأجاب عليهم بقوله تعالى: **بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** [المائدة:64]، لأن اليهود إنما كَنَّوا بِغَلِّ اليد عن البخل، فأجاب بالبسط الذي هو كناية عن الكرم، دليله: **يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** وإلا لم يكن لقوله: **يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** فائدة، ويؤيده قوله تعالى: **وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ** [الشورى:27]، فهذه الآية صريحة في أن المراد بالبسط كثرة العطاء.

وكذا قوله تعالى: **وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ** [الإسراء:29]، فما أظن أحداً يقول في هذه الآية إن المراد يد حقيقية، وإنما أراد أن يكون عطاؤه متوسطاً، وقوله تعالى في القرآن: **مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ** [المائدة:48]، وليس للقرآن يدان، وقوله تعالى: **فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ** [الشورى:30]، والمراد المعاصي، ففي هذا دليل على استعمال اليد في غير اليد الحقيقية، واستعمال العين في الرقابة، والجاسوس كثير في العربية.

[بحث فريد في الرؤية]

وأمـا نفي الرؤيــة فالـذي عليــه الزيديــة، والمعتزلــة، والإمامية، والخوارج أن اللـه لا يـرى لا في الـدنيا ولا في الآخرة، واحتجوا بأدلة عقلية ونقلية.

أما العقلية: فإنه لـو رؤي لكـان في مكـان، ولا تـرى الأبصار إلا ما كان في جهة مقدراً، مُكيَّفاً، لـه لـونٌ، وكـل من كانت هذه صـفته فهـو محـدث؛ لأنَّ كـل مقـدر تجـوز عليــه مقــادير كثـيرة، ولا يختص بمقــدار دون مقــدار إلا باختيار مختار.

بيان ذلك: أنه يجوز أن يكون طوله ألف ذراع، أو ألفين، أو ثلاثــة، أو أربعــة، أو مــائتين، أو مائــة، أو أكــثر، أو أقــل، وكذلك عرضه، وعمقه، ولا يصح أن يكون على مقدار، وهـو يجوز ضده إلا باختيار مختار فيكون محدَثاً مربوباً.

وقد شُكِّكَ في هذا الدليل بأنا نرى العالم وهـو في غـير مكان.

والجواب من جهات: أولاً: أنه تشكيك في ضــروري فلا يسمع.

ثانياً: أنا لا نرى إلا ما كان في جهـة ومكـان، ولا نسـلم أنـا نـرى شـيئاً لا في مكـان؛ لأنَّ الأبصـار لا تـدرك إلا مـا قابلها في جهة والجهة هي المكان.

ثالثاً: أن الأبصار لا تدرك إلا ما كـان مُقَـدَّراً مُكَيَّفـاً، ومـا كان كـذلك فهـو محـدَث، سـواءٌ كـان في مكـان، أم لا، إن سلمنا أنه يمكن أن تكون المكيفات لا في مكان.

[الأدلة النقلية على نفي الرؤية]

وأمـا الأدلـة النقلية: فمنهـا قولـه تعـالى: ﴿**لَا تُدْرِكُـهُ الأَبْصَـارُ**﴾ [الأنعـام:103]، وهي تـدل على نفي الرؤيـة **من وجوه**:

الأول: أن هـذا إخبـار عن عـدم حصـول الرؤيـة في المستقبل، فلا يصح حصولها، وإلا كان الواقـع على خلاف ما أخبر وهو كذب.

ولا يصـح تخصـيص الخـبر بـوقت دون وقت بـدون مخصص؛ لأنَّه تحكم.

ولا تخصيصه بدون مخصص متصل؛ لأنَّ المقصـود منـه الاعتقاد فيؤدي إلى الاعتقاد الفاسد.

ألا ترى لو أن رجلاً اعترف بأن عليه لرجل ألـف درهم، ثم بعـد يـومين قـال: إلا عشـرة فإنـه لا يقبـل منـه هـذا الاستثناء، ويحكم عليه بالألف، بخلاف الإيجاب والتحـريم، فإن المقصود منه العمل، فيجوز التخصـيص قبـل إمكـان العمل.

الثاني: أن هذه الآية وردت مورد المـدح؛ لأنَّهـا توسـطت بين صـفات المـدح، ولا تكـون مـدحاً إلا إذا كـان من شـأنه، ومن خصائصه أنه لا يمكن أن تدركه الأبصار.

أما إذا كـان لا تدركـه الأبصـار؛ لأنَّه محجـوب فالأشـياء كلها لا تدركها الأبصار إذا كانت محجوبـة، فيكـون الإخبـار به عرياً عن الفائدة؛ لأنَّه إخبـار بمـا هـو معلـوم، والإخبـار بما هو معلوم لا يفيد فيكون عبثاً.

ومنها قوله تعالى لموسى صلوات الله عليه: **لَنْ تَرَانِي وَلَكِنُ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي** [الأعراف:143]، وفيها دلالتان:

الدلالة الأولى: نفي الرؤية، والنفي دائماً للاستغراق إن لم يقيد؛ لأنَّه إخبار عن العدم سواء كان للماضي مثل: **(**لم) ، أو للمستقبل مثل **(**لن ولا) إن دخلتا على فعل مضارع، أو لجميع الأوقات مثل: **(**لا إله إلا الله)

ولو كانت لا تفيد التأكيد، ولا التأبيد لم يكن لا إله إلا الله يفيد التوحيد دائماً وأبداً؛ فبالأولى **(**لن) لأن **(**لا) أضعف من **(**لن) وأقل أحوالهما أن تستويا، مع أن النفي إخبارٌ عن العدم كما مر، والوجود نقيضه.

الدلالة الثانية: أنه علق إمكان الرؤية في المستقبل على استقرار الجبل، ولم يستقر وإذا انتفى الشرط انتفى المشروط.

ومنها قوله تعالى: **فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ** [النساء:153]، وقوله: **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ55 ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ56** [البقرة]، انظر كيف عظم الله هذا لما لم يكن أمراً ممكناً، وأماتهم بالصاعقة، ولو كان شيئاً ممكناً ما عظمه الله هذا التعظيم، ولم يعظم سؤال إبراهيم صلوات الله عليه وعلى آله **رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ**

أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَـالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي[البقــرة: 260]، ولو كان ممكناً لقال للكليم صلوات الله عليه: أو لم تـؤمن كمـا أجـاب على إبـراهيم، ولـو كـان ممكنـاً لكـانت الحكمة أن نـراه الآن؛ لنحتج بـه على الملحـدين، وتنقطـع حجـة المبطلين، ولا يبقى شـبهة للمنكـرين، وتقـوم بهـذه حجة النبيئين؛ لأنَّه شيء ضروري مشاهد لا يمكن إنكــاره، وأما في الآخرة فلا يبقى شك ولا ريب ولا يحتاج إلى بينــة فيها.

[الجواب على الاستدلال بـ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ**]

هــذا، وأمــا احتجــاج من أثبت الرؤيــة بقولــه تعــالى: **وُجُـوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِـرَةٌ22 إِلَى رَبِّهَا نَـاظِرَةٌ23**[القيامة]، فليس فيـه دلالـة؛ لأنَّ النظـر محتمـل لمعـان، ولا يصح الاحتجـاج بالمحتمـل بـدون مـرجح؛ لأن تـرجيح أحـد المحتملات على الأخــرى بــدون مــرجح تحكم، والنظــر مشترك بين معان:

1- نظــر العين كقولــه تعــالى: **رَبِّ أَرِنِي أَنْظُــرْ إِلَيْكَ** [الأعراف:143].

2- ونظر الانتظـار كقولـه تعـالى: **فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِـعُ الْمُرْسَلُونَ** [النمل:35]، **فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسُرَةٍ** [البقرة:280]، **قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُـونَ** [الأعــراف:14]، **قَـالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ**80) إِلَى يَوْمِ الْـوَقْتِ الْمَعْلُـومِ81) [ص].

3- ونظر الرحمة كقوله تعالى: ﴿**وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران:77] .

4- ونظر التفكير كقوله تعالى: ﴿**أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ**﴾ [الغاشية:17] ..إلخ.

وفي هذه الآيات ردٌ على من قال إنه لا يتعدى بإلى إلا نظر العين.

5- وكذا نظر المقابلة كقوله:

إِذَا نَظَرَتْ إِلَيَّ جِبَالُ أُحْدٍ ... أفَادَتني بنَظرتها سرورا

ولا يمكن أن نحمله على نظر العين لعدم المرجِّح، والقرينة الصارفة إليه.

ولأنه يلزم أن يكون محدَثاً؛ لأنَّ العين لا ترى إلا ما كان في مكان ومحدوداً أيضاً، وما كان هكذا فهو محدَث كما سبق، ولأنه يتنافى مع قوله تعالى: ﴿**لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ [الأنعام:103]، ولا يصح التخصيص في الأخبار بما هو معلوم، وهو لا يفيد كقولنا: السماء فوقنا والأرض تحتنا، بل هو عبث؛ لأنَّه يصير المعنى لا تدركه الأبصار لمانع، وإذا زال أدركته، وكل الأشياء هكذا.

ولأن صفات الله الذاتية لا تتغير، سواء كانت إيجابية أو سلبية، كما سيأتي مبسوطاً إن شاء الله تعالى، فلا يكون عالماً، ثم يصير جاهلاً، ولا قادراً، ثم عاجزاً.

ولأن حمل ﴿**إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة:23]، على الانتظار هو الموافق لقانون الفصاحة والبلاغة؛ لأنَّك إذا

قلت: زيد طويل فلا تقابله بقولك: وعمرو أسود، بل بقولك: وعمرو قصير، والكبير بالصغير، والكريم بالبخيل، ونحو ذلك.

فنقابل **﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾** بمعنى منتظرة لرحمته، ونعيمه بـ **﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ [القيامة:25]**، فإذا كانت ناظرة بمعنى منتظرة لرحمة ربها، ونعيمه فهي تظن الخير، والأخرى تظن الشر فتقابلا، وهذا زيادة تأكيد. وإلا فالأدلة العقلية تكفينا في كون النظر ليس المراد به نظر العين كما في قوله تعالى: **﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل:23]**، **﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ﴾ [الذاريات:42]**، **﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر:62]**، فإنا نخصصها بالدليل العقلي.

وبهذه الآيات يُرَدَّ على من قال: إن العقل ليس بحاكم.

وأما حديث: ((سترون ربكم يوم القيامة كالقمر ليلة البدر)) -فمع القدح في راويه وكونه آحادياً لا يصح الاحتجاج به في المسائل الأصولية- فإنه يمكن تأويله بالعلم كقوله تعالى: **﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل:1]**، **﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى9 عَبْداً إِذَا صَلَّى10 أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَى11 أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى12 أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى13﴾ [العلق]**.

وقول الشاعر:

رأيتَ اللهَ إذ سمى ... وأسكنهم بِبَكةَ قاطنينا

نزاراً

وقول أمير المؤمنين علي #:

أما تراني كَيِّساً مُكَيِّساً بنيتُ بعد نافعٍ مُخَيِّسا

وقوله تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**﴾ [الملك:28]، ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ**﴾ [الملك:30]، فكل هذه الآيات ليس المراد بالرؤية فيها رؤية العين كما لا يخفى، ولأن هذا التأويل لا يتنافى مع قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى:11]، بخلاف رؤية العين فإنها لا ترى إلا ما كان جسماً أو عرضاً، وهذه آية محكمة يجب أن نَردَّ إليها كلما اشتبه علينا.

[بحث في العرش والكرسي]

هذا، واعلم أن في كلام الهادي في العرش والكرسي اضطراباً أشكل على كثير من الطلبة، وكذا في كلام جده القاسم ' فتأملت كلامهما فإذا هما يريدان أن ليس مع الله عرش، وكرسي حقيقة يقعد عليهما، حتى يلزم التشبيه، وإنما هو تمثيل، وكناية عن الملك.

وقد اتفقا على تفسيرهما بالملك، وليس المراد بالملك المملوك بل الملكية المحيطة بالكون.

والمراد بالملكية: القدرة المحيطة بكل شيء، لا كإحاطة الأسوار، والجدران، بل إنه قادر على السموات،

والأرضـين، ومـا بينهمـا تبـديلهما وإعـدامهما، وتغييرهمـا، وتحويلهما، وإيجاد غيرهما.

وقد صرّح به الهادي # ولهذا جعلهما من صفات الـذات، وصفاته تعالى ذاته.

ومعنى ذلك: أن ليس لله آلة يعلم بها، أو يقـدر بهـا، أو يسـمع بهـا، أو يبصـر بهـا، بـل ليس إلا مجـرد الـذات، ولا يمكن، ولا يصـــح أن يكونـــا من صـــفات الـــذات إلا إذا جعلناهما بمعنى القدرة، أو العلم.

ولا يصح أن يكونا بمعنى المملوك؛ لأنهمـا يتنافيـان مـع قولـه تعـالى: **﴿وَسِعَ كُرْسِـيُّهُ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾** [البقـــرة:255]، وقولـــه تعـــالى: **﴿وَكَـــانَ عَرْشُـــهُ عَلَى الْمَـــاءِ﴾** [هـــود:7]، لأنَّ الســـموات، والأرض، والمـــاء هي المملوكـات، فتكـون إذاً هي العـرش والكرسـي، فيصـير المعـنى إذاً: وسـعت السـموات والأرض أنفسـها، وكـان الماء على الماء، وهذا لا يصح.

هذا توجيه كلامهما ' وهو كلام قويم.

وحاصله أن ليس لله سبحانه سرير أو كرسي يقعد عليــه فيلزم التشبيه، ولا يبعد عندي أن يـراد بالكرسـي العلم؛ لأنَّه قد يستعمل، ويطلق عليه كقوله:

كَرَاسِيُّ بالأَحْدَاثِ حِينَ تَنُوبُ

ويؤيـده قولـه تعـالى: **﴿وَسِـعَ كُرْسِـيُّهُ السَّـمَاوَاتِ وَالأَرْضَ﴾** [البقـرة:255]، بعـد قولـه تعـالى: **﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ**

﴿إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾ [البقـرة:255]، ليكـون بين الجملـتين ارتبـاط، وقد صرح به الهادي # في أثناء كلامه ولكن قوله تعـالى: **﴿وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾** [البقرة:255]، يؤيـد المعـنى الأول؛ لأنَّ المـراد لا يثقلـه، ولا يشـق عليـه حفظهما، وهذا راجع إلى القدرة.

ولا يتنـافى مـع قولـه تعـالى: **﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾** [البقـــرة:255]، فـــالمراد يعلم الماضـــي، والمسـتقبل لأنَّ العلم شـرطٌ في الحفـظ؛ إذ لا يمكن أن يحفظهمـا وهـو غـير عـالم بهمـا، وإذا كـان عالمـاً بهمـا فحفظهما سهل عليه.

وأمـا العـرش: فـالراجح أن المـراد بـه الملـك بمعـنى المملـوك في قولـه تعـالى: **﴿الـرَّحْمَنُ عَلَى الْعَـرْشِ اسْتَوَى﴾** [طـه:5]، **﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾** [الفرقـان:59]؛ لأن اسـتوى معنـاه اسـتولى على العـرش، أي على الملك، أي المملوكات لأنه قال: **﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾** بعد خلق السموات والأرض.

فلو كان العرش نفس الملكية الـتي هي القـدرة لصـار المعـنى: ثم اسـتولى على الملكيـة، والملكيـة هي نفس الاسـتيلاء، فيصـير المعـنى: ثم اسـتولى على الاسـتيلاء، وهذا بعيد.

إلا أن نُؤَوِّلَهُ على معنى: ثم تعلقت قدرته بإعـدامهما، وتغييرهمــا، وتحويلهمــا، وتبــديلهما؛ لأنَّ القــدرة لم تكن متعلقـــة بإعـــدامهما قبـــل وجودهمـــا، ولا تغييرهمـــا،

وتحويلهما، وتبديلهما؛ لأنَّ القدرة لا تتعلق بالمعدوم حـال عدمه إلا بإيجاده، ولهذا قال: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى**﴾ ويكــون من باب إطلاق الملـزوم وإرادة اللازم؛ لأنَّه يلـزم من اسـتيلائه عليهما تعلق قدرته بهما كما مرّ.

ويؤيد هذا التأويل قوله تعـالى: ﴿**وَكَانَ عَرْشُـهُ عَلَى الْمَاءِ**﴾ **[هود:7]**؛ لأنَّ المراد العرش المعهود السـابق ذكـره في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْـتَوَى عَلَى الْعَـرْشِ**﴾ **[الفرقـان: 59]**، والماء هو العرش إذا كان المملـوك فيصـير المعـنى: وكان عرشه على عرشه، وهذا بعيد غاية البعد.

هذا، وأما قوله تعالى: ﴿**وَيَحْمِلُ عَـرْشَ رَبِّكَ...**﴾ الخ **[الحاقة:17]**، فيحتمـل أن المـراد الملـك، وأن يكـون عرشـاً حقيقة، ولا يلزم أن يكون جالسـاً عليـه، كمـا لا يلـزم من كون الكعبة بيت الله أن يكـون سـاكناً فيهـا، وكـذا سـائر المساجد مع أنه يقال لها بيوت الله.

ولا يلــزم العبث؛ لأنَّه يمكن أن يكــون لحكمــةٍ يعلمهـا الله.

ويؤيده قوله ÷: **((سبعة تحت ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله..))**[1] الخ، فقد أثبت له الظل وأن السبعة تحته متظللون.

فهذا ما ظهر والله أعلم.

---

[1] - رواه الإمام أبو طـالب (ع) في الأمـالي بسـنده عن زيـد بن علي (ع) والإمام أحمد بن عيسى(ع) في الأمالي (2/410).

[الدليل على حدوث القرآن]

26- وكُلّ مَا أنزلَ الرَّحمنُ مِنْ كتبٍ
فَفِعْلُهُ وحُدُوثُ الْفِعْلِ يَطَّرِدُ

في هذا إثبات أن كلام الله محدَث، مخلوق؛ لأنَّه فعلـه، وكل الأفعال محدَثة ضـرورة، وإلا لـزم قِـدَمُ العـالم؛ لأنَّه كله أفعاله، ومعنى حدوثه: أنـه أوجـده ولم يكن موجـوداً، وهذه حقيقة الفعل وحقيقة الحدوث.

وقلنا: إنه مخلوق؛ لأنَّه مجعول مقـدر؛ لأنَّ الخلـق إمـا الإيجاد، وإما التقـدير، وكلاهمـا ثابتـان فيـه، ولدخولـه في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ **[الرعـد:16]**، والقـول بقدمه تقليد أعمى، وفي غايــة الغبــاوة والتعنت. **ويقال لهم:** إن أردتم بقــولكم قــديمٌ أن ليس لــه أول، وليس الله هو الذي أوجده فليس بكلام الله، وإن كـان اللـه هـو الذي أوجده فهذا معنى الحدوث والخلق، وليس الحـدوث والخلق بأزيدَ من هذا.

والعجبُ من مثل الأشاعرة كيف أثبتوا لله كلاما نفسياً، قديماً وهم من أهل الفطنة والذكاء والتحقيق، والتـدقيق، كيـف حملهم الهـوى، والتعصـب للأسـلاف على مكـابرة عقــولهم، والتعنت حــتى وصــلوا إلى هــذه المواصــيل، **وحاول الشريف الجرجاني** تثبيت هـذه الـدعوى بـأن الإنســان إذا أراد أن يتكلم فإنــه قبــلُ يــروج في نفســه كلاماً، وهذا هو الكلام النفسي.

يريــد ويحــاول الخــروج من هــذا المــأزق، ومن هــذه

الفضيحة وهو القول بقدم ما حدوثه معلوم بالضرورة، وهو الكلام الذي له أول وآخر، ولكل كلمة منه، وكل حرف أول وآخر.

وليس الحدوث، والمحدث بأزيد من هذا، وإلا فالكون كله قديم.

وقد غلط بهذه المحاولة ثلاث غلطات، وكان غلطة واحدة أسهل له.

الغلطة الأولى: إخراج الكلام عن حقيقته وهو الصوت المشتمل على بعض الحروف.

الثانية: إثبات القدم للترويج، وحدوثه كحدوث الكلام؛ لأنَّ له أولاً وآخراً، وابتداءً وانتهاءً.

الثالثة: جعله حالاً في الله والعرض لا يحل إلا في جسم.

فإن أراد أن الله عالم به في الأزل فهذا لا يلزم منه إثبات كلام نفسي في القدم، وإلا لزم إثبات أرض نفسية، وسماء نفسية، وأوادم، وملائكة، وجن، وحيوانات، وأشجار، وجبال نفسية قديمة؛ لأنَّ الله عالم بها في الأزل.

هذا، وقد أكد الشرع ما دل عليه العقل قال الله تعالى: ﴿**مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ**﴾ **[الأنبياء:2]**، وقال: ﴿**وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً**﴾ **[النساء:164]**، وقال: ﴿**إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً**﴾ **[الجن:1]**، ﴿**وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ**﴾ **[التوبة:6]**، والمسموع

ليس بكلام نفسي، ولا قديم.

والآية الأولى نصّ في الحدوث.

والآية الثانية أثبتت أنه فعل وكل فعل محدَث.

وكذا قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى**﴾ [هود: 17]، وقوله: ﴿**يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى**﴾ [الأحقاف:30]، وكذا قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى18 صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى19**﴾ [الأعلى]، وقوله تعالى: ﴿**مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ**﴾ [المائدة:48]،والذي بين يديه الذي قبله بدليل قوله تعالى: ﴿**يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**﴾ [البقرة:255]، فجعله مقابلاً للخلف، فدلت هذه الآيات على أن هذه الكتب، والصحف قبل القرآن فثبت حدوث القرآن؛ لأنَّ المحدَث هو الذي سبقه قبل، فإذا ثبت حدوثه ثبت حدوث كل الكتب السماوية؛ لأنَّه لم يقل أحد بقدمها وحدوثه.

وقد أكدنا الأدلة العقلية بالسمعية حتى لا يبقى لمنصف ريب ولا شبهة.

[نفي الأعراض والمعاني]

27- ولاَ تَحُلُّ بِهِ الأعراضُ أجمعُها … لأن أشْباحَها الأجسام والجسدُ

28- فلا يلمُّ به غمٌّ ولا ألمٌ … ولا سرورٌ ولا ضُرٌّ ولا نَكَدُ

وقد بيّنا فيما سبق أن الأعراض من صفات الأجسام ولا تحل إلا في جسم، فلا يحل السرور، والآلام، والهم، والغم، واللذة، والنفرة، والألوان، ولا الحركة،

والسكون إلا في جسم، وكذا سائر الأعراض:

1- لأنها من صفات الأجسام.

2- ولأنها لاَ تستقل بأنفسها، وهذه حقيقة العرض كما قد منا.

ولو كان الله محلاً لها لكان ظرفاً لها مكيفاً والظـرفُ لا بد أن يكون محدوداً، مقدراً، وقد أوضحنا فيما سبق أن كـلَّ مُقَـدَّرٍ لا بـد لـه من مُقَـدِّرٍ وكـلَّ مُكَيَّفٍ لا بـد لـه من مُكَيِّفٍ، فثبت أنه لا تحل به الأعراض.

3- ولأنها من صفات الضعف والنقص فيلـزم أن يكـون محتاجاً إلى مـا يجلب بـه النفـع لنفسـه واللـذة، وإلى مـا يدفع الآلام والأضرار عنها.

4- ولأنها محدَثة لا شـك في ذلـك؛ لأنَّ الألم والسـرور، والظنـــون، والإرادة، والغم، والهم، والكراهـــة، واللـــذة، والنفرة، وسائر الأعـراض تحـدث وتـزول، والقـديم ليس كذلك.

أ- فإما أن تكون ثابتة له في الأزل فيلزم:

1- التنـاقض وهـو أن تكـون قديمـة محدَثـة؛ لأنَّا قـد أوضـحنا وبينـا أنهـا محدَثـة؛ لأنَّ لهـا ابتـداء وانتهـاء وهـذا محال.

2- أن يكون لها ماله فتكون قادرة، عالمة، حيـة، آلهـة إذ لا فرق بين قديم وقديم.

ب- وإما أن تكون مسـلوبة عنـه في الأزل فلا يحتاجهـا فيمـا بعـد، ولا بـد من موجـد يوجـدها لـه، ولا يمكن أن

يوجـدها لنفسـه لعـدم الـداعي الـذي يـدعوه إليهـا؛ لأنَّ الشهوة والمحبة منتفية عنه في الأزل، وكذا الإرادة؛ لأنها من جملتها، وليست الحكمة تدعو إلى هذا.

أمـا الألم، والضـرر، والكراهـة فليس لهـا أي داعي لا حكمي، ولا حاجي.

وأما المحبة واللذة فلأنها تزول، ويحصل ضدها والضد مكروه.

ولأن القديم لمَّا لم يكن وجوده وصـفاته بوجـود موجـد بل وجوده وحياته وسائر صفاته الذاتية من حقيقتـه، ومن شـأنه؛ فلا يصـح انفكاكـه عنهـا لا في الماضـي، ولا في الحـال، ولا في المسـتقبل، وكـذا الصـفات السـلبية؛ لأنَّ انتفاءهـا عنـه في الأزل يثبت أن من شـأنه ذلـك، وكلمـا كـان كـذلك فلا يصـح تغـيره، وإلا لـزم أن لا تكـون صـفة ذاتية ولهذا علمنا أنه لا يصح عليـه العـدم، ولا الجهـل، ولا العجز، ولا المكان؛ لأنَّ وجوده وسائر الصفات الثابتـة لـه الإيجابية والسلبية ليست بفعل فاعل حـتى يمكن تخلفهـا عنه في وقت، وثبوتها له في وقت آخر.

فثبوتها له تـارةً، وانتفاؤهـا عنـه تـارةً أخـرى تخصيصٌ بدون مخصـص، فلا بـد أن تنتفي عنـه دائمـاً، أو تثبت لـه دائماً.

وأما صـفات الفعـل كخـالق، ورازق، ومحـيي، ومميت، فليست من شأنه وحقيقته، بل متوقفة على الفعل؛ فـإن فعل اتصف بها، وإن لم يفعل لم يتصف بها.

ألا تـرى أنـه لا يتصـف بظـالم ولا كـاذب، ولا خـائن، ولا نحوها؛ لأنه لم يفعل، مع أنها ليست بصفة حقيقة بل نحويـة اصـطلاحية، وإنمـا تفيـد إضـافة الفعـل إلى فاعلـه كإضـافة المال إلى مالكه، والأبوة إلى الوالد، والعكس.

وإنما الصفات الحقيقية هي الأعراض؛ فلهذا نفينـا عنـه هذه الأعراض المحدثة أن تثبت له حقيقـة، وإنمـا يتصـف بما وصف به نفسه مجازاً.

أما صفة عالم، وقادر، وحي، وسـميع، وبصـير فمعناهـا أنـــه لا تخفى عليـــه المعلومـــات، ولا المســـموعات، ولا المبصرات، ولا سـائر المـدركات، ولا تعجـزه الممكنـات، وليس بميت، ولا جماد، ولا يمكن أن يكون قادراً عالماً إلا وهو حي لكن بغير حياة.

ولأن اللـه سـبحانه يقـول: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَـيْءٌ**﴾ [الشورى:11]، فلا يمكن أن يشابهنا في شيءٍ من صفاتنا، ولا أن نشابهه في شيءٍ من صفاته.

[الجواب على الآيات التي فيها إثبات المعاني]

فإن قيل: إنه قد نطق القرآن بأنه رحيم، وأنه يغضب، وأنه يحب، أو يريد، ويكره، ويشاء، ويسخط، وأنـه يـؤذى، ونحو ذلك .

قلنا له: إنَّ الله الذي قال: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَـيْءٌ**﴾ [الشـورى:11]، وقال: ﴿**وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَـدٌ**﴾ [الإخلاص:4]، ﴿**فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً**﴾ [البقـرة:22]، ونحـو ذلـك، فهـل ينقض الله كلامه بكلامه؟ ويكـون القـرآن متناقضـاً؟ وقـد

قال الله سبحانه: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً**﴾ [النساء:82]، وقال: ﴿**لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ**﴾ [فصلت: 42]، ولا مخلص لنا من هذا إلا بالجمع بين الآيات، فنتأول المتشابه بما يتطابق به مع المحكم، ومع أدلة العقول فآيةُ: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**﴾ [الشورى:11]، صريحةٌ محكمة لا يمكن تأويلها، وكذا ما ماثلها، ولا يمكن أن نكفر بالقرآن، ولا أن نؤمن بآية، ونكفر بأخرى.

فنتأول المحبّة والرضا بما يفعله المحب لمحبوبه، من نحو المدح والتشريف، والعطاء، والحكم له باستحقاق الثواب إن لم ينقلب، وهذا لمن يطيع الله ويشكره، ويعظمه حق تعظيمه.

والسخط، والغضب، والكراهة بالعكس وهو السب، واللعن، والإهانة، والحكم عليه بالعقاب، وإيصاله إليه، وهذا لمن يكفر، أو يتجرأ على معصية الله إن لم يتب.

لأن المطيع الشاكر أهل للمحبة، والرضى، والكافر والمجرم يستحقان الغضب والسخط، ويكونان من باب الكناية كما يقال: طويل العصا للرجل الطويل، وإن لم يكن له عصا ومغلول اليد للرجل البخيل وإن كانت يده مقطوعة.

وعَبَّرَ عما يفعله ذو الحنو والشفقة بالرحمة، فإرسالُه الرسل مبشرين، ومنذرين، وعدمُ معاجلة العاصي بالعقوبة، والدعاءُ للمجرمين، والكافرين إلى التوبة،

ووعـدُهم بقبولهـا، وإدخـالُ التـائبين الجنـة وإن كـانوا قـد أجرموا غاية الإجرام وما احتوت عليه السنة والقـرآن من المواعـظ، والـترغيب والـترهيب، وضـرب الأمثـال غايـة الرحمـة، ويـدل عليـه قولـه تعـالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء:107]، وقوله تعالى: ﴿**إِلاَّ رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعاً إِلَى حِينٍ**﴾ [يس:44]، ويكون من باب الكنايـة عبر بالرحمة عن لازمها.

هذا ومحبتُه، ومشيئتُه، وإرادته لأفعالـه وأفعالِنـا: علمُـه باشتمال الفعـل على الحكمـة، والمصـلحة، وبين المحبـة والرحمـة فـرقٌ، فالرحمـةُ للمطيـع والعاصـي في الـدنيا، والمحبة للمطيع، وكذا الرحمة في الآخرة.

وكراهتُه لها علمُه، وحكمُه بقبحها، سـواءً كـان لـذاتها، أو لكونها معصية له.

وعَبَّرَ عن فعل ما يوجب الأذية عـادة بالإيـذاء نحـو معصـية الله، وسبه، وأذية أوليائه.

والحاصل أن محبته، ومشيئته، وإرادته للأفعال علمـه باشـتمال الفعـل على الحكمـة والمصـلحة، سـواءً كـان الفعـل منـا، أو منـه، ومحبتُـه لنـا فِعْـلُ مـا يفعلـه المحب لمحبوبه، وحكمه بأنه أهل لذلك.

ورحمتُه فِعْلُ ما يفعله ذو الحنـو والشـفقة مـع علمـه بأنه أهل لذلك.

وكراهتُه، وغضبُه، وسخطُه عكس ذلك،؛ لأنَّ أصـحابنا اختلفوا في الإرادة على قولين، فلا يمكن أن نخـرج عنهـا

كما سيأتي في آخر الكتاب.

فمنهم من قال: هي فعله، ومنهم من قال: هي علمه باشتمال الفعل على الحكمة والمصلحة. والإرادة الحقيقية منتفية عند الجميع.

كتاب العدل

29-فهو الغني فما في [illegible] دَنسٌ   **وكلُّ ظُلْمٍ وعيبٍ عنه مبتعدُ**

هذه الأبيات شروع في كتاب العدل.

واعلم أن مسائل العدل مرتبطة بالتوحيد، ومتفرعة عليه؛ لأنَّ حقيقة التوحيد تفرد الله بصفات الكمال، وتنزيهه عن صفات النقص والحدوث، فلا يشارك الأجسام والأعراض في صفاتها التي أوجبت حدوثها، ولا تشاركه في صفاته صفات الكمال، ومسائل العدل تنزيه الله عن الأفعال القبيحة الرذيلة، وتنزيه الله عنها مترتب على إثبات أن الله عالم وغني، وهما من مسائل التوحيد، ومسائلُ العدل متفرعة عليها.

والفرق بين مسائل العدل ومسائل التوحيد، أن مسائل العدل مختصة بما يتعلق بالأفعال وجوداً، وعدماً، ومسائل التوحيد بما يتعلق بالذات وجوداً، وعدماً، فمهما ثبتت مسائل التوحيد على ما قد وضحنا في أول الكتاب فمسائل العدل ثابتة كذلك.

هذا، وإذا قد تقرر بما أوضحناه سابقًا أن الله سبحانه وتعالى عالم، وأن الأعراض لا تجوز عليه، وأنها لا تَحُلُّ إلا في جسم ثبت أن الله غني؛ لأن الحاجة منحصرة في جلب المنفعة، ودفع المضرة وهما يستلزمان الشهوة واللذة والسرور هذا في جلب المنفعة؛ لأنَّ المقصود بها تحصيل هذه.

والألم، والكدر، والنفرة هذه في دفع المضرة.

واللذة، والشهوة، والسرور، والكدر، والنفرة، والألم أعراض لا تحل إلا في جسم، والله ليس بجسم.

ولأنها أعراض محدَثة، وإذا كانت محدَثة، فهي منتفية عنه في الأزل، وإذا كانت منتفية فلا يصح حصولها له بعد؛ لأنَّ وجوده وما هو عليه من صفات النفي والإثبات الذاتية ليس بجعل جاعل حتى يصح ويمكن عليه التغير والتحول، فلا يصح ثبوت ما يثبت له في وقت دون وقت، ولا انتفاء ما ينتفي عنه في وقت دون وقت؛ لأنَّه تحكم، وتخصيص بدون مخصص، فإذا ثبت له صفة فلا بد من دوامها، ولا يمكن انتفاؤها عنه، وكذا إذا ثبت انتفاء صفة عنه، فلا يمكن ثبوتها له في حال من الأحوال.

وهكذا الصفات الذاتية لا يمكن تخلفها، فلا يصح أن يكون الجسم غير شاغلٍ للحيز وهو المكان، ولا أن يكون العرض في غير جسم، ولا أن يكون الصدق كذباً، ولا الكذب صدقاً, ولا الظلم عدلاً، ولا العدل ظلماً، ولا جائز الوجود واجب الوجود، ولا واجب الوجود جائز الوجود، ولا أن يتصف أحدهما بصفات الآخر الذاتية، الفارقة بين الذاتين؛ لأنَّه من تعكيس الحقائق والتناقض.

ولأن الحاجة نقص، وضعف، وهما ينافيان القوة، والعظمة، والجلال: ﴿**وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا**﴾ [الأعراف:180]، والفقر والضعف ليسا من الأسماء الحسنى: ﴿**أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ**

الْحَمِيدُ﴾ [فـاطر:15]، وإذا ثبت أنه غـني، وأنـه عـالم بكـل المعلومات، فهـو عـدل حكيم، لا يفعـل القبـائح كلهـا، فلا يكذب، ولا يعبث، ولا يظلم، ولا يخلف الوعد، والوعيد، ولا يكلف أحداً ما لا يطيقه، ولا ما لا يُعْلِمُه؛ لأنَّه غني عنها.

ولأنها صفات نقص، وهو عالم بأنه غني، وأن فعل القبيح صفة نقص.

ولأن القادر العالم لا يفعل الفعـل إلا لغـرض إمـا حـاجي وهو مـا تـدعو إليـه الحاجـة، أو حِكْمِي وهـو مـا تـدعو إليـه الحكمة، والله غني فليس بمحتـاج، والقبح منـاف للحكمـة، ولا يفعل مثل هذا إلا المجانين، والبله الذين لا يعرفـون مـا يضرهم وما ينفعهم حاشا اللـه رب العـالمين، مـع أن أهـل الشـرف والنفـوس الرفيعـة يتنـزهون عمـا ينقص في شـرفهم، وعمـا يعـابون بـه، ويُـذَمون عليـه، وإن دعتهم الشهوة والحاجة إليه، فكيف برب العـزة والكمـال الـذي لا يشتهي، ولا يحتاج؟!

﴿وَلِلّهِ الأَسْمَاء الْحُسْنَى فَـادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعـراف:180]، وهـذا حصـر وقصـر، أي ليس لـه إلا الأسـماء الحسـنى، و(فاعل القبيح) ليس من الأسماء الحسنى.

ولأن الله قد نفى فعل القـبيح عن نفسـه قـال تعـالى: **﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾** [فصلت:46]، **﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَـداً﴾** [الكهـف:49]، **﴿إِنَّ اللّـهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَـيْئاً وَلَـكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَـهُمْ يَظْلِمُـونَ﴾** [يـونس:44]، **﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَـهُمْ يَظْلِمُـونَ﴾** [النحـل:

118]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُــونَ﴾ [المؤمنـــون:115]،ــ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّــمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ﴾ [الـدخان:38]ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّــمَاء وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَــاطِلاً﴾ [ص:27]،ــ ﴿فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيـزٌ ذُو انْتِقَـامٍ﴾ [إبــراهيم:47]،ــ ﴿إِنَّمَا تُوعَـدُونَ لَصَـادِقٌ5 وَإِنَّ الــدِّينَ لَوَاقِــعٌ6﴾ [الـــذاريات]، ﴿إِنَّ اللّــهَ لاَ يُخْلِــفُ الْمِيعَادَ﴾ [الرعــد:31]،ـ ﴿مَا يُبَـدَّلُ الْقَـوْلُ لَـدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق:29]ـ ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ13 وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ14﴾ [الطــارق]، ﴿وَمَا يَنطِـقُ عَنِ الْهَـوَى3 إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى4﴾ [النجم]، ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾[فصلت:42]، ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ44 لأَخَذْنَا مِنْهُ بِـالْيَمِينِ45﴾ [الحاقــة]، ﴿وَاللّـهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَـادَ﴾ [البقــرة:205]،ــ ﴿وَلا يَرْضَــى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر:7]ـ ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الإســراء:15]،ــ ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: 7]،ــ ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّــهُ نَفْسًــا إِلاَّ وُسْــعَهَا﴾ [البقــرة:286]، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغــابن:16]،ــ ﴿وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ [آل عمران: 97]، ﴿وَلَـوْ أَنَّا أَهْلَكْنَـاهُم بِعَـذَابٍ مِّن قَبْلِـهِ لَقَـالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً﴾ [طه:134]ـ ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْـتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُـدَى﴾ [فصــلت: 17]، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[الإسـراء:15]،

﴿**لِئَلاَّ يَكُـونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّـهِ حُجَّةٌ بَعْـدَ الرُّسُـلِ**﴾ **[النساء:165]**، ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ**﴾ **[البقـرة:185]**، ﴿**يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ**﴾ **[النسـاء:28]**، ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾ **[الحج:78]**.

فنــزه نفسـه في هـذه الآيـات عن أنـواع القبـائح: عن الظلم، والعبث، وإخلاف الوعـــد، والوعيـــد، والكـــذب، وإرسال الكذابين، وأخبرنا أنه يؤاخذ لو كُـذِب عليـه، وأنـه لا يريد القبيح، ولا يؤاخذ أحداً بذنب غيره، ولا يكلفنا مـا لا نطيقه، وأنه لا يكلفنا إلا ويعلمنا بما كلفنا به، وأنه أرســل الرسل لئلا يكون للنـاس على اللـه حجـة، وأنـه يريـد بنـا اليسر والتخفيف وعدم الحرج.

[بحث في تعريف الظلم]

هذا، والظلم هو: الضرر العاري عن ظن جلب نفـع، أو دفع ضرر، أو استحقاق.

فإذا كان لجلب النفع مثـل مـا يلقى البـاني، والحـارث، والمسافر، ونحوهم من المتاعب، والمشاق فليس بظلم.

وكـذا مـا كـان لـدفع الضـرر مثـل العمليـات للمرضـى، واستعمال العلاجات المـرة، والحجامـة، ونحوهـا، وكـذا مـا كان للاستحقاق كقتل القاتل فليس بظلم أيضاً.

فإن قيل: فما تقولون في ذبح البهائم؟ .

قيل له: قد اقتضت حكمة الله أن يميت كل الحيوانات كما قال سبحانه: ﴿**كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ **[آل عمـران: 185]**، حتى الملائكة، والأنبياء صـلوات اللـه عليهم؛ للفـرق

بين الدارين، ولتهـوين هـذه الـدار الدنيـة، وجعـل للمـوت طرقًا بعضها بواسطة الملائكة الموكلين به صـلوات اللـه عليهم، وبعضها بواسطة الآدميين.

فما أباح الله ذبحه للآدميين فشأنهم كشـأن عزرائيـل # ليسوا بمتعدين، ولا ظالمين؛ لأنَّه بأمر الله.

أما بالنسبة إلى الله فلا بد في الألم، وفي الآلام التي تصيب الأطفال، والبهائم- من التعويضات العظيمـة الـتي يرتاح لها المعوَّض، ولا يسخطه ما أصـابه في الـدنيا، بـل ربمـا يتمـنى أنـه أصـيب بـأكثر ممـا أصـيب بـه؛ لعظم الأعواض، كما لا يبالي الحارث، والمسافر، ونحوهمـا بمـا يعانيانه من المشاق؛ لرجاء ما يرجونه من المنـافع. فهـذا لدفع الظلم.

وأما لدفع العبث فلحكمةٍ قد أشـرنا إلى بعضـها وهي تهوين هذه الدار، وتنقيصها؛ لئلا نميل إليها، وننسى الـدار الباقية، وبعضها قد يعرفها المتفكرون.

ولا يلزم أن نعرف وجه الحكمة في كل ما يفعله الله، أو يأمر به، مهما وقد ثبت بالدليل القطعي أن اللـه عـدل حكيم، لا يفعل إلا ما فيه الحكمة.

فاعرف هذه القاعـدة؛ لترتـاح بهـا من كـل المشـكلات التي لا تعرف وجه الحكمة فيها.

[مسألة في الأجل]

هذا، وقـد كـثر الخلاف في الأجـل، وفي تحديـده، وفي تعبـير أصـحابنا عنـه، اضـطراب وغمـوض، وليس نفس

الموت، أو القتل كما قد يُفْهَمُ من تحديدهم له.

والـذي أراه، وأوصـلتني إليـه الأدلـة -الـتي هي شِـبْهُ متضاربة- أن الله سبحانه وتعالى جعل لكـل حيـوان مـدة يسـتحق الحيـاة فيهـا، بِجَعْـلِ اللـهِ لـه ذلـك تزيـد وتنقص بشروط إن حصلت، كالرزق سواء سواء، وليس لأحـد أن يتعـدى على حيـوان في هـذه المـدة، وإن مكنـه اللـه إلا بترخيص من الله له، وآخر تلك المدة هـو الأجـل، ويجـوز تأخير الأجل، وتقديمه ممن له ذلك وهو الله كأجل الدين، يجوز تأخيره مطلقاً، وتقديمه بشرط أن يذكره عنـد ذكـر الأجل، كأن يقول: إن قضيت الدين الأول فأجلك كذا، وإلا فكذا.

ولا يخرج الأجل عن كونه أجلاً تقدّم الموت أم تأخر.

والأدلة التي أوصلت إلى هذا مثل قوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾ **[البقـرة:179]**، فدل على أنها تحصـل بسـبب إيجـاب القصـاص حيـاةٌ، لـولا هـو لم تحصـل، لأنَّ القاتـل -أي المريـد- يتجنب القتـل إذا خـاف القصـاص، فيسلم هو من القصاص، ويسلم غريمه من القتـل، وكـذا قولــه تعــالى: ﴿**وَمَـا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ **[فاطر:11]**، فدل على أنه يصح الزيادة والنقصان في العمر، وكذا قولــه تعــالى: ﴿**وَأَمَّا الْغُلامُ فَكَـانَ أَبَـوَاهُ مُـؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً**﴾ **[الكهف:80]**، فدلت على أنه قتله لئلا يرهـق أبويـه طغيانـاً وكفـراً، وأنـه لـو لم

يقتل في ذلك الوقت لطال عمره.

وفي الحديث عنه ÷: ((إن الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاثُ سنين، فيجعلها الله ثلاثاً وثلاثين سنةً، وإنَّ الرجل ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاثٌ وثلاثون، فيجعلها الله ثلاثاً))[1]، وفي حديث آخر: ((بر الوالدين، وصلة الرحم زيادةٌ في الرزق، ومَنْسَأَةٌ في العمر)) ، وفي حديث آخر: ((من أحب أن يملى له في عمره، ويبسطَ له في رزقه، ويستجابَ له الدعاء، ويدفعَ عنه ميتةُ السوء، فليطع أبويه في طاعة الله عز وجل، وليصل رحمه..))[2] الخ.

وفي حديث آخر: ((من يضمن لي واحدة أضمن له أربعاً، من يصل رحمه فَيُحِبَّهُ أهلُه، ويَكثُرَ مالُه، ويطولَ عُمُرُه، ويدخلَ جنة ربه))[3].

---

[1] (?)- درر الأحاديث النبوية بالأسانيد اليحيوية (ط 1ـ ص42) منشورات مؤسسة الإمام زيد، ورواه الإمام المرشد بالله (ع) في الأمالي (2/126) بسنده إلى الحسن بن علي (ع) والإمام أحمد بن عيسى (ع) في الأمالي (2/430).

[2] (2)_ درر الأحاديث (ط1ـ ص41). رواه الإمام أحمد بن عيسى (ع) في الأمالي (2/ 428).

[3] (3)_ المختار من صحيح الأحاديث والآثار - (ج 1 / ص 952) درر الأحاديث النبوية بالأسانيد اليحيوية - (ج 1 / ص 47) الحقوق - (ج 1 / ص 72) الموا عظ الشافية - (ج1/ص6) رواه الإمام أحمد بن عيسى (ع) في الأمالي (2/430).

[تنـزيه الله سبحانه وتعالى عن أفعال العباد، ونسبتها إليهم]

30-منـزهٌ ربنا عن كلِّ منقصةٍ ... فالمذنبون همو الشَّيْنَ قد قصدُوا

31-وكلُّ مَنقَصَةٍ منا ومن ذاته ... فالعبد إن حَدَثَتْ بالفعل ينفردُ

قد ذكرنا في هذين البيتين مسألتين:

المسألة الأولى: تنــزيه الله عن كـل القبـائح، وقـد أوضحنا الأدلة على تنـزيه الله عنها فيما مر، وبما لا مزيد عليه.

والمســألة الثانيــة: في نســبة أفعالنــا إلينــا، وهي متفرعة على المسألة الأولى.

أما نسبة أفعالنا إلينا فإنا نعلم علماً ضرورياً أنَّ أفعالنا تحصل، وتنتفي باختيارنا، بحسب دواعينا وصـوارفنا، وإنـا إذا قمنا، أو قعدنا، أو سافرنا، أو بنينا، أو حرثنا، أو صـلينا، أو صـمنا، أو أفطرنـا، أو حججنـا، أو زكينـا، أو زنينـا، أو سرقنا، أو قتلنا، أو شربنا الخمر، أو أطعنا الله، أو عصينا، أو نحو ذلك أن تلك أفعالنا، وباختيارنا، وبإراداتنا، وعزمنا، لا ينكر هـذا إلا مكـابر معانـد، وأنَّ كـلَّ واحـد منـا ينسـب أفعال كل فاعل إليه، ويمدحه على الحسن منها، ويذمـه على القبيح حتى الكفار، لا شك في ذلك، ولا مرية، حـتى البهائم فإنها تعرف من يسقيها ويعلفهـا، وإذا رأتـه أقبلت إليه وهرولت، وتنفر عمن يضربها وتفر منه، وربما تحمـل عليـه، وأعظم من هـذا أن يفعـل الإنسـان فاحشـة، ثم ينسبها إلى رب العزة هلا كفـاه أنـه عصـاه، ويسـتحي من

نسبتها إلى ربه، والله يقول:)**وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً** [النساء:112]، فكيف إذا نسبها إلى ربه؟ وفي هذه الآية أيضاً تصريح بأن الاكتساب، والرمي من المكتسب. فهل حكم الله على نفسه أنه احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً، حين نسب أفعالنا إلينا عند من يقول إن أفعالنا من الله؟ ما أشنع هذا القول، وما أقبحه.

[القرآن ينسب أفعال العباد إليهم]

وإذا تأملت القرآن وجدته في كل سورة ينسب الفعل إلى فاعله غير الله ففي:)**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ** [الناس: 1]، فاعل)**قُلْ أَعُوذُ** هو النبي ÷، وفاعل)**يُوَسْوِسُ** هو الشيطان -لعنه الله- وفي)**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ** [الفلق:1]، مثلها وفاعل)**حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ** هو العبد، وانظر القرآن سورةً سورةً ينسب الفعل إلى فاعله غير الآيات الصريحة مثل:)**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** [الواقعة:24]، و)**يَكْسِبُون**،)**لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ** [البقرة:286]،ــ)**عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ** [الانفطار:5]،)**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** [البقرة:186]،)**قَالا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى** [طه: 45]،)**قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي** [طه:18]،ــ)**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ**

بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى [البقرة:256]، في كل هذه الآيات ينسب أفعال الخلق إليهم، ولا تكاد سورة من القرآن إلا وينسب الأفعال إليهم مرة، أو مرتين، أو أكثر.

فانظر إلى كل سور القرآن سورةً سورةً تجد ما ذكرنا، ولا تغتر بما يلبسه الملبسون، ويشككه المشككون في المشاهدات الضروريات.

فآيات القرآن تنافي الجبر الصريح، وغير الصريح، وتنقض مذاهب المجبرة كلها، والقرآن كله ينفي الجبر ويَرُدُّه، ولا تجد سورة إلا وهو ينسب فيها أفعال العبيد إليهم.

[الجبر الصريح وغير الصريح والجواب عليهم]

أما الجبر الصريح فهو مذهب الجهمية الذين يقولون: إنما الإنسان كالشجرة إن حركها الله تحركت وإلا فلا.

وأما الجبر غير الصريح فقد أنف أصحابه من التصريح بالجبر؛ لكون سخافته معلومة بالضرورة، وتستروا بثوبَي سراب:

الأول منهما: أنهم أثبتوا للعبد قدرة خلقها الله، لكنهم قالوا: قدرة موجبة للفعل، مقارنة له ليس للعبد معها اختيار، وهذا عين الجبر؛ لأنَّ عدم الاختيار هو الجبر بعينه، وكذا كونها موجبة للفعل لا يتخلف عنها.

الثاني: قولهم الفعل لله، وللعبد فيه كسب.

ولكنهم لم يقدروا على شرح الكسب وتوضيحه، وتبيين

ما هو.

والذي يظهر أنهم لم يعرفوه، وكذا الذي وضعه وهو أبو الحسن الأشعري ما أظنه يعرفه، وإنما فروا من مذهب جَهْم إلى غير مفر وفيه وقعوا، مع اعترافهم بقبح مذهب جَهْم وسخافته.

فالجواب عليهم أنا نقول لهم: هل الكسب فعل للعبد؟ أم فعل لله؟

فإن قالوا**:** فعل لله لم يخرجهم ذلك عن الجبر، ومذهب جَهْم، بل وقعوا فيه من جهتين، من جهة الفعل، وجهة الكسب، ولم يبقوا للعبد كسباً.

وإن قالوا: فعل للعبد، فإما أن يكون بقدرة مقارنة موجبة فهو عين الجبر.

وإما أن يكون بقدرة متقدمة على الفعل غير موجبة له، بل تتوقف على اختيار العبد، فقد أثبتوا للعبد فعلاً، فما الفرق بينه وبين سائر الأفعال؟ وما الدليل الذي دل على أن الفعل الذي هذا الكسبُ كسبٌ فيه بقدرةٍ موجبةٍ له ليس للعبد فيه اختيار؟ وهذا الكسب فعل يتوقف على اختيار العبد، وما الفرق بينهما إذاً؟

وإن كان الكسب فعلاً لله، وللعبد فيه كسبٌ أيضاً لزم التسلسل، ولزم في الكسب الثاني ما ذكرنا في الأول، وهكذا.

وجواب آخرٌ على مقالة أبي الحسن الأشعري:

لأنه لما استشنع هو وأتباعه تصريح جَهْم بن صفوانَ وأصحابه بالجبر الصريح، ونسبة أفعال العباد إلى الله

فروا إلى غير مفر فجعلوا الأفعال لله وللعبد فيها كسب.

والجـواب عليهم أنا نقـول لهم: هـل الكسـب فعـلٌ للعبد؟ أو فعلٌ لله؟

فإن قالوا: فعلٌ لله- فقد لزمهم مثل قـول جَهْم مـرتين، ولم يبقوا للعبد كسباً.

وإن قالوا: فعـلٌ للعبـد. فقـد أثبتـوا للعبـد فعلاً- فمـا الفرق بين الفعلين؟ والذي أوجب لكم نفي الفعـل للعبـد حاصلٌ في هذا.

وكيف صحّ لكم أن هذا فعلٌ للعبـد الـذي لم يقم دليـل عليه، والفعلُ الذي نشاهده صدر من العبد ليس منه؟ بل الـذي أوجب لكم نفي الفعـل عن العبـد يـوجب نفي هـذا عنه لعدم الفارق.

فإن قالوا: هذا الكسب فعلٌ لله، وللعبد فيه كسـب- عدنا الكلام معهم في كسب الكسب، وهكذا.

[شبهةٌ في الجبر، وجوابُها]

فإن قيل: إن الله يعلم أن العبد يفعل في الأزل فلا بد أن يفعله، وإلا انكشف علم الله جهلاً.

قيل له: العلمُ مطابقة الواقـع، ولا يمكن أن يتخلـف، سواءً كـان من اللـه، أو من غيره؛ لأن هـذا خلاف حقيقـة العلم.

وأما الذي تارة يطابق، وتارة لا يطابق فليس بعلم بل هو الظن.

وقد أوضحنا فيما سبق أن الفعل والترك يحصلان باختيار

العبد، وبحسب إرادته، ودواعيـه، وصـوارفه، وأنـا نعلم هـذا ضرورة لا شك فيه، ولا ريب.

ونحن نؤمن، ونعترف بأنَّ الله يعلم بـأن العبـد يفعـل الفعـل، أو يتركـه باختيـاره، وهـو يقـدر على العكس، ولا يمكن أن يتخلف العلم، أو المستقبل لأنه خلاف حقيقته.

فإن قلتم: إنه يعلم بأنه سوف يفعله باختيـاره، وهـو يقدر على العكس- فليس بجبر؛ لأنَّ الاختيـار خلاف الجـبر ونقيضـه، ولا تقـدرون أن تثبتـوا أن اللـه يعلم بـأن العبـد يفعلــه بغــير اختيــاره، ولا يقــدر على الــترك؛ لأنَّه خلاف المعلوم ضرورة، ولا يمكن أن يكون العلم خلاف المعلوم؛ لأنَّه خلاف حقيقته، ولا نسلم هذا لو ادعيتموه، وكل دعوى بدون برهان فهي عاطلة كما أوضحناه سابقاً.

ويؤيد هـذا: قـول اللـه تعـالى: ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَـدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى**﴾ [فصـلت:17]، فهل تقولـون: إن الله قد علم قبلُ أنهم يستحبون العمى على الهدى؟

فإن قلتم: إن اللـه قـد علم ذلـك فقـد أقـررتم بمـا نقول.

وإن قلتم: إن اللــه لم يعلم قبـلُ لـزمكم أن اللــه لا يعلم الأشياء قبل وقوعها، فلا يلزمنا ما ألزمتمونا ســابقاً، ولزمكم تجهيل الله.

وإن قلتم: إن الله قد علم سابقاً أنهم لا يستحبون، فقد أكذبتم الله في قوله، وكفرتم بما قال.

ثم نقــول لهم: إن اللـــه قـــد علم بأنـــه ســـيخلق

السموات، والأرض، والجن، والإنس، والملائكة، والجنة، والنار، والمخلوقات كلها قبل خلقها، فهل الله مجبور على الخلق؟ أو إنما علم أنه سيخلق باختياره؟ وهو قادر على الترك؟ فما أجبتم به في فعل الله فهو جوابنا.

وجواب آخر كنت قد أجبت به في موضع آخر، فرأينا وضعه هنا للفائدة.

فإن قيل: فإن الله عالم في الأزل أن العاصي يعصي، والمطيع يطيع ولو كانوا قادرَين على الترك لزم مناقضة علم الله ومخالفته.

فالجواب: أنه لا يلزم ذلك؛ لأنَّا لا نقول: إنه يتخلف علم الله، وإنما نقول: إن العاصي يقدر على الطاعة، وأنه يفعل المعصية باختياره وإرادته، وأن الله عالم بأنه يفعلها باختياره، وكذا المطيع مثله، وإلا لزم عدم استحقاق الجزاء في المطيع والعاصي والله يقول: ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [الواقعة:24]، ﴿**هَلْ جَزَاء الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾ [الرحمن:60]، ﴿**وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً**﴾ [الإنسان:12]، ونحو ذلك.

ولزم أيضاً في أفعال الله نفسه؛ فإن الله يعلم بخلقه للسموات، والأرض، والجن، والإنس، والملائكة، والجنة، والنار، فهو عالم بأفعاله كلها في الأزل قبل فعلها، ولا يتخلف ما علمه الله فيلزم على هذا أنه مجبر على فعلها غير قادر على الترك، فلا يكون فاعلاً مختاراً بل علة

قديمة.

[شبهة وجوابها في تكليف ما لا يطاق]

ومن العجب العجاب أنهم يحاولون تدنيس الله، ونسبة القبائح إليه بكل وسيلة، ويحاولون التلبيس على الناس بكل شبهة؛ لتثبيت قاعدتهم المنهارة.

فمن جملة ما لبَّسوا به أنَّ الله قد كلف أبا جهل بالإيمان بما جاء به النبي ÷، ومن جملة ما جاء به الإخبار بأنه لا يؤمن، والجمع بينهما محال لا يطاق.

والجواب والله الموفق للصواب: أنه كلفه بالإيمان، وهو قادر عليه ضرورة، ولم يكلفه بأن يعلم أنه لا يؤمن، وإنما أخبر أنه يختار الكفر، ولم يكلفه بأن يعلم؛ لأنَّ العلم حاصل لديه، فكيف يكلفه بتحصيل الحاصل، وتحصيل الحاصل محال.

وليس المراد أن يكلِّف أبا جهل بالعلم، ولم يُرسَل النبي بهذا.

وإنما أرسل بأن يدعو الناس إلى طاعة الله، والإيمان به، والكفر بالأوثان، وترك عبادتها. وإنما أخبرهم بأنهم يستحبون الكفر على الإيمان، وأن المعجزات لا تصرفهم عن هذه الإرادة، كما قال في ثمود:)**فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى** [فصلت:17]،؛ لأن كبار قريش أتوا إلى النبي ÷ وأرادوا أن يُعَجِّزُوه؛ تقوية لكفرهم، وإبطالاً لنبوءته ÷، وطلبوا منه أن يأمر الشجرة أن تأتي، فإذا فعل هذا آمنوا به، وهم يعتقدون أنه لا يقدر على ذلك، فأخبرهم بأن الله

على كل شي قدير، وأنهم لا يؤمنون وإنْ فعل، وأنَّ منهم من يقتل في القَلِيب، وأن منهم من يحـزب الأحـزاب، ثم أمر الشجرة أن تـأتي فـأتت تخـط في الأرض، ثم طلبـوا منه أن يأمرها أن تعود، فعادت، فقالوا: ساحر.

فكان من هذه معجزتان: إتيانُ الشجرة ورجوعهـا، ووقـوع ما أخبرهم به في المستقبل.

فليس المراد تكليفهم بالعلم بـالكفر، فهم عـالمون بـه، ولا أن يكفـروا، وإنمـا يريـد أن يخـبرهم بأنـه عـالم بمـا في نفوسهم، وأنهم يختارون الكفر على الإيمان.

فهــل يريــد أبــو الحســن الأشــعري أن اللــه كلفهم بالإيمان، والكفـر؛ لأن من لازم التكليـف بالإيمـان بـالكفر أن يكفروا، وما لا يتم الواجب إلا به يجب كوجوبه؟ وهــذا ما لا يقول به كافر فضلاً عن مسلم، انظـر كيـف بلـغ بـه التعصـب إلى أن الـتزم أن النـبي ÷ داعيـة إلى الكفـر، وكذلك الله أيضاً؛ لأنه كما قال تعالى: ﴿**إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم:4].

انظر كيف بلـغ بـه علمــه إلى تجـاوز حـد الكفـر، ومن المعلوم الذي لا شك فيه أنا لم نُكلف بمعرفة كل ما جاء به القرآن، فلسنا مكلفين بمعرفة غاسق إذا وقب، ولا ما هي النازعـات غرقـاً، ولا الناشـطات نشـطاً، ولا بمعرفـة الأَبِّ في قوله: ﴿**وَفَاكِهَةً وَأَبًّا**﴾ [عبس:31]، ونحو ذلك.

وإنما التكليف بفعل الواجبات، وترك المحرمات، ولا يتم ذلك إلا بمعرفتها، والإيمان بالله وحـده، ورسـله، وملائكتـه،

وكتبه، وبالدار الآخرة.

[تنـزيه الله تعالى عن الرضا بالمعاصي]

32-ولا يَشاها ولا يَرْضى بها أبداً كيف وقد هَدَّدَ العاصين إذْ عَمَدُوا

33-وأنزل الله في تحذيرنا كُتُباً الأمرُ فيها وفيها النَّهيُ والزَّجْرُ

في هذين البيتين ومـا بعـدهما تنــزيه اللـه عن الرضـى بالمعاصي؛ لأنَّ الرضا بها قبيح.

وقد أوضحنا الأدلة فيما سبق أن الله لا يفعل القـبيح، ومن الأدلة على أن الله تعالى لا يرضـى بالمعاصـي، وأن العبــد مختــار في فعلــه، ليس مجــبراً، وأنــه يقــدر على الطاعـة والمعصـية، أن اللـه قـد بعث النبـيين مبشـرين، ومنذرين، وهذا لا يقـع من حكيم أن يـأمر بشـيء وهـو لا يريده، أو يريد تركه، ولا ينهى عن شيءٍ وهو يريده، وهذا أمر معروف عند كل عاقل.

وفي اللغة العربية أن الأمر هو: الأمر بما يريده الآمر.

والتهديد هو: الأمر بما لا يريده، وأن الفرق بينهما ذلك.

فكيـف إذا هـدد العاصـي وعاقبـه، فهـذا مـا لا تقبلـه العقول الناقصة، فكيف بالعقول الزكية؟!

وقد أكّد الله ذلك في القرآن فقـال: ﴿**وَاللّـهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ**﴾ [البقرة:205]، ﴿**وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**﴾ [الزمـر:7]، ﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْـرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ**﴾ إلى قوله: ﴿**قُلْ هَـلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُـونَ إِلاَّ الظَّنَّ**

وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ [الأنعـام:148]، (**يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْـدِيَكُمْ سُـنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ** [النسـاء:26]، وقـال: (**كُـلُّ ذَلِـكَ كَـانَ سَـيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا** [الإسـراء:38]، (**فَـإِن تَرْضَـوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِـقِينَ** [التوبـة:96]، وقوله: (**وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الـرَّحْمَنُ مَا عَبَـدْنَاهُم مَّا لَهُم بِـذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ** [الزخرف:20]. فهذه الآيات دليل على أن المعاصي ليسـت من اللـه، ولا بإرادتـه؛ لأنهـا لـو كـانت منـه لكـانت بإرادته.

وأما التهديد فهو في القرآن كثير، نحو قوله تعـالى: (**وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُـدُودَهُ نُدْخِلْـهُ نَـارًا خَالِـدًا فِيهَا** [النسـاء:14]، (**لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِـهِ وَلاَ يَجِـدْ لَـهُ مِن دُونِ اللّـهِ وَلِيًّا وَلاَ نَصِـيرًا** [النساء:123]، (**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا** [النسـاء:93]، (**وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْـقَ أَثَامًا 68 يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَيَخْلُـدْ فِيـهِ مُهَانًا69** [الفرقـان]، (**فَمَن جَـاءهُ مَوْعِظَـةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىَ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْـرُهُ إِلَى اللّـهِ وَمَنْ عَـادَ

فَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [البقـرة: 275].

وكون أفعال العباد كلها الطاعة والمعصية بمشيئة الله وإرادته هو مذهب المشركين -لعنهم الله- وقد حكاه الله ورده بأبلغ الرد، قال الله تعالى: ﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ**﴾ [الأنعام:148]، وقد يتستر من يقول بمثل هذه المقالات السخيفة، والأقوال البشعة بشبهة ضئيلة لا تستره، ولا تخرجه من هذا المأزق الذي وقع فيه، ألا يستحي ممن خلقه، ورباه، ورزقه، وأعطاه، وشق سمعه وبصره، وهداه، وخلقه في أحسن تقويم، وفضله على كثير من المخلوقات.

فوالله الذي لا إله إلا هو إننا لو عبدنا الله طيلة أعمارنا، وشكرناه بجميع أنواع الشكر، وخضعنا له غاية الخضوع، وتواضعنا له نهاية التواضع، ما جازيناه، ولا كافأناه.

انظر أيها العاقل إلى الملائكة صلوات الله عليهم حين عرفوا الله حق المعرفة: ﴿**لاَ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [التحريم:6]، ﴿**يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ**﴾ [الأنبياء:20]، ﴿**يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ**

وَالْمَلائِكَـــــــــــةُ صَـــــــــــفًّا لا يَتَكَلَّمُـــــــــــونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا [النبأ:38]، وهم مع هذا كمـــا قـــال اللـــه ســـبحانه فيهم:)**وَهُمْ مِنْ خَشْـــيَتِهِ مُشْفِقُونَ** [الأنبياء:28].

وأمـا قولـه:)**وَلَـوْ شَـاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَن فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا** [يونس:99]، فالمراد لو شاء أن يؤمنوا بالجبر والإكراه دليله آخر الآية وهو:) **أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ** [يونس:99]،ـ)**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** [البقـرة: 256]،)**فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** [الكهف:29]،

[الجواب على شبهة من يقول: لو وقع في ملك الله ما لا يريد كان مغالبة لله ومقاهرة]

نعم، قد يتسثّر ويقول: لو وقع في ملك الله ما لا يريد كـان مغالبة لله، ومقاهرة.

والجواب والله الموفق: أنه لا يكون كـذلك إلا إذا لم يكن الله قادراً على منعهم، وكان عاجزاً عن ردعهم، أمـا إذا اقتضـت حكمتـه أن يجعـل لهم قـدرة على الفعـل والترك، ويحذرهم، وينذرهم؛ ليستحق المطيع التشـريف، والتكريم، ويستحق المجـرم الإهانـة، والتعـذيب ولـو أراد لقهرهم، وغلبهم فليس بمغالبة كما قال الله تعـالى:)**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُـؤْمِنِينَ** [يـونس:99]، فعَـرَّف

نبيه ÷ أنه لا يريد الإكـراه، والجـبر، ولـو أراد الفعـل لوقـع، دليله آخر الآية، وهو:)**أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** [يونس:99].

وقــال ســبحانه وتعــالى:)**وَلَـوْ يُؤَاخِـذُ اللّـهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَـرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَكِن يُـؤَخِّرُهُمْ إلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى** [النحل:61]، وقال:)**وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّـهَ غَـافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيـهِ الأَبْصَـارُ** [إبـراهيم:42]،ـ)**فَلاَ تَحْسـِبَنَّ اللَّهَ مُخْلِـفَ وَعْـدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ** [إبراهيم:47].

فهذه الآيات توضح وتبين لنا أنه لم يُغْلَب، وإنمـا اختـار تأخيرَ الانتقام.

وقد بين أن الأفعال بمشيئتهم، وأنـه تـرك لهم الاختيـار بقولــه:)**فَمَنْ شَــاءَ فَلْيُـؤْمِنْ وَمَنْ شَــاءَ فَلْيَكْفُـرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا** [الكهــف:29]، وقوله:)**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** [البقرة:256]، ونحوهما.

وأما قولـه:)**وَلَوْ شَـاء اللّـهُ مَا أَشْـرَكُواْ** [الأنعـام:107]، فـالمراد بـه مشـيئة الجـبر دليلـه:)**وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ** [الأنعام:107].

وكذا كلما ورد في القرآن من ما يدل على أنـه لـو شـاء ما فعلوا، فلا يلزم منه أن يشأ معصيتهم له؛ وذلك لئلا يلزم أن يكون القرآن متناقضاً، ولمخالفته لأدلـة العقـل، ولقولـه تعـالى:)**وَلَوْ كَـانَ مِنْ عِنـدِ غَيْـرِ اللّـهِ لَوَجَـدُواْ فِيـهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا** [النساء:82].

وقد صرح الله أنه قد وقع في ملكه مالا يريد فهل غُلِبَ؟ أو قُهِر؟ قال تعالى: ﴿**وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ**﴾ [البقرة:205]، وأخبر أنه وقع فقال تعالى: ﴿**فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ**﴾ [الفجر:12]، ﴿**وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**﴾ [الزمر:7]، وقد وقع قال الله تعالى: ﴿**فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ**﴾ [النحل: 112].

وقال: ﴿**لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الأعراف:31]، وقد وقع، قال تعالى: ﴿**إِنَّهُ كَانَ عَالِياً مِنَ الْمُسْرِفِينَ**﴾ [الدخان:31]، وقال: ﴿**وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ**﴾ [الإسراء:31]، ﴿**وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ**﴾ [الإسراء:33]، ﴿**وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى**﴾ [الإسراء: 32]، ﴿**وَأَوْفُوا الْكَيْلَ**﴾ [الإسراء:35]، ﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ [الإسراء:36]، ﴿**وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ**﴾ [الإسراء:34]، ﴿**وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ**﴾ [الإسراء:34]، ﴿**وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً**﴾ [الإسراء:37].

ثم قال بعد ذلك كله: ﴿**كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا**﴾ [الإسراء:38].

وقد وقع كلما أخبر أنه مكروه. بعضُه قد علمناه، وبعضُه قد أخبر الله تعالى أنه قد وقع.

فهل هذه مغالبة، ومقاهرة حين حصل ووقع في ملكه ما لا يريد؟!.

ولو تأملت في القرآن لعثرت على شيء كثير من هـذا النوع،وانظر في الآيات التي سنوردها بعـدُ الـتي تنص على مالا يرضاه، أو يرضى به وقد وقع خلاف ذلك .

[المخازي التي تلزم من القول برضاء الله بالمعاصي]

34-لو كان يَرضى بفعل المجرمين فإ — نَّ المجرمين لِمَا يَرضاه قد قَصَدوا
35-أو كان ما عمل الإنسان من عمل — فالفعل ليس له والفاعل الصَّمَدُ
36-أو كان أجبرهم في كل ما عملوا — وإن أساءوا وإن أخطوا وإن عَمِدُوا
37-لصار ما أنْزَلَ الرَّحمنُ مَهْزَلَةً — والكافرون بما أوحاه ما عَنِدُوا
38-وأصبح الأنبياء بَعْثُهُمْ عبثاً — والكفرُ بالله والإيمان يَتَّحِدُ

أي لو كـان لا يقـع في ملـك اللـه إلا مـا يرضـاه فـإن المجــرمين قــد أرضــوا اللــه بمــا أجرمــوا؛ لأنَّه يرضــى بالمعاصي، ويشاؤها.

ولأن الأفعال كلها من الله عندهم والله لا يفعل إلا ما يريد كما قال: ﴿**فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**﴾ [البروج:16]، ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَـيْئاً أَنْ يَقُـولَ لَـهُ كُنْ فَيَكُـونُ**﴾ [يس:82]، وصـارت الكتب الـتي أنزلهـا اللـه مهزلـة، وبعث الأنبيـاء صلوات الله عليهم وسلامه صار عبثـاً، ولا يقـدر العاصـي على فعل ما أمره به، ولا الانتهاء عما نهاه عنه، فصــارت المعصية والطاعة كلتاهما طاعة.

والأمر والنهي كلاهما عبثاً؛ لأنَّه لا فائدة في أمــر من لا يستطيع الفعل، ولا نهي من لا يقـدر على الانتهـاء، حاشـا الله من هذه المسخرة.

وصار الأمر كمن يأمر المجانين والبهائم بكل ما أمـر، وينهاهم عن كل مـا نهى، ثم يعـذبهم إن لم يـأتمروا، ولم ينتهوا.

وصار أمره، وشـأنه، وقـبيحُ فعلـه، أعظمَ ممن يُطْلِـع الحمير والكلاب، والسفلة في المناظر الجميلـة الرفيعـة، ويفــرش لهم الحريــر، والــزلَّ، وأجمــل الفــرش وأغلاه، ويقدم لهم أشهى المـأكولات، وأحسـنها، ويضـعُ أشـراف القــوم، وسـاداتهم بين روث الحمـير، والزبـالات، وبـراز الآدميين؛ لأنَّ ذلك تعظيم من لا يستحق التعظيم، وإهانــة من لا يستحق الإهانة.

فمثل هذا الفعل، وهذا العمل القبيح السخيف يتحاشا عنه سفلة الرجال، دع عنك أشرافهم، فكيف برب العزة، والجلال؟! الذي حاز جميع صفات الكرم، والكمال، الــذي لا يضره شيء، ولا ينفعه، ولا يحتاج الحاجات، ولا يشـتهي المشتهيات، ولا يستلذ بالمستلذات، والعالِم بأن مثل هـذا من أقبح القبــائح، وأرذل المســترذلات، وأنــه يُنَقِّص من كماله، وعزته، وجلاله، وأنه ليس لـه لأي شـيء حاجـة من الحاجـات، ولا يسـتلذ بـأي مسـتلذٍ من المسـتلذات، وإنمـا يفعل ما تدعو إليه الحكمة والمصلحة، وهو أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين حاشا الله من هـذه السـخافة، ومن هـذه

الدناءة.

وإذا قلنا: إن أفعال العباد من الله، أو أن الله يرضى بمعاصي العاصين، أو أن الله أجبرهم عليها، أو قضاها، وقدرها عليهم قضاء حتم حتى أن العباد لا يستطيعون الترك، وأنها ليست باختيارهم فقد لزم أن ننسب إلى الله كل القبائح، والفضائح، والعيوب من القتل، والظلم، والكذب، وأيمان الفجور، وشهادة الزور، وقطع الطريق، وانتهاب الأموال، والسرق، والزنا، ونحو ذلك تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ولزم أن إرسال الرسل وإنزال الكتب مشتمل على أنواع من القبائح:

الأول: اللعب والعبث والهزؤ وذلك أن بعثة الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم من لدن آدم صلوات الله عليه نبيئاً بعد نبيء، ورسولاً بعد رسول إلى زمن نبيئنا محمد اللهم صل وسلم عليه وعلى آله يدعون العباد إلى طاعة الله، وينهونهم عن المعاصي، وإنزال الكتب كذلك، والعباد لا يستطيعون أن يطيعوا الله، ولا أن ينتهوا عن المعصية، في غاية من اللعب، والعبث.

كيف لو كانت دعوتهم إلى أن يكون العباد طوالاً، أو قصاراً، أو سوداً، أو بيضاً، أو نحو ذلك، والله هو الذي خلقهم طوالاً، وقصاراً، وسوداً، وبيضاً، أليس هذا في غاية من اللعب والعبث؟ وهذا مثله.

الثاني: أن نسبتها إليهم وهو الذي فعلها كذب

وافتراء.

الثالث: أن تعـذيبهم على المعصـية وهـو الـذي فعلهـا فيهم من أعظم الظلم تعـالى اللـه عن ذلـك، وإثابـة المطيعين، وتشريفهم، وإجلالهم على الطاعة، وهو الـذي فعلها فيهم من أعظم القبح، والسخافة.

الرابع: أن الحكيم العليم لا يفعل الفعل إلا لغـرض إمـا حاجة تدعوه إليه أو حكمة، والله ليس بمحتاج والحكمة لم تقض بتعذيب من لا ذنب له.

كتاب النبوة

[الأنبياء ومعجزاتهم]

39-والأنبياء ندين الله خالقنا بأن بَعْثَهُمُ حقٌّ ونعتقدُ
40-والمعجزات دليلٌ شاهدٌ لهمو فهي لنا سَندٌ حقًّا ومستندُ

هذا شروع في النبوءة فنحن نؤمن بنبوءة الأنبياء كلهم، لا نفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون صلوات الله وسلامه عليهم وعلى آلهم الطاهرين.

وأدلّتنا على ذلك المعجزات التي يعجز عن الإتيان بمثلها كل البشر، ولكل نبيء معجزة.

وأعظم معجزات نبينا محمد ÷ القرآن الذي هو باقٍ إلى الآن، ولا يستطيع أحد أن ينكره؛ لأنَّه يتلى في الدول الإسلامية والكفرية، وقد تحدى الله به الجن والإنس فقال:)**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الأِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً** **[الإسراء:88]**، وقد مضت ألف وأربعمائة سنة وسبع وعشرون فلم يقدروا على أن يأتوا بمثله.

وله معجزات كثيرة مذكورة في كتب الأسلاف رضي الله عنهم، إلا أنَّ هذه المعجزة لا يستطيع أحد أن ينكرها منها حنين الجذع، ومنها بقرة آل ذريح التي شهدت بنبوءته،

ومنها الجمل الذي حاكم أهله عند رسول الله ÷، ومنها الذئب الذي شهد بنبوءته، وتسبيح الحصى في يده.

ومنها إخباره بالمغيبات، فكانت على ما أخبر، كإخباره بأن عماراً تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة، ويدعونه إلى النار، وإخباره بأن أمته تقتل ولده الحسين رضي الله عنه بأرض كربلاء، ومنها إخباره بمقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، وأنها تُخضب لحيته من دم رأسه، وإخباره بقاتله فكان الأمر كما أخبر في هذا كله، وهي معجزات كثيرة، ومن أراد الاستيعاب فليطالع كتاب إثبات النبوءة للإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني #.

وأما الأنبياء صلوات الله عليهم فلهم معجزات كثيرة، منها ما قد عرفناه، ولم نعرف الكل، ولكنه يكفينا إخبار الله بهم في القرآن، وسرد أخبار بعضهم؛ لأنَّه قد ثبت أن هذا القرآن من الله فيجب التصديق بما فيه، ويكفينا الإيمان بهم جملةً في من لم يذكره الله باسمه: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا**﴾ [البقرة:136]، إلى أن قال: ﴿**وَمَا أُوتِيَ النَّبِيئُونَ مِنْ رَبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة:136]، وكذا الملائكة يكفينا الإيمان بجملتهم في من لم نعرفه باسمه؛ لأنَّه يجب علينا الإيمان بكل ما في القرآن .

الوعد والوعيد

41-ووعده والوعيد والكذْبُ للعاجز

قد قررنا وأثبتنا فيما سبق أن الله غـني ليس بمحتـاج، وأنه منـزه عن القبائح؛ لأنَّه عالم بقبحها، واستغنائه عنها.

[بحث في قبح الكذب وتنـزيه الله عنه]

والكذب من جملة القبائح المذمومة الذي لا يستخدمه إلا السفلة الضعفاء، ليتوصلوا به إلى نيل أغراضهم.

والشرفاء ينـزهون أنفسهم عنـه -وإن دعتهم الحاجـة إليه- فكيف بمن ليس له أي حاجة، ولو يريد طاعة العبيد على أي حال لم يحتج إلى هذه الوسـيلة الرذيلـة الـتي لا يستخدمها إلا السفلة، الضعفاء العاجزون.

كيف ولا تنفعه طاعتهم، ولا تضره معصيتهم.

ولما أراد الله انتشار الذراري، والحيوانات في العـالم على كل حال اتخذ وسيلة عجيبة تدل على حكمةٍ، وقدرة بلغتا مبلغاً عظيماً.

فانظر إلى هذه الوسيلة التي بلـغ بهـا مـراده وهي أنـه جعل للذكر داعيـاً إلى الأنـثى، وللأنـثى داعيـاً إلى الـذكر، داعياً عظيماً يتحملـون معـه المشـاق العظيمـة، ويعـانون من أجله المتاعب الكبرى.

وهو يقدر أيضاً بغير هـذه الوسـيلة كمـا خلـق آدم من تراب.

لكن لحكمةٍ اقتضاها علمه. منهـا: تبـيين حقـارة هـذه الدنيا الدنيئة، فلو أراد ذلك لجعـل للعبـاد داعيـاً قويـاً إلى طاعته كهذا الداعي.

ولا يحتاج إلى الكـذب المـذموم، لكن الحكمـة اقتضـت اختبارهم؛ ليكون الشاكر المطيـع الصـابر أهلاً للتشـريف، والتعظيم، والإكرام، وليستحق العاصي الكـافرُ لنعم اللـه الإهانةَ، والتعذيبَ بعد الإعذار، والإنذار، والتمهيل.

[الأدلة على صدق الوعيد]

وقـد أكّـد الشـرع ذلـك، قـال اللـه سـبحانه وتعـالى:)**لا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ28مَا يُبَدَّلُ الْقَـــــــــــــــوْلُ لَـــــــــــــــدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلاّ َمٍ لِلْعَبِيـــدِ29** [ق]، وقـــال تعـــالى:)**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيـهِ مَنْ تَـذَكَّرَ وَجَـاءَكُمُ النَّذِيرُ فَـذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِـيرٍ** [فـاطر:37]، وقـال تعـالى:)**وَقَـالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَـأْتِكُمْ رُسُـلٌ مِنْكُمْ يَتْلُـونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَـذَا قَـالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَـافِرِينَ71 قِيـلَ ادْخُلُـوا أَبْـوَابَ جَهَنَّمَ خَالِـدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْـوَى الْمُتَكَبِّرِينَ72** [الزمر]،)**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَـلْ سُـوءاً يُجْـزَ بِـهِ وَلا يَجِـدْ لَـهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِـيراً** [النسـاء:123]،ـ)**فَلاَ تَحْسـِبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيـزٌ ذُو انْتِقَـامٍ**

[إبـراهيم:47]، فهذه الآيـات نص ودليـل على أن اللـه لا يخلـف وعده ووعيده، وقد ورد في القـرآن كثـير من الآيـات تـدل على خلود العاصـين في نـار جهنم، سـواء كـانوا كفـاراً، أم فساقاً، كقوله تعالى:)**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَـدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَـاراً خَالِـداً فِيهَا وَلَـهُ عَـذَابٌ مُهِينٌ** [النسـاء:14]، وقولـه تعـالى:)**وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ14 يَصْلَوْنَهَا يَـوْمَ الـدِّينِ15 وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَـائِبِينَ16** [الانفطار]، وقوله تعالى:)**وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّـيِّئَاتِ جَـزَاءُ سَـيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَـرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِـمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِـيَتْ وُجُـوهُهُمْ قِطَعـاً مِنَ اللَّيْـلِ مُظْلِماً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** [يونس: 27]. فهذه الآيات تدل أيضاً على بطلان مذاهب أهل الإرجاء في الخروج من النار لأهل الكبائر من هذه الأمة.

[الرد على دعوى أن دلالة العموم على كل فرد من أفراده ظَنِّيَّة]

هذا، ومما قد يحتج به بعض المرجئة أن دلالـة العمـوم على كل فرد من أفـراده ظنيـة فلا يقطـع بـالخلود لأهـل الكبائر.

والجواب من وجوه:

أحدها: أن هذه دعوى لا دليـل عليهـا؛ لأنَّ اللـه خاطبنـا بكلام العرب، وقد وضعت العرب للعمـوم صـيغاً، وللأفـراد صيغاً، لتدل كل صيغة على ما وضعت له.

فدلالة العموم على ما وضع له كدلالـة الخصـوص على

ما وضع له سواءً سـوى، فـإذا اسـتعملت ألفـاظ العمـوم فدلالتها على كل الأفـراد كدلالـة اللفـظ الموضـوع لفـرد على ذلك الفرد.

ووضـعوا أيضـاً للتخصـيص ألفاظـاً لإخـراج من لم يـرد دخوله في ذلك العمـوم، وتبقيـة من يـراد كقولـه تعـالى: ﴿**وَالْعَصْـرِ1 إِنَّ الإنْسَـانَ لَفِي خُسْـرٍ2 إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ3**﴾ **[العصر]**.

فحكم بخسران كل إنسـان إلا من اسـتثناهم، ولـولا أنَّ كل إنسان داخل لم يحتج إلى الاستثناء.

الوجــه الثــاني: أن كــل إنســان عاقــل مكلــف بالشـرعيات مـع الاسـتطاعة قطعـاً، وإنكـاره كفـر، ولم يرسل الله إلى كل فرد رسولاً خاصاً، و لم يخص كل فرد باسمه، وإنما دخلوا في عموم قوله تعالى: ﴿**قُـلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُـولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعـاً**﴾ **[الأعـراف:158]**، والمعلوم أن كل بالغ عاقل تجب عليه الصـلاة، وكـل من يحصل معه النصاب، وشروط الزكـاة تجب عليـه الزكـاة. وكذا الصيام، والحج، وكـل الشـرعيات، وإنمـا دخلـوا في عموم ﴿**أَقِيمُواْ الصَّلاةَ**﴾ و ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً**﴾ **[التوبة:103]**،ـ ﴿**وَلِلّـهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسـتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**﴾ **[آل عمران:97]**، ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**﴾ **[البقـرة: 183]**، ونحوها.

وكذا أدلة وجوب التوحيد، وبـر الوالـدين، وصـلة الأرحـام،

وسائر الواجبات.

وكذا تحريم الزنا، والقتل، والسرق، وقطع الطريق، وتحريم الأمهات، والبنات، و الأخوات، وأمهات الزوجات، إنما هي عمومات.

وكذا سائر المحرمات، كالربا، وأكل مال اليتيم، وشرب الخمر، وغيرها فلا يدخل كُلُّ فرد يقيناً, وكذا لا تثبت التوبة لكل فرد، ولا دخول الجنة لكل فرد من المؤمنين يقيناً.

وكذا ما فرض الله للابن والبنات، والزوج، والزوجة، والإخوة، والأخوات، والأب، والأم، من الميراث، وهذا تلاعب بالدين، وهدم للشرائع، وخلاف إجماع المسلمين من أولهم إلى آخرهم، وخلاف ما علم من دين الأنبياء صلوات الله عليهم ضرورة.

وخلاف ما علم من الدين ضرورة كفر.

وسواءً بعد التخصيص أو قبله، بل التخصيص دليل على إرادة استيعاب العموم، وأنه لولا إخراج من أخرج بالتخصيص لدخلوا فيدل على استيعاب من لم يخصص.

[شبهة وجوابها في قوله تعالى:)**فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ**(]

فإن قيل: فما تقولون في قول الله تعالى:)**فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ105 فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُواْ فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ106 خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ**

رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ107 [هود].

قيل له: إن الله قسَّم أهل البعث قسمين فقال:)**فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ** ثم قال:)**وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُواْ فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاء غَيْرَ مَجْذُوذٍ** [هود:108]، فلما قال: غير مجذوذ، وقد أجمعت الأمة على خلود أهل الجنة علمنا أنه استثنى المدَّة الواقعة قبل الدخول؛ لأنَّ الاستثناء في القسمين مستوٍ، ولأن الآيات المتقدمة مصرحة بالخلود، وعدم الخروج.

فإن قيل: إن الاستثناء لأهل الكبائر غير الكفار كما يقوله بعض المرجئة.

قيل له: لو قال: **(**إلا من شاء) كان هذا محتملاً، لكنه استثنى بعض المدة المحكوم بها للكل المؤمنين، والكفار، والفساق.

ولتنافيها مع الأدلة المتقدمة سيما قوله تعالى:)**وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ80 بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَاتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ81** [البقرة]، فإنه رد على من قال أياماً معدودة، وأوجب الخلود على من كسب سيئة أي سيئة، وكذلك قوله:)**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي**

دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ [آل عمران:24]، فحكم بأن هذا غرور، وأنه الذي جرأهم على المعاصي، وأنه افتراء.

مع أنه ليس ثَمَّ احتمال إلا لو قال: إلا من نشاء. والمحتمل لا يحتج به أيضاً، فكيف وقد صادم الأدلة القاضية بخلود الفساق.

[بحث في آية المشيئة: إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ...]

فإن قيل: فما تقول في قوله تعالى:)**إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** [النساء:116].

قيل له**:** المشيئة في حق الله مجاز، وإنما هي عبارة عن من علم الله أن الحكمة في أن يغفر لهم، وقد أخبر الله في آيات أخرى بمن يغفر لهم.

فإن قيل: لا بد أن يكون بين الشرك، وبين ما دونه فارق.

قيل له**:** الشرك لا يغفر مطلقاً، ولو خطأ إلا بالتوبة، وما دونه يغفر إذا كان خطأ، ألا ترى أن من تزوج بامرأة في عدتها خطأ، أو أدخل عليه غير امرأته خطأً، أو شرب خمراً، أو تزوج بامرأة المفقود، أو صلى إلى غير القبلة كل ذلك خطأ فإنه غير مؤاخذ، ولا يغفر له إذا أشرك خطأ، ولا يمكن أن يعارض بها الآيات المتقدمة الصريحة في دخول أهل الكبائر وخلودهم.

ولأنه يكون إغراءً بفعل القبيح، والله لا يفعله.

أو نقول: إن المعاصي الكبائر كلها شرك لقوله تعالى:)**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ** [يس:60]، ولم يعبدوه وإنما أطاعوه فسماها عبادة.

وقد سمى الرياء شركاً في قوله تعالى:)**فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً** [الكهف:110]، وأقل أحوالها أن تكون من المتشابه والآيات الأولى محكمات؛ لأنها صريحات ويؤيد هذا -أعني أن الكبائر شرك- أن آية المشيئة بعد قوله تعالى:)**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ**..الخ الآية[النساء:115]، ثم قال:)**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ** [النساء:116].

نعم، وقوله تعالى:)**فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ** [التوبة:96]، وكذا قوله تعالى:)**لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ** [النساء:148]،)**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ** [آل عمران:31].

فشرط في محبته لهم الإتباع)**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ** [البقرة:222].

وقوله تعالى:)**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** [لقمان:18]، وكذا قوله تعالى:)**وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ** [البقرة:205]،)**وَلا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ** [الزمر:7].

وكذا قوله تعالى:)**كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا** [الإسراء:38]، بعد قوله تعالى:)**وَلاَ تَقْتُلُواْ**

أَوْلاَدَكُم [الإسراء:31]،)**وَلاَ تَقْرَبُواْ الزِّنَى** [الإسراء:32]، وقوله تعالى:)**وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللّهُ** [الإسراء:33]، وقوله تعالى:)**وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ** [الإسراء:35]، وقوله تعالى:)**وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا** [الإسراء:37]، وقوله:)**وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** [الإسراء:36]، ثم قال بعدُ:)**كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا** [الإسراء:38].

وقوله تعالى:)**إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالاً فَخُورًا** [النساء:36]، وكذا قوله تعالى:)**ولَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ** [النساء:18]، وجه دلالة هذه الآية أنه نفى عن الذين يعملون السيئات قبولها، يعني أنه لا يغفر لهم؛ لأنَّ القبول هو المغفرة، فكيف بغير التوبة.

وكذا قوله تعالى:)**وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** [آل عمران:57]، وكذا قوله:)**تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ** [المائدة:80].

وكذا قوله تعالى:)**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ** [النساء:93]، والغضب ينافي المشيئة، وقوله تعالى:)**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** [البقرة:190]، وكذا قوله:)**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**

[البقـرة:276]، وهـذه في الربـا، وكـذا قولـه تعـالى:)**إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُـورٍ** [الحج:38]، و)**وَلاَ تُسْـرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْــرِفِينَ** [الأعــراف:31]،ــ)**إِنَّ اللّـــهَ لاَ يُحِبُّ الخَـائِنِينَ** [الأنفــال:58]،ــ)**إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْـتَكْبِرِينَ** [النحل:23]،ـ)**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ** [القصـص:76]،ـ)**وَلا تَبْـــــغِ الْفَسَـــــــادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِـدِينَ** [القصــص:77]،)**أَفَمَنِ اتَّبَـعَ رِضْـوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ**[آل عمران:162]،) **فَإِن تَرْضَوْاْ عَنْهُمْ فَـــإِنَّ اللّـــهَ لاَ يَرْضَـــى عَنِ الْقَـــوْمِ الْفَاسِقِينَ** [التوبة:96].

فقـد عـدد في الآيـات كثـيراً من الكبـائر مخـبراً أنـه لا يحبهــا، ولا يحب فاعليهــا، فهي وفاعلوهــا خــارجون عن المشيئة.

وبعضها عامة كالفاسقين، والظالمين، والمفسدين.

وبعضها خاصة كالمسرفين، والخـائنين، والمسـتكبرين، والمعتدين، وفاعل الربا، والفرحين، والمختال.

فالفاسق عام لكل عاص، وكذا الظالم والمفسد.

وشــرط في محبــة اللــه إتبــاع النــبي ÷، والعاصــي مخالفٌ.

وكذا الروايات في الـذين يطـردون عن الحـوض؛ لأنهم غيروا، وكذا الـذين لا ينظـر اللـه إليهم، والـذين قـال في حقهم: خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً، والذين لا يريحـون رائحـة الجنـة، فكل من عددهم في هذه الروايات خارجون عن المشـيئة،

فدل على أن أهل الكبـائر خـارجون من مشـيئة اللـه، فلم يبق إلا الخطأ.

[بحث في الشفاعة]

42-كذا الشفاعةُ للأبرار يُثْبِتُها — وكلُّ بَرٍّ بها في الحشْرِ ينفذُ
43-ليستْ لغيرهُمُو حقّا فيُثبِتَها — لأنه قد نفاها الواحدُ الأحدُ

في هذين البيتين إثبات الشفاعة للأبـرار -إمـا ليزيـدهم الله من فضله على ما يستحقونه بأعمـالهم، أو لـيرد لهم مـا قـد أحبطتـه السـيئات إذا تـابوا، أو لتعجيـل دخـولهم الجنة- ونفيها عن الفجار، والكفار، والفساق.

أمـا إثباتهـا في الجملـة فلقولـه تعـالى: ﴿**عَسَـى أَنْ يَبْعَثَـكَ رَبُّكَ مَقَامـاً مَحْمُـوداً**﴾ [الإسـراء:79]، قيـل: هـو الشفاعة. ولـورود أخبـارٍ بهـا، ولأن أصـحابنا لم يبطلوهـا، ولم ينفوا إلا إثباتها لأهل الكبائر.

ولم يظهر خلاف في ثبوتها بين الأمة.

[الأدلة على عدم ثبوت الشفاعة لأهل الكبائر]

أما القول بأنهـا لا تصـح لأهـل الكبـائر؛ فلأنَّ اللـه قـد نفاها عنهم في القرآن، ولأنها منافية للحكمة.

أما القرآن فلقوله تعالى: ﴿**مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ**﴾ [غـافر:18]، ﴿**وَلاَ يَشْـفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَـى وَهُمْ مِنْ خَشْـيَتِهِ مُشْـفِقُونَ**﴾ [الأنبيـاء:28]، وقوله: ﴿**وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ**﴾ [البقـرة:270]، ﴿**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُـوءاً**

يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً ﴾ [النساء:123]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ9 فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ10﴾ [الطارق]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ53 وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ 54﴾ [الزمر]، ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلا عَن ظُهُورِهِمْ وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [الأنبياء:39]،ـ ﴿وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:48].

ومنها الآيات التي تدل على الخلود نحو: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ نُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء:14]، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ14 يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ15 وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ16﴾ [الانفطار]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ [النساء:93]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس:27].

وقولـه تعـالى:)**وَالَّذِينَ لاَ يَـدْعُونَ مَـعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِـالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا68 يُضَـاعَفْ لَـهُ الْعَـذَابُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَيَخْلُـدْ فِيـهِ مُهَانًا69**(**[الفرقان].**

وقولـــه في الربـــا:)**فَمَنْ جَــاءَهُ مَوْعِظَــةٌ مِنْ رَبِّهِ فَـانْتَهَى فَلَـهُ مَا سَـلَفَ وَأَمْـرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَـادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**(**[البقرة:275].**

وقوله:)**وَقَالُواْ لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللّهُ عَهْـدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّـهِ مَا لاَ تَعْلَمُـونَ80 بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ81**(**[البقرة].**

وقولـــه تعـــالى:)**حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا فُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَـأْتِكُمْ رُسُـلٌ مِّنكُمْ يَتْلُـونَ عَلَيْكُمْ آيَـاتِ رَبِّكُمْ وَيُنـذِرُونَكُمْ لِقَـاء يَـوْمِكُمْ هَـذَا قَــالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَــةُ الْعَــذَابِ عَلَى الْكَـافِرِينَ71 قِيـلَ ادْخُلُـوا أَبْـوَابَ جَهَنَّمَ خَالِـدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْـوَى الْمُتَكَبِّرِينَ72**(**[الزمـر]**، وقولــه تعــالى:)**يُرِيــدُونَ أَن يَخْرُجُــواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ**(**[المائـدة:37]**، وقوله تعـالى:)**كُلَّمَا نَضِـجَتْ جُلُــودُهُمْ بَــدَّلْنَاهُمْ جُلُــودًا غَيْرَهَا لِيَـذُوقُواْ العَـذابَ**(**[النســاء:56]**، فــدل على دوام

التبـديل للجلـود لأجـل العـذاب؛ لأنَّ (كُلَّمَـا) تـدل على التكرار والدوام.

وقولـه:)**كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُـوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا** [الحج:22]، ونحوها في القرآن كثير.

فهذه الآيات تبطل الشفاعة للكفـار، والفسـاق؛ لأنهـا نفت الشـفيع، ونفت النصـير، ونفت العاصـم، وأوجبت الخلود لهما.

فأبطلتها قبل الدخول، وبعده، وأبطلت قول من يقول إنما يعذب بقدر ذنبه، ثم يخرج، هـذا وأمـا مـا قـد يروجـه من يقول بالإرجاء بأن أدلة عموم الخلود لا تفيـد القطـع، فقد مر الجواب عليهم في شرح: ووعـده والوعيـد ليس يُخلفه.

هذا، ومن السنة ما رواه أبو العباس الحسني بسنده عن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب %، عن آبائه، عن النـبي ÷ أنه قال: **((ألا وإنه سيردُ عليّ الحوض منكم رجالٌ، فيـدفعون عنّي، فـأقول: يـا رب أصـحابي أصحابي، فيقول: يـا محمـد إنهم أحـدثوا بعـدك، وغيّروا سنتك، فأقول: سُحْقاً سُحْقاً))**[1].

وأخرج البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنـه عن النـبي ÷ أنـه قـال: ((إن أول الخلائـق يكسـى يـوم القيامة إبراهيم، وإنه سَيُجاءُ برجالٍ من أمـتي فيأخـذ بهم

---

[1] **(?)**_ المصابيح (ط1ص247)**.**

ذات الشمال فأقول: يـا رب أصـحابي أصـحابي، فيقـول: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ..))[1] الخ الخبر.

وعن ابن مسعود: ((أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن رجال منكم حتى إذا هويت إليهم لأنتـولهم اختلجـوا دوني فأقول: يا رب أصحابي أصحابي فيقول: إنك لا تـدري مـا أحدثوا بعدك))[2]، وعن حذيفة مثله.

وعن ابن مسعود: ((أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَـــالٌ مِنْكُمْ، ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُونِي. فَـــأَقُولُ: يَـــا رَبِّ أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْـدَثُوا بَعْـدَكَ))[3]، وعن حذيفة مثله.

---

[1] (؟)_ جامع الأصول من أحاديث الرسول (أحاديث فقـط) - (ج 10 / ص 7947) الجمع بين الصـحيحين البخـاري ومسـلم - (ج 2 / ص 38) أخرجـه البخـاري في صـحيحه (20/188) رقم (6045) عن ابن عبـاس، ومسـلم أيضا عن ابن عباس (14/17) رقم (5104) والترمذي في سننه (8/450) رقم (2347) كذلك عن ابن عبـاس، والنسـائي في سـننه (7/229) رقم (2060) وأحمـــد في مســـنده (5/24) رقم (1992) وابن أبي شـــيبة في مصـنفه (8/139) وابن أبي حـاتم في تفسـيره (24/343) رقم (7097) كلهم يروونه عن ابن عباس [وقد اقتصرنا على تخريج هذه الروايـة عن ابن عباس للاختصار وإلا فهناك كثير ممن رواه غير ابن عبـاس] وابن حبـان في صحيحه (30/224) رقم (7471).

[2] (؟)_اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - (ج 1 / ص 719).

[3] (4)- رواه البخاري في صـحيحه (20/241) رقم (6090) ومسـلم في صـحيحه (11/417) رقم (4250) وابن ماجـه في سـننه (9/175) رقم (3048) وأحمـد في مسـنده (9/1) رقم (3966) وأبـو يعلى في مسـنده (10/430) رقم (5044).

وعن ابن مسعود: ((أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، لَيُـرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لأُنَـاوِلَهُمْ اخْتُلِجُـوا دُونِي. فَـأَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَصْـحَابِي. يَقُـولُ: لا تَـدْرِي مَـا أَحْـدَثُوا بَعْدَكَ)).

وعَنْ أَنَسٍ: ((لَيَـرِدَنَّ عَلَيَّ نَـاسٌ مِنْ أَصْـحَابِي الْحَـوْضَ حَتَّى إذا عَرَفْتُهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي...))[1]، إلخ الحديث.

وفي روايـة أبي سـعيد الخـدري: ((فَـأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي. فَيُقَـالُ: إِنَّكَ لا تَـدْرِي مَـا أَحْـدَثُوا بَعْـدَكَ. فَـأَقُولُ: سُـحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي))[2].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْـرَةَ: ((يَـرِدُ عَلَيَّ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ رَهْـطٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيُحَلَّئُونَ عَنْ الْحَوْضِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي))، الخـــبر، إلى قولـــه: ((إِنَّهُمْ ارْتَـــدُّوا عَلَى أَدْبَـــارِهِمْ

---

[1](?) - رواه مسـلم في صـحيحه (11/426) رقم (4259) وأحمـد في مسنده (28/27) رقم (13480) والبخاري في صـحيحه (20/247) رقم (6096) وأبو يعلى في مسنده (8/464) رقم (3836) وعبـد بن حميـد في مسنده (3/337) رقم (1217).

[2](?) - مسـند الصـحابة في الكتب التسـعة - (ج2/ ص 486) مسـند الصحابة في الكتب التسعة - (ج35 / ص 411) شرح السـنة للبغـوي - (ج 7 / ص 451) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان - (ج1/ ص 718) شرح السنة (احـاديث فقـط) - (ج1/ ص 1056) مشـكاة المصـابيح - (ج3 /ص211) عمـدة القـاري شـرح صـحيح البخـاري - (ج 33 / ص 405) الاستذكار - (ج5/ص111) الاستعداد للموت وسؤال القبر - (ج 1 / ص 19) رواه أحمـد في مسـنده (22/333) رقم (10788) صـحيح البخـاري (20/248) رقم (6097).

الْقَهْقَرَى))[1].

وعَنْ سعيد ابْنِ الْمُسَـيَّبِ أَنَّهُ كَـانَ يُحَـدِّثُ عَنْ أَصْـحَابِ النَّبِيِّ ÷ أَنَّ النَّبِيَّ ÷ قَالَ: **((يَرِدُ عَلَى الْحَـوْضِ رِجَـالٌ مِنْ أَصْحَابِي فَيُحَلَّئُونَ عَنْـهُ...))**[2]، الخ، أي يمنعـون ويطردون. انتهى ما في البخاري.

وأخرج مسلم نحو ذلك عن أبي هريرة وأنس.

وكـذا قولـه ÷: **((لا يـدخل الجنـة نمـام))**[3] رواه البخاري ومسلم.

وقال في تخريج الشافي: وعن أبي هريرة أن رسول الله ÷ قال: ((من قتل نفسه بحديدة، فحديدتـه في يـده يَجَأُ بها بطنه يوم القيامة، في نار جهنم خالداً مخلداً فيهـا أبداً، ومن قتل نفسه بسمٍّ، فسـمُّه في يـده يتحسَّـاه في نـار جهنم خالـداً مخلـداً فيهـا أبـداً، ومن تـردى من جبـل فقتل نفسه، فهو يتردى في نار جهنم خالـداً مخلـداً فيهـا

---

[1] (?) - رواه الطـبراني في مسـند الشـاميين (5/336) رقم (1681) والبخاري في صحيحه (20/248) رقم (6097) وعبد الرزاق في مصـنفه (11/407) رقم (20854).

[2] (?) - رواه البخاري في صحيحه (20/249) رقم (6098).

[3] (?) - مفتاح السعادة/السيد العلامة علي بن محمد العجـري (ج 1 / ص 3215) رياض الصالحين (ج2/ ص187) شعب الإيمان للبيهقي (ج22/ ص 485) مسند الصحابة في الكتب التسعة (ج34/ص439) شعب الإيمان (ج 7/ ص492) صحيح مسـلم (ج1/ ص 101) مسـند أحمـد بن حنبـل (ج 5/ ص391) مسند أحمد بن حنبل (ج5/ص396) .

أبداً))[1].

وأخرج ابن عساكر: ((من ولَّى ذا قرابة محاباة وهو يجد من هو خير منه لم يُرِحْ رائحة الجنة))[2].

وأخرج أحمد، والبخاري، والنسائي، وابن ماجه عن ابن عمر مرفوعاً: ((من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً))[3].

وأخرج أحمد، وأبو داوود، والترمذي، والحاكم، عن أبي بكر مرفوعاً: **((من قتل معاهداً في هدنة حرم الله عليه الجنة))**[4].

وعنه ÷: **((لا يدخل الجنة قاطع))** قال سفيان:

---

[1] (?) - [الشافي: 3/37] أخرجه البخاري في صحيحه (5/2179) رقم (5442)، والترمذي في صحيحه (4/386) رقم(2440) والطبراني في الاوسط (2/434) رقم (1751)، والبيهقي في سننه (8/23) رقم (15655) والدارمي في سننه (2/252) رقم (2362) وابن حبان في صحيحه (13/325) رقم (5986) ومسلم في صحيحه (1/109) والطيالسي في مسنده(317) رقم 2416) وأحمد بن حنبل في مسنده (2/245) رقم (7441).

[2] (?) - [الشافي: 3/ 43].

[3] (**?**) - [الشافي: 3/ 45].

[4] (?) - [الشافي: 3/ 45]، أخرج الحديث أحمد في المسند (5/36) رقم (20393) وأبو داود (3/83) رقم (2760)، والبيهقي في السنن (8/ 823) رقم (16261) وابن حبان (11/ 240) رقم (4882) والنسائي (4/ 221) رقم (6949) ، والحاكم في المستدرك (1/ 105) رقم (134)، والنيسابوري في المنتقى (ص213) رقم (835) والدارمي (2/ 308) رقم (2504) والطيالسي في مسنده (ص118) رقم (879) .

يعني قاطع رحم رواه البخاري، ومسلم، والترمذي عن جبير بن مطعم مرفوعاً[1].

وعنه ÷: ((ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: المسبل، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذبة))[2].

وفي رواية: **((المسبل إزاره))** أخرجه مسلم، وأبو داوود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه وأحمد تمت من (المثل الكامل)[3].

وأخرج المرشد بالله عن ابن عمر عنه ÷: ((ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يدخلون الجنة: العاقّ لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان بما أعطى))[4].

وفي رواية مسلم عن أبي هريرة: ((ثلاثة لا يكلمهم الله))، إلى قوله: ((ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك

---

[1] - [الشافي: 3/ 51] أخرجه ابن حبان (2/ 199) رقم (454) والبيهقي (7/ 27) رقم (12997) والبخاري (5/ 2231) رقم (5638)، ومسلم (4/ 1981) رقم (2556) والترمذي (4/ 316) رقم (1909)، وأبو داود (2/ 133) رقم (1696) وأحمد (4/83) رقم (16806)، وأبو يعلى (13/ 385) رقم (7391).

[2] - **[الشافي: 3/ 45]**.

[3] - **[الشافي 3/50]**.

[4] - **[الشافي: 3/ 49]** أخرجه أحمد في المسند (2/ 201) رقم (6882) وابن حبان في صحيحه (8/178) رقم (3384) والنسائي في سننه (3/176) رقم (4921).

كذاب، وعالم متكبر)) انتهى من التخريج[5].

فهذه الروايات مؤيدة للآيات المتقدمة الدالة على عدم الشفاعة للفساق لا قبل دخول النار، ولا بعده، ودالة على خلود الفساق أيضاً؛ لأنَّ في بعضها تصريح بلزوم الدخول مع الخلود مؤكداً مثل قوله: **((خالداً مخلداً فيها أبداً))**، وفي بعضها: **((لم يرح رائحة الجنة))** كنايةً عن عدم دخول الجنة.

وكذلك لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم كناية أيضاً عن عدم الدخول؛ لأنَّ الشفاعة إن قبلت لزم الدخول في الجنة لعدم دار ثالثة.

وقوله في الروايات الأولى: **((يا رب أصحابي أصحابي))** ونحوها ثم قال: **((سُحْقاً))** يدل على أنه لم يدر أنهم غيَّروا وبدلوا فلما أُعلِم قال: **((سُحْقاً)).**

ويدل أيضاً على أن الشفاعة لا تقبل لهم.

وقد عاتب الله النبي نوحاً في مخاطبته في ولده، ولم يغن هو والنبي لوط عليهما الصلاة والسلام عن زوجتيهما شيئاً، وقد ضربهما الله مثلاً لزوجات رسول الله ÷، وهددهن بالعذاب المضاعف قال الله تعالى:)**يَا نِسَاء النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا**

[الأحزاب:30].

---

[5] - تخريج الشافي للوالد العلامة الحسن بن الحسين الحوثي رحمه الله.

ولم يقبل الله استغفار إبراهيم صلوات الله عليه وآله لأبيه.

وقال في نبيه محمد ÷:)**إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللّهُ لَهُمْ** [التوبة:80]، وقال:)**لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً 74 إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً 75** [الإسراء].

[منافاة الشفاعة لأهل الكبائر للحكمة]

هذا وأما مخالفتها للحكمة؛ فلأنَّ النبي ÷ لبث في قومه نحو ثلاث وعشرين سنة مبشراً, ومنذراً، وتحمل المتاعب الشديدة من الخوف، والسب، والإيذاء، وقد حوصر في الشعب هو وبنو هاشم نحو ثلاث سنين، يمنعون من دخول الأغذية إليهم، وجميع المحتاجات، وتحمل الجهاد الشديد، وأجمعت قريش على قتله، واختفى في الغار، ثم سار إلى المدينة مهاجراً، ثم لا زال في جهاد بقية عمره.

فلما أسس قواعد الدين، وشيد بنيانه، وبلغ الرسالة قال لهم: اتركوا الواجبات، وافعلوا المحرمات، وأنا سوف أشفع لكم، فهدم ما بناه، وخرب ما شيد، ويصير عمله من أول الرسالة إلى آخرها هباءً منثوراً)**كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثاً** [النحل:92]، ومثل هذا لا يفعله كبير أسرة، فضلاً عن زعيم قوم، فكيف

برسول رب العالمين؟!

فإنْ كان فعلُه من تلقاء نفسه كان خائناً لله، والله لا يرسل إلا من علم صدقه، وأمانته كيف وقد شهد له الله بذلك بقوله: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى3 إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى4**﴾ [النجم]، ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْض الأَقَاوِيلِ44 لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ45 ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ46**﴾ [الحاقة]، وإنْ كان قاله بوحي من الله كان مخلاً بحكمة الله، وقد مر إثباتها بما لا مزيد عليه.

[الجواب على شفاعتي لأهل الكبائر]

فإن قيل: قد رويت روايات: ((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)).

قيل له**:** في بعض الروايات: **((ليست شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي))**، والزيادة مقبولة من العدل، فلعل بعض الرواة نسي أول الحديث، أو تركه.

أو أن النبي ÷ سئل: هل لأهل الكبائر التائبين شفاعة؟ فقال: **((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي))**، فأهمل الراوي السؤال، وإلا فهو كذب لمنافاة القرآن، والروايات التي مرت، والحكمة.

انظر أيها الواقف على كتابنا هذا كيف يَؤُول إليه معنى هذا الحديث وما نتائجه، فإن نتائجه التسهيل في الفواحش، والترغيب فيها، وفي الإخلال بالواجبات فيصير معناه اقطعوا الصلاة، وأفطروا شهر رمضان، واتركوا الحج، والزكاة، واقتلوا، واسرقوا، واقطعوا الطريق،

واشربوا الخمر، وافعلوا كل المحرمات، وأنا سوف أشفع لكم.

ففي هـذا هـدم للشـريعة كلهـا، فهـل يفعـل مثـل هـذا حكيم؟! حاشا الله ورسوله من هذه المهزلة.

ولـو يعـرف الكفـار أن هـذا ديننـا لسـخروا بنـا غايـة السخرية، ولكانوا مطمئـنين في عـدم الـدخول في مثـل هذا الدين، ولكفاهم مثل هذا في رد الرسالة، والكفر بها، وبالرب أيضاً.

فهل الدعاة إلى هذا الدين دعاةٌ إلى الله ورسوله، أو إلى معصيته الله ورسوله؟!

[الإيمان وحقيقته]

44-وليسَ من لاَ يطيع الله خالقه ... بمؤمنٍ وهو بالتصديقِ ينفردُ

45-لو كان قد خالط الإيمان مُهْجَتَهُ ... لصدق الفعل ما قد كان يعتقد

46-أو كان إيمانه حقاً يبعثه ... لصار في طاعة الرحمن يجتهد

اعلم أن المرجئـة يحـاولون تبقيـة معـنى الإيمـان على الحقيقــة اللغويــة، وهــو التصــديق، وينكــرون الحقيقــة الشرعية الدينية، وهي قـول باللسـان، واعتقـاد بالجنـان، وعمــل بالأركــان، ولهم في ذلــك مغــزىً لــدعم الإرجــاء وتثبيته، وهو أن كل ما وجد مدحاً للمؤمــنين، والحكم لهم بالجنة في القرآن، أو السـنة، فإنـه ثـابت للمصـدق، ولـو كان يعمل المعاصي، ولكن الأدلـة الـتي قـدمناها سـابقاً، والتي نأتي بها الآن تنقض ما أبرموا، وتهدم مـا شـيدوا، ولا

تجدها بحمد الله تستعمل في القرآن بالمعنى اللغوي إلا ويقيدها بالعمل الصالح، كقوله تعالى:)**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**(، وفي قوله:)**يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً**(، ونحوها كثير.

وفي هذا المبحث في التصديق ثلاث مسائل:

الأولى: الإقرار باللسان فقط، وهذا هو النفاق.

الثانية: الإقرار باللسان، والاعتقاد بالجنان مع ارتكاب الكبائر وهذا هو الفسق.

الثالثة: الإقرار باللسان، والاعتقاد بالجنان، والعمل بالأركان، وهذا هو الإيمان في الشرع، أعني أنه صار حقيقة شرعية في هذا.

أما التصديق باللسان فقط فما أظنه حقيقة في الإيمان لا لغة، ولا شرعاً، لقوله تعالى:)**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**(**[الحجرات:14].**

وقوله تعالى:)**وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لِّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**(**[يوسف:17]**، وقوله تعالى:)**إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**(**[المنافقون:1]**، وقوله تعالى:)**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ**(**[البقرة:8]**، فدل على أن الإيمان هو التصديق بالقلب، وإنما

اللسان مترجم ومعبر عنه فإن تطابقا فهو حق، وإلا فهو كذب فهذا هو الإيمان اللغوي يؤكد هذا قول أولاد يعقوب %:)**وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ**؛ لأنها قضية إخبارية لا تعلق لها بالإيمان بالله، ورسله وبما جاءوا به.

هذا وقد أطلق الله الإيمان في كثير من الآيات على الإيمان اللغوي مجازاً بقرينة العطف عليه بنحو:)**وَيَعْمَلْ صَالِحاً**،)**وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**

[الإيمان الشرعي]

وأما الإيمان الشرعي فهو قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان.

ودليله قول الله تعالى:) **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ2 الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ3 أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً4** [الأنفال]، وقوله تعالى:) **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ** [النور:62].

وقوله تعالى:)**لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...** الخ الآية [المجادلة:22]، وقوله تعالى:)**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ**

وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات:15].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَّتَوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:51]، وقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة:71]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيراً مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة:81]، بعد قوله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيراً مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [المائدة:80]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ15 تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ 16﴾ [السجدة]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل:105].

فهذه الآيات تدل على أنه لا يكفي التصديق.

ففي بعضها نفى عنهم اسم الإيمان؛ لأنهم واقعوا المعصية.

وبعضها حصر وقصر الإيمان على المطيعين.

وفي بعضها ذكر صفات المؤمنين وهي فعل

الواجبات.

ومن الأدلة قوله تعالى:)**وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ**([البقرة:143]، والمراد به الصلاة إلى بيت المقدس.

[الأدلة من السنة على الإيمان الشرعي]

وقوله ÷: **((الوضوء شطر الإيمان))**[1].

وقوله: ((الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالأركان))[2].

وقوله: ((الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى من الطريق)) أو كما قال[3].

وقوله: ((ما آمن، قيل: من يا رسول الله؟ قال: من لم يأمن جاره غشمه وبوائقه))[4].

وقوله ÷: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا

---

[1] (?) - أخرجه ابن أبى شيبة (1/156 ، رقم 1803) النور الأسنى الجامع لأحاديث الشفاء - (ج1/ص 63) جامع العلوم والحكم (ج 1 /ص 615، 616) مصنف ابن أبي شيبة (ج1/ص197).

[2] (?) - رواه في صحيفة الإمام علي بن موسى الرضا (ع) بلفظ: (الإيمان إقرار باللسان، ومعرفة بالقلب، وعمل بالأركان) ص443) ط2 مكتبة اليمن الكبرى.

[3] (?)_ السنن الكبرى للنسائي - (ج 6 / ص 532) تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته - (ج2/ص 336) جامع الأحاديث - (ج 11 / ص 58) الحديث .جامع الأصول من أحاديث الرسول (أحاديث فقط) - (ج 1 / ص 19).

[4] (?) - رواه الإمام الهادي (ع) في الأحكام (2/529) .

يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن))[1].

وعن أبي هريرة قال: قـال رسـول اللـه ÷: ((لا يـزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شـرف يرفـع المؤمنـون إليـه

---

[1](?) - السنن الكـبرى للـبيهقي - (ج 10 / ص 186)الإبانـة الكـبرى لابن بطة - (ج2/ص472) الإبانة الكـبرى لابن بطـة - (ج 2 / ص 473) الإبانـة الكبرى لابن بطة - (ج2/ ص 483) تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشـكلاته - (ج 2 / ص 344) جامع الأحاديث - (ج 17 / ص 157) جامع الأصـول من أحـاديث الرسـول (أحـاديث فقـط) - (ج11/ص9370) جمـع الجوامـع أو الجامع الكبير للسيوطي - (ج 1 / ص 19458) سنن الـبيهقى - (ج 2 / ص 441) مجمـع الزوائـد ومنبـع الفوائـد . محقـق - (ج 1 / ص 119) مسـند الصـحابة في الكتب التسـعة - (ج 3 / ص 46) مسـند الصـحابة في الكتب التسعة - (ج3/ص53) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشـيخان - (ج 1 / ص 20) سنن البيهقي الكبرى - (ج10/ص186) مسند الشاميين - (ج 2 / ص 259) مسند عبد بن حميد - (ج 1 / ص 186) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكـائي - (ج 4 / ص 477) طبقـات المحـدثين بأصـبهان لأبي الشيخ الأصبهاني - (ج 3 / ص 490) معجم ابن الأعرابي - (ج 3 / ص 87) مجمـوع فيـه مصـنفات أبي جعفـر ابن البخـتري - (ج 1 / ص 118) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (ج1/ص54) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (ج 3 / ص 323) مجمع الزوائد - (ج1/ص100) المسند الجـامع(ج 39 / ص 65)صحيح وضعيف سنن ابن ماجة - (ج8/ص 436) صحيح ابن ماجه- (ج 2 / ص 349)ـ 3179 - (صـحيح) مشـكاة المصـابيح - (ج1/ ص 11) علـل الدارقطني - (ج 9 / ص 345) علل الـدارقطني - (ج 9 / ص 346) شـرح ابن بطال - (ج11/ص 34) شرح ابن بطال - (ج 15 / ص 423).

رؤوسهم وهو مؤمن))[1].

وعن أبي سعيد قال: قال رسـول اللـه ÷: **((لا يزني الـزاني وهـو مـؤمن، ولا يشـرب الخمـر وهـو مؤمن))**[2].

وعن أنس قال: قال رسول اللـه ÷: **((إن الرجـل لا**

---

[1] - مفتـاح السـعادة بلفـظ: (يرفـع المسـلمون) 1/1147 وأمـالي المرشد باللـه الشـجرية 1/50، الانظـار السـديدة، ونحـوه مصـنف ابن أبي شيبة 5/510،ـ 7/221،ـ 222، السنن الكـبرى للـبيهقي10/186، مصـنف عبـد الـرزاق 7/415، السـنن الكـبرى للنسـائي 3/227،ـ 4/267، الإبانـة الكـبرى لابن بطة 2/472، تهـذيب الآثـار للطـبري 6/461، شـعب الإيمـان للبيهقي1/41، معرفة السـنن والآثـار للـبيهقي16/ـ 283، جـامع الأحـاديث 17/157، جامع الأصول من أحاديث الرسول 11/9369، جمـع الجوامـع أو الجامع الكبـير1/19458، سـنن الـبيهقي 2/441، سـنن النسـائي 8/453، مجمــع الزوائــد ومنبــع الفوائــد 1/120، مســند أبي يعلى 6/23، مســند الصحابة في الكتب التسعة 3/48، إتحاف الخيرة بزوائد المسـانيد العشـرة 1/34، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشـيخان 1/20، المعجم الأوسـط 5/86، صحيح ابن حبان 1/414/ صـحيح مسـلم 1/76، مسـند إسـحاق بن راهويـه 1/386، مسـند ابن الجعـد 1/57، مسـند الحـارث1/179، مسـند الشاميين 2/259، مسند عبد بن حميد 1/186، عمدة القاري شرح صـحيح البخاري 19/324، وكتب أخرى.

[2] - تيسير المطالب - (ج 1 / ص 411) مصنف عبد الرزاق - (ج 7 / ص 416) تهذيب الآثار للطبري - (ج 6 / ص 485) المعجم الكبير - (ج 11 / ص 261) مصنف عبد الرزاق (ج7/ص416) المسـند الجـامع - (ج 39 / ص 69).

يكون مؤمناً حتى يأمن جاره بوائقه))[1].

وفي حديث: ((لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له))[2].

وعنه ÷: **((ما آمن بالقرآن من لم يحل حلاله ويحرم حرامه))**[3]، وعن النبي ÷ أنه قال: **((من غشنا فليس منا. المكر والخداع في النار))**[4] أخرجه

---

[1] (?) - أمالي المرشد بالله الشجرية - (ج 1 / ص 64) الأمالي الشجرية - (ج 1 / ص 29) المرشد بالله (ج 1 / ص 64) ضعيف الترغيب والترهيب - (ج 2 / ص 83) (لا يكون الرجل مؤمناً حتى يأمن جاره بوائقه) أصول الأحكام - (ج 1 / ص 577) أمالي الإمام أحمد بن عيسى (ج 2/ص 431) أمالي المرشد بالله الشجرية (ج 1/ص 64) المنهج المنير تمام الروض النضير (ج3/ص 314) .

[2] (?) - أحاديث مختارة - (ج 1 / ص 6) أحاديث نبوية - (ج 1 / ص 17)أمالي أبي طالب ع - (ج1/ص 189) أمالي المرشد بالله الشجرية - (ج 1 / ص 46)المختار من صحيح الأحاديث والآثار (ج1 / ص 140) مصنف ابن أبي شيبة (ج 7 /ص 223)السنن الكبرى للبيهقي (ج9/ ص 231).

[3] (?) - مفتاح السعادة/السيد العلامة علي محمد العجري - (ج 1 / ص 1193) الجامع الكافي (ج4/ص 266).

[4] (?) - مفتاح السعادة 1/1450وقال فيه: أخرجه الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية عبدالله بن مسعود وفي مفتاح السعادة 1/ 3157 وقال: أخرجه الطبراني في الكبير والصغير بسند جيد، وابن حبان في صحيحه، وأخرجه أبو داود في المراسيل عن الحسن مرسلا مختصراً قال: (المكر والخديعة والخيانة في النار) انتهى. وهو في جامع العلوم والحكم الحديث الخامس والثلاثون 1/913، مسند الشهاب القضاعي بلفظ: (والخديعة) 1/419، جمع الجوامع 1/23668، أحاديث الشاموخي الحديث الأول ص2/موارد الظمآن 1/271، كنز العمال 3/545، كشف الخفاء

الطبراني في الكبير، وأبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود.

وقال رسول الله ÷: **((اتقوا الرياء فإنه شرك))**.

وعنـه ÷ أنـه قـال: **((لا تجد المـؤمن جبانـاً، ولا بخيلاً))**[1].

وروي: ((الصـبر من الإيمـان بمنــزلة الـرأس من الجسد، فإذا ذهب الصبر ذهب الإيمان))[2].

وعنه ÷ أنه قال: ((إياكم والكذب، فإن الكذب مجانب للإيمان))[3].

وعنه ÷ أنه قال: ((لا يبلغ عبد حقيقـة الإيمـان حـتى يدع الكذب في المزاح، ويدع المراء ولو شاء غلب))[4].

وعنه ÷: ((إذا زنى العبد نزع منه الإيمان))[5].

2/297.

[1] (?) - رواه الإمام الناصر الأطروش (ع) في البساط (21).

[2] (?) - مصنف ابن أبي شيبة - (ج 7 / ص 229) جامع الأحاديث - (ج 30 / ص 491) شعب الإيمان - (ج 1 / ص 71) مصنف ابن أبي شـيبة - (ج 6 / ص 172) الإيمان لابن أبي شيبة (ج1/ص129) كنز العمال - (ج 3 / ص 744).

[3] (?) - مكارم الأخلاق - (ج 1 / ص 47) المقاصد الحسنة للسخاوي - (ج 1 / ص 502) كشف الخفاء - (ج 2 / ص 108) علل الدارقطني - (ج 1 / ص 258).

[4] (?) - جـامع الأحـاديث - (ج 28 / ص 303) كـنز العمـال - (ج 3 / ص 873).

[5] (?) - مفتـاح السـعادة/السـيد العلامـة علي محمد العجـري - (ج 1/ ص 1147) الأنظار السديدة في الفوائـد المفيـدة (السـيد العجـري) - (ج 45/

وعنه ÷: ((أيما رجل كفَّر رجلا فأحدهما كافر))[6].

ففي هـذه الأدلـة مـا يكفي المنصـف وهـو أن فاعـل الكبيرة ليس بمؤمن.

ونتيجة الخلاف أنهم يريـدون الحكم لصـاحب الكبـيرة بالجنة، ويثبتون له أحكام المؤمنين، ويقولون: هـو مـؤمن بإيمانه، فاسق بفسقه، ولكن الأدلة التي أوردناهـا سـابقاً أن فاعـل الكبـيرة يخلـد في النـار، والـتي أوردناهـا الآن الدالة على نفي الإيمان شرعاً عن فاعـل الكبـيرة تبطـل ما يدعونه.

ولا ننكر أن الإيمان لغة هو التصديق، وقد استعمله في القرآن كثيراً، ولكنـه يقيـده بالعمـل الصـالح، فلم يبـق لهم سبيل، ولا دليل على ما يريدونه.

[بحث في الصغائر والكبائر]

هذا واعلم أن أصحابنا اختلفوا في الكبائر، والصغائر ما هي؟

فبعضهم قال: إن كل عمد كبيرة لا تُكَفَّرُ إلا بالتوبة، والصغائر إنما هي الخطأ والنسيان ونحوهما.

وبعضهم قال: إن الصغائر بعض العمـد مجهـولاً؛ لئلا يلزم الإغراء بالقبيح لو كانت غير مجهولة، لأن الإغراء بـه

ص6) الإبانة الكبرى لابن بطة (ج2/ص488).

[6](?) - مفتاح السعادة/السـيد العلامـة علي محمـد العجـري - (ج 1 / ص 2074) مسند الصحابة في الكتب التسعة - (ج 16 / ص 364)مسند أحمد بن حنبل - (ج 2 / ص 60).

قبيح، والله مُنَزَّه عن فعله.

ويردُ على كلا القولين إشكالات:

يرد على الثاني: أن الصغائر إذا كانت مجهولة كان قوله تعالى:)**إِنْ تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ** **[النساء:31]**، عارياً عن الفائدة؛ لأنَّه إذا كان بعض العمد صغيرة مجهولة لزم أن بعضه كبيرة مجهولة، فكيف يدلنا على اجتناب الكبائر، ليكفر الصغائر ونحن لا نعرف كبيرة من صغيرة؟!

فإن قيل: قد بين الكبائر في الحديث، وهو قوله ÷: **((الشرك بالله، وقتل النفس...))**[1] الخ.

قيل له: إما أن يكون الحديث شمل الكبائر؛ فتكون بقية المعاصي صغائر، لزم الذي فررتم منه وهو الإغراء بها.

وإما أن لا يكون شملها كلها، فقد بقي اللبس الذي ذكرناه، فلم نعرف الكبائر التي نَدَبَنا إلى اجتنابِها لِيُكَفِّر عَنا الصغائر.

ويرد على الأول: قوله تعالى:)**إِنْ تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا**

---

[1] (?) - أمالي المرشد بالله الشجرية - (ج 1 / ص 26) الأمالي الشجرية - (ج 1/ ص13) الدراري المضيئة شرح الدرر البهية ج لمحمد بن علي الشوكاني - (ج 1/ ص348) سنن البيهقي الكبرى - (ج10/ص121) صحيح مسلم - (ج1/ ص91) مسند الشاميين (ج2/ص200) الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم - (ج 2 / ص 379) صحيح مسلم (ج1 / ص 64) .

تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ [النساء:31]، فجعل اجتناب الكبائر شرطاً في تكفير الصغائر، وقوله تعالى:)**وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ** [الأحزاب:5]، فدل على أن الصغائر غير الخطأ؛ لأنَّه قد رفع الجناح فيه بغير قيد.

فأما هذا الإشكال فقد يجاب عنه بأن قوله تعالى:)**وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ** مطلق بغير شرط، وقوله تعالى:)**إِنْ تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ** [النساء:31]، مقيد بشرط الاجتناب.

ومن مذهبنا حمل المطلق على المقيد، جمعاً بين الآيتين.

وليس المراد المطلق الاصطلاحي لكنه مثله، فكأنه قال: ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به بشرط اجتناب الكبائر.

فإن قيل: فما فائدة قوله ÷: **((الصلوات الخمس مكفرة لما بينهما))** أو كما قال ونحوها.

فالجواب: أنه لم يذكر أنّ اجتناب الكبائر مكفر، وإنما جعله شرطاً، فكأنه قال: الصلوات الخمس مكفرة بشرط اجتناب الكبائر، كما في بعض الروايات.

فإن قيل: قد ورد أن الأمراض تكفر الذنوب، وتحت الخطايا نحو: **((من وعك ليلة كفر عنه ذنوب سنة))**[1] ونحوه.

---

[1] (؟) - شعب الإيمان للبيهقي - (ج 20 / ص 338) شعب الإيمان - (ج 7

فـالجواب: إمـا أن نقـول: إن الحـديث الأول غـير صـحيح لأن الصـلوات إنمـا هي إسـقاط لـواجب، فكيـف تسقط بها الخطايا، أو تكفرها.

أو نقــول: إن الصــلوات تســقط المؤاخــذة على الصـغائر، ولا يسـقط مـا قـد يحصـل بسـببها من نقص الدرجات، والحسنات، وأن الأمـراض تسـقطها، وتكفرهـا حتى لا يبقى لها أي تأثير في تنقيص الدرجات.

فـإن قيـل: فيلـزم إذاً المؤاخـذة على الصـغائر الـتي هي الخطأ إن لم تجتنب الكبائر.

قيل له: نعم، ألا تــرى أن اللــه لم يســقط المؤاخــذة عليها في الدنيا كما في أُرُوش جنايـات الخطـأ والضـمانة في جناية الخطأ، ويكون عقوبة لأجل فعل الكبـيرة، وقـد آخذ يونس بالخطأ، واعترف موسى بالمعصية وهي خطأ، وكذا آدم صـلوات اللـه عليهم وتـابوا من الخطـأ وسـموه ظلماً فدل على أنه يصح المؤاخذة على الخطأ.

وقـال اللـه تعـالى في يـونس:)**فَلَوْلا أَنَّهُ كَـانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ143 لَلَبِثَ فِي بَطْنِـهِ إِلَى يَـوْمِ يُبْعَثُـونَ 144** **[الصافات]**، بعدما قال:)**فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ** **[الأنبيـاء:87]**، أي لا نؤاخذه، وهـذا عين الخطـأ، وقـال في آدم:)**وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**

/ ص 167) الصبر والثواب عليه - (ج 1 / ص 184) الرضا عن الله بقضائه - (ج 1 / ص 96) المــرض والكفــارات (ج1/ص 82) ضــعيف الــترغيب والترهيب - (ج 2 / ص 198).

[الأعراف:23]، فجزم بالخسران، وهي -أي المعصية- خطأ.

وقال في داود:)**فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ** [ص:24]، وفي سليمان:)**وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ** [ص:34].

والإنابة هي التوبة كما قال تعالى:)**وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ** [الزمر:54].

وقال في نوح:)**إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلاَّ تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ** [هود:47]، فحكم بالخسران وهو خطأ، ولم ينكر الله ما حكموا به على أنفسهم.

فإن قيل: إن الأنبياء صلوات الله عليهم عوتبوا على فعل الصغاير، فحكموا على أنفسهم بالخسران إن لم يغفر لهم، مع أنهم لم يواقعوا الكبائر، وقد قال الله تعالى:)**إِنْ تَجْتَنِبُواْ** ... إلخ.

فالجواب والله الموفق: أنهم إذا عوتبوا وأُوخذوا والحال أنهم لم يواقعوا الكبائر، فبالأولى أن يؤاخذ مَن واقعها والمسألة هي الحكم بمؤاخذة من واقع الصغيرة إن لم يجتنب الكبيرة.

فإن قيل: فَلِمَ أوخذ الأنبياء صلوات الله عليهم مع عدم مواقعة الكبائر؟

قيل له: إنهم لم يدخلوا في الخطاب بقوله تعالى:)**إِنْ تَجْتَنِبُواْ** ...إلخ، وشرائعهم تختلف، ألا ترى أن توبة

قوم موسى عليه الصلاة والسلام غير توبة أمة نبيئنا صلوات الله عليه وعلى آله وسلامه ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً**﴾، وحاصل المسألة أنه يجوز المؤاخذة على الصغيرة ولم يمنع من ذلك مانع عقلي ولا شرعي بل قد دلت عليه آية: ﴿**إِنْ تَجْتَنِبُواْ...** ﴾ نفسها.

[الوزن ومعناه]

47-والوزن يثبته الأعلامُ ساداتُنا وليس تأويلُهُ للكلِّ يتّحدُ

48-والضبط بالوزن الأعراض ممتنعٌ والعدل أقربُ تأويلٍ فيعتمدُ

شرح: في هذين البيتين إثبات للموازنة، والإشارة إلى الاختلاف فيها، وأن الوزن الحقيقي ممتنع فيها، وإلى اختلاف القائلين بمجازيتها في التأويل.

أما إثباتها فدليله الكتاب، والسنة، وإجماع الأمة.

أما الكتاب فنحو قوله تعالى: ﴿**وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ**...﴾الخ[الأعراف:8]، ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**... ﴾الخ[الأنبياء:47]، ﴿**فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ**﴾..الخ[القارعة:6]، وغيرها.

وأما السنة نحو قوله ÷: **((لا إله إلا الله خفيفة في اللسان ثقيلة في الميزان))** ونحوه.

وأما الإجماع فلا خلاف فيه، وإنكار الوزن كفر؛ لأنَّه رد للكتاب.

[كلام المرجئة في الوزن والجواب عليهم]

هذا، وقد ذهبت المرجئة إلى القول بحقيقة الوزن،

وأنه مـيزان حقيقي، ولـه كفتـان، وعمـود، ولسـان، ولهم في ذلـك روايـات، وأن العمـود مثـل مـا بين المشـرق والمغرب، وجعلوا له كفتين كبـيرتين كأطبـاق الـدنيا، قـد يمكن الـوزن فيهـا للجبـال، والأشـياء العظيمـة الـتي لا يتصور وزنها.

هــذا، ولا يخفى أن الأعمــال كلهــا أعــراض، وأن الــوزن الحقيقي ممتنع فيها، وأنه محال.

ولأن بعض الطاعات عَدَمِيَّة، كالصوم فإنـه عـدم الأكـل والشــرب، ولا يمكن وزن العــدم، وكــذا الإحــرام، فإنــه الامتناع من تغطية الرأس للرجـل، والوجـه للمـرأة، ومن الطيب، ومداناة النساء، ونحو ذلك، وهي تروك عدميــة لا يمكن وزنهـا، وكـذا بعض المعاصـي عَدَمِيَّة أيضـاً، كـترك الواجبات، فلا يمكن وزنها أيضاً، وهذا واضح.

وأمـا كـبر الكفـتين، واتسـاعهما اتسـاعاً شاسـعاً، فلم يظهر له أي فائدة، ولو فــرض الــوزن الحقيقي؛ لأنهم إن أرادوا أن تجتمـــع في الكفـــتين جميـــع أعمـــال الأمـــة الطاعات، و المعاصي، في مرة واحـدة، ووزن واحـد، فلا يمكن أن يعرف من خفت موازينه، ومن ثقلت.

وإن وزنت أعمـال كـل عبـد وحـدها، فلا تحتـاج إلى هـذا الميزان، والعمود الذي وصفوه، والكفتين، وهذا مـع فــرض تسليم الوزن الحقيقي، وقد أبطلناه بمـا لا مزيـد عليـه، ولا يجهله إلا أغبى الأغبياء، وبهذا يظهر لك عدم صحة الحديث؛ لأنَّه يكون عبثاً، ولعدم صحة سنده، ولأنهم إنما أثبتوا ميزاناً

واحداً، والله يقـول: ﴿**وَنَضَعُ الْمَـوَازِينَ الْقِسْـطَ لِيَـوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ [الأنبياء:47] فأتى بصيغة منتهى الجموع.

[الجواب على من أثبت الموزانة]

وأمـا الـذين قـالوا بمجازيتـه فبعضـهم ذهب إلى أنـه باعتبار كثرة الطاعات، وقلة المعاصي، والعكس.

والقول بهذا التأويل ضعيف جداً لا يتمشى مع قواعدنا، ومذاهبنا، ومذاهب من يقول بهذا التأويل وقواعدهم؛ لأنَّه فتح لباب الإرجاء، ويلـزم منـه الإغـراء بـالقبيح، والإغـراء بالقبيح قبيح عند الفريقين اللذين اختلفوا في تأويله.

وبعضهم ذهب إلى أنه كناية عن العدل، وقد احتجوا بقوله تعالى: ﴿**وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَـقُّ...**﴾الخ [الأعـراف:8]، وبمـا قـد قدمنا من امتناع وزن الأعراض، وبما سنبينه.

أما فتح باب الإرجاء؛ فلأنَّ الذي يعمـل المعاصـي يبقى لـه رجـاء بـأن طاعاتـه تزيـد على معاصـيه، ولا تضـره المعاصي إذاً.

ولأنـه يكـون إغـراء بهـا أيضـاً؛ لأنَّه يحـاول أن يكـون لـه طاعات كثيرة، تزيد على عدد المعاصي، ويتجرأ على فعـل المحرمات، ويضيف معها أعمالاً صالحة أكثر منها.

هـذا إن فرضـت الموازنـة بين الصـغائر، والكبـائر، والحسنات بالعدد.

لأن الذي يدعوه هواه إلى فعل الكبائر، وملازمتها يمكنـه أن يضم معها كثيراً من الطاعات مثلهـا أو مثليهـا، أو أقـل؛ لأنَّ السيئة بمثلها، والحسـنة بعشـر أمثالهـا، ويكـون طيلـة

عمره متجرئًا على الكبائر، وهذا إغراء بالفواحش والكبائر، وهو قبيح.

ومعنى الموازنة هنا بالعدد، أنه إذا كان لك مائة حسـنة عادلت ألف سيئة، فإذا زادت إحداهما غلبت الأخرى.

وأما إن فرضـت الموازنـة بين الصـغائر والحسـنات فلا يخلو إما أن لا يكون قد اجتنبت الكبائر فالموازنة لا تفيـد؛ لأن الحسنات إذا رجحت وثَمَّ كبـائر لم يسـتفد منهـا؛ لأنَّ الكبائر توجب له النار، وقد أبطلنا الموازنة بين الحسنات والكبائر.

وإن كانت الموازنة بين الصغائر والحسنات وقــد اجتنبت الكبائر لم يكن للموازنة معـنى؛ لأنَّ الصـغائر مَلْغِيَّةٌ مُكَفَّرةٌ مع اجتناب الكبائر، لقوله تعـالى: (**إِنْ تَجْتَنِبُـواْ كَبَـآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ**) **[النساء:31]**.

فـإن قـالوا: الموازنـة بين الصـغائر والحسـنات لنقص الدرجات وزيادتها التي قد تسبب لها الصغائر.

قيل له: موضوع الموازنة في القرآن خلاف ذلــك؛ لأنَّه يقــول: (**وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُـهُ8 فَأُمُّهُ هَاوِيَـةٌ9**) **[القارعــة]**، وقولــه: (**فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُــهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُـــــونَ102 وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُـــــهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَـهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِـدُونَ103**) **[المؤمنون]**.

فحكم بدخول النار على من خفت موازينه، وهذا ينـاقض قوله: (**إِنْ تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ...**) الخ **[النســاء:31**

، ويثبت أن الموازنة ليست في زيادة الدرجات ونقصـانها، بل في دخول النار لمن خفت موازينـه، والنجـاة منهـا لمن ثقلت.

فإن قيل: فيلزمكم في التوبة.

قيل له: لا يلزمنا ذلك؛ لأنَّ التوبة هي النـدم، والعـزم على أن لا يعـود أبـداً، فهي عبـارة عن دعـوة إلى تـرك المعاصي طيلـة عمـر التـائب، وإن لم يعـزم على الإقلاع عن المعاصي فليست التوبة بصحيحة.

وأما الموازنة فهي دعاء إلى فعل الكبائر مدة عمره.

هذا، وأما مخالفتها للنصوص؛ فلأنَّ النصـوص الـتي قـد أسلفناها تدل على استحقاق صاحب الكبـيرة الخلـود في النار إن لم يتب، وأن الأعمـال بخواتمهـا، ويـدل عليـه أن إبليس -لعنـه اللـه- قـد كـان عبـد اللـه سـتة آلاف سـنة فأحبطها الله بمعصية واحدة، وأن الكـافر إذا أسـلم، ولـو كان كافراً مائة سنة أن الشهادة تمحو كل مـا قـد أجـرم، ويـدل عليـه قولـه ÷: **((سـلوا الله السـداد، فـإن الرجل قد يعمل الدهر الطويـل على الجـادة من جواد الجنة فبينـا هـو كـذلك دؤوبـاً إذ انـبرت لـه الجـادة من جـواد النـار فيعمـل عليهـا، ويتوجـه إليها، فلا يزال دؤوبـاً دؤوبـاً حـتى يختم لـه بهـا فيكـون من أهلها...))**، إلخ[1]، وقوله ÷: **((لـو أنَّ عبدًا قـام ليلَـهُ، وصـام نهـارَهُ، وأنفقَ مالَـهُ في**

---

[1](?) ـ أمالي الإمام أبي طالب # (181).

سـبيل الله عَلْقًـا علقًـا، وعَبَـدَ اللَّهَ بين الرُّكْنِ والمقام، ثم يكون آخر ذلك أن يُـذْبَحَ بين الـركن والمقام مظلومًـا لَمَـا صَـعَدَ إلى اللـه من عملـه وزنُ ذرةٍ حـــتى يُظْهـــرَ المحبةَ لأوليـــاء الله، والعداوةَ لأعداء الله))[1]**.**

وقولــه تعــالى:)**إِنَّمَـا يَتَقَبَّلُ اللّـهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**(**[المائـدة:27]**، فـدل الحـديث والآيـة أن الطاعـة لا تقبـل مـع المعصية، فكيف تكون الموازنة بينها وبين المعصـية وهي غير مقبولة؟!

وقوله: **((لا صلاة إلا بزكاة))**[2] وهذه الأدلة الأخـيرة تبطل أقوال من جعلها حقيقة مع ما قدمنا.

فلم يبق إلا أن نؤوله بالعدل؛ لأنَّ الوزن في الدنيا غاية العدل، فكنى الله تعـالى عن عدلـه بـذلك، ويؤيـده قولـه تعـالى:)**وَالْـوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَـقُّ**(فـالحق هـو الـوزن، والوزن هو الحق.

ولا يمكن أن يكون وزنا آخر لا يعرفه العباد؛ لأنَّ القصد بالوزن إظهار العدالة، ولا تظهر إلا بشـيء يعرفـه العبـاد، حتى يعرفوا أن الله لم يظلم أهـل النـار، وأنـه لم يـدخل الجنة إلا من يسـتحقها، ولا يكـون ذلـك إلا بشـيء واضـح بَيِّنٍ يعرفه الناس، هذا وقد مر إبطال الإرجاء بما لا مزيـد

---

[1] (?)_ البساط للإمام الناصر الأطروش # (21).

[2] (?) - رواه الإمام أبو طالب (ع) في الأمالي (360) رواه ابن أبي شـيبة في مصنفه (3/7) وعبد الرزاق في مصنفه (6/109) رقم (7149).

عليه، وبما لا يبقى معه أدنى شك أو شبهة، فلا نحتاج إلى إعادة.

[الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

49-والأمر بالواجب المعلوم مذهبنا … والنهي عما نهانا الله نعتمد

50-وفي وجوبهما القرآن حجتنا … إليه والمصطفى والآل نستند

في هذين البيتين وجوب الأمـر بـالمعروف، والنهي عن المنكر.

أمـا الأدلـة على وجوبـه من الكتـاب فقولـه تعـالى: **)وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَـدْعُونَ إِلَى الْخَيْـرِ وَيَـأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنكَـرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُـونَ(** [آل عمـران:104]، **)كُنتُمْ خَيْـرَ أُمَّةٍ أُخْـرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنكَـرِ(** [آل عمران:110].

وقولــه تعــالى: **)لُعِنَ الَّذِينَ كَفَــرُواْ مِن بَنِي إِسْـرَائِيلَ عَلَى لِسَـانِ دَاوُودَ وَعِيسَـى ابْنِ مَـرْيَمَ ذَلِـكَ بِمَا عَصَـوا وَّكَـانُواْ يَعْتَـدُونَ78 كَـانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ 79(** [المائدة].

وقولـه تعـالى: **)وَإِذَ قَـالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُـونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُواْ مَعْذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ164 فَلَمَّا نَسُـواْ مَا ذُكِّرُواْ بِـــهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَــوْنَ عَنِ السُّــوءِ**

وَأَخَــذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُــواْ بِعَــذَابٍ بِيسٍ بِمَا كَــانُواْ يَفْسُقُونَ165 **[الأعراف].**

فقسّمهم ثلاثة أقسام:

1- فرقة التي اعتدت في السبت.

2- وفرقة وعظتهم.

3- وفرقة لم تنه عن المنكر.

فــأنجى اللــه النــاهين، وأخــذ الــذين ظلمــوا، فكــأن الساكتين معهم؛ لأنَّه لم يذكر أنه أنجى إلا الناهين.

وفي هـذا دلالـة على أن النهي باللسـان يكفي؛ لأنَّه لم يذكر إلا أنهم وعظوهم، ولعلهم لم يتمكنوا فيكـون مؤيـدًا للآيـــة الـــتي ســـتأتي وهي:)**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ...** الآية**[الحج:41].**

وأمـا السـنة فقـول النـبي ÷: ((لتـأمرنَّ بـالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليسلطن عليكم شـراركم فيـدعو خياركم فلا يستجاب لهم))[1] أو كما قال.

---

[1] - أمالي الإمام أحمد بن عيسى - (ج 2 / ص 333) أمـالي المرشـد بالله الشجرية - (ج 1 / ص 54) المختار من صحيح الأحاديث والآثار - (ج 1 / ص 943) المختار من صـحيح الأحـاديث والآثـار - (ج1/ ص 944) المنهج المنـير تمـام الـروض النضـير - (ج 4 / ص 172) النـور الأسـنى الجـامع لأحاديث الشـفاء - (ج 1 / ص 747) تيسـير المطـالب - (ج 1 / ص 299) درر الأحاديث النبوية بالأسانيد اليحيوية - (ج 1 / ص 93) لوامع الأنـوار - (ج 1 / ص 329) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد . محقق - (ج7/ص206) مجمـع الزوائد ومنبع الفوائد - (ج 3 / ص 306) مجمع الزوائـد - (ج 7 / ص 266) إحيـاء علـوم الـدين ومعـه تخـريج الحافـظ العـراقي - (ج 3 / ص 313)

وقوله ÷: ((لا يحل لعين ترى الله يعصى فتطرف حتى تغير أو تنتقل))[2].

وأما الإجماع فالذي يظهر أنه إجماع الأمة, وإجماع أهل البيت %، فلم نعرف أحداً من أهل البيت أسقطه بل وكل كتبهم توجبه.

[شروط وكيفية الأمر بالمعروف]

ويشترط أن لا يؤدي إلى مفسدةٍ في الدين أعظم سواءً في الأمر والنهي؛ لأنَّ القصد إقامة معروف, أو إزالة منكر. فإذا كان أحدهما سبباً في حصول خراب في الدين أعظم كان الإنكار منكراً في الأمر والنهي.

أما الأمر بالمعروف فإنما المراد أن يبين لتاركه أنه واجب، وبحسب مراتب المأمور في الفهم، والغباوة، فبعضهم قد يحتاج إلى ذكر الدليل.

ووجه دلالته: ورواته إن كان من السنة, وبعضهم قد يكتفي بقولك واجب، وبعضهم بقال الله، أو قال النبي ÷.

فإن كان في المسألة خلاف قوي فقد لا يجوز لاسيما إذا كان المأمور يستأذي, أو ينقص في عرضه.

الاستذكار - (ج 8 / ص 585).

[2](?) - مفتاح السعادة/السيد العلامة علي محمدالعجري - (ج 1 / ص 1279) كتاب البيان والتبيين - (ج 1 / ص 59) النور الأسنى الجامع لأحاديث الشفاء - (ج 1 / ص 411) التحف شرح الزلف - (ج1/ ص 435) مجمع الفوائد - (ج 1 / ص 362).

ولا يصح فرض العقوبة إلا للوالي كولاة الأمر، والأب لأطفاله كالتأديب، ونحوه.

أما الواجب المعلوم فلا إشكال في وجوب الأمر به.

وإن كان مظنوناً، ودليله قوي فالذي يظهر وجوبه.

نعم بعد النصح والتبيين إن لم يُجْدِ شيئاً فلا تجوز موالاته هذه في الأمر بالواجب؛ لأنَّه لا يستطيع أحد أن يجبر أحداً على فعل الواجب إلا ظاهراً، مثل ولي أمر المسلمين، والأب لأولاده الأطفال، والمولى لعبده، فيقدرون بالضرب، ونحوه على نحو الصلاة، لكن ظاهراً؛ لأنَّ الصلاة لا تصح إلا إذا كانت خالصة لله, وهذا عمل قلبي, لا يستطيع أحدٌ الإجبار عليه إلا رب العزة.

[شروط وكيفية النهي عن المنكر]

وأما النهي عن المنكر فهو المنع من فعل؛ فيستطاع بكسر نحو المزمار, وإراقة الخمر، ونحو ذلك، ولكن مع التمكن كما قال الله سبحانه: ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ **[الحج:41]**، والذين يتمكنون منه تمكنا عظيماً ولاةُ الأمر، وكذا أهل البلد إذا تعاونوا على تطهير بلدهم من الفساد.

أما بالمواعظ والتبيين، فقد يتمكن منه الضعيف والقوي.

ويشترط فيه أن لا يؤدي إلى منكر أعظم, أو إلى زيادة منكر؛ لأنَّه يكون معيناً على المنكر، ومسبباً.

وقـد بقي النـبي ÷ في مكـة نحـو ثلاث عشـرة سـنة يدعو بلسانه، ثم صـار أصـحابه يعـذبون, ولم يـدفع عنهم لما كان في ضعف، وقلة.

ولكن يجب الابتعاد عن محلات المنكر حسب الإمكان، إن لم يكن في بقائـه تقليـل المنكـر, ولم يكن خائفـاً إن ابتعـد؛ فقـد رخص للشـابة في السـفر بـدون محـرم مـع الخــوف، وقــد رخص للمهــاجرين إلى أرض الحبشــة -وأهلها نصارى- في الهجرة، بل أمروا بها.

وقــد رخَّص اللــه بـالنطق بكلمـة الكفـر مـع الخــوف، والإكراه، قـال تعـالى: ﴿**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُـهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**﴾ [النحـل:106]، ورخص بالتقيـة مـع الخــوف، قـال تعالى: ﴿**إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً**﴾ [آل عمران:28].

وأمــا وجــوب الابتعــاد عن المنكــر إن لم يتمكن من إزالته فلقوله تعـالى: ﴿**وَقَدْ نَـزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَـابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَـرُ بِهَا وَيُسْـتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّــــهَ جَــــامِعُ الْمُنَــــافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعـاً**﴾ [النسـاء:140]، وللحـديث المتقدم: ((لا يَحِلّ لعين ترى اللـه يعصـى فتَطْـرِف حـتى تغير أو تنتقل)).

فهــذه الآيــة والحــديث المتقــدّم يــدلان على وجــوب الابتعاد، والهجرة.

[بحث في الزمان والمكان]

هذا، والزمان والمكان ظرفا الكائنات؛ لإحاطتهما بهما، واشتمالهما عليهما.

وإحاطة الزمان بالكائنات معنوي، لا يبعد أن يكون أمراً اعتبارياً، كنسبة الملكية إلى المالك، والبنوة إلى الابن، والأبوة، والأخوة، والزوجية؛ لأنَّه عبارة عن مقدار الوجود، والحياة، والملكية، والزوجية، والبقاء، والعدم أيضاً ابتداءً، وانتهاءً كالعدد، والذرع، والوزن سواء سوى.

وطلوع الشمس، وغروبها، ونقصان الأهلة، وزيادتها لمعرفة ذلك المقدار، ولا يبعد أن يكون نفس الطلوع والغروب، ونقصان الأهلة، وزيادتها، فيكون عرضاً، وقد قيل: إنه حركة الأفلاك، والمعنيان متقاربان، كما أن الوزن وضع الوزنة في الكفة، والموزون في الكفة الأخرى، والذرع مد الحبل.

وأما المكان فهو الهواء، واشتماله على الأجسام حسي، وهو جسم لطيف، وفي إطلاق الظرفية على بعض الأجسام الكثيفة تسامح، إذا لم تكن محيطة بجميع الجهات الست.

ومحل الهواء الفراغ، ولا يحتاج الفراغ إلى فراغ، للزوم التسلسل، ولأنه شبه العدم، ولا يحتاج العدم إلى محل، والإخلال بمعرفتهما لا يضر، فلسنا مكلفين بمعرفة ذلك.

[بحث في اتفاق أسلافنا وأئمتنا الزيدية في أصول الدين]

هذا، واعلم أن أئمتنا، وأسلافنا الزيديـة سـلام اللـه عليهم متفقون في أصول الدين، في العـدل، والتوحيـد، والإمامـة، ووجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، متى تكـاملت شروطهما، والمنـزلة بين المنـزلتين، والوعد والوعيد لفظـاً، ومعنى.

وقد يختلفون في تفاصيل لا يضر الاختلاف فيها، بل قد لا يعد اختلافاً، كما في مثل مسـألة سـميع، بصـير، فـإنهم متفقون على أنها ليست بحقيقة، وإنما اختلفـوا في وجـه التجـوز، فـالاختلاف إذاً في أمـر لغـوي، لا أصـولي، ولا فرعي.

فبعضهم قال: إنها بمعنى حي لا آفة به، وبعضهم قـال: إنهـا بمعـنى علمـه بالمسـموعات والمبصـرات، مـع أنهم متفقون أيضاً على أن الله حي لا آفة به، وعلى أنه عـالم بالمسموعات والمبصرات.

وكذا الإرادة، فـإنهم متفقـون على أنهـا ليسـت حقيقـة في حقه تعالى.

فمنهم من قال: إنها فعله، ومنهم من قال: إنهـا علمـه باشتمال الفعل على المصلحة، وهم متفقـون على علمـه باشتمال الفعل على المصلحة، وعلى أنـه لا يفعـل إلا مـا علم أن فيه مصلحة.

فكأن القائلين هي فعله قولهم مثـلُ قـول الأولين؛ لأنَّه

لا يفعل إلا ما فيه المصلحة، وهذا هو الإرادة عنـدهم، بـل إنمـــا أرادوا نفي الإرادة الحقيقيـــة؛ لأنهم قـــالوا: ليس إلا الفعل، والأولون ينفونهـا، لمـا يلـزم من التجسـيم لـو أثبتـوا إرادة حقيقية حالّـة فيـه، فـالخلاف إذاً مثـل الأول، في أمـر لغوي.

وكـذا قـول بعضـهم: إن ذوات العـالم ثابتـة في الأزل، وهـذا إنمـا هـو خلاف في مجـرد الاصـطلاح؛ لأنَّ الـذات عندهم هي ما يصح أن تُعلم، ويخبر عنها.

والذين ينفون ذلـك يقولـون: إن ذوات العـالم معلومـة في الأزل.

وكل الفريقين يقولون: إنهـا غـير موجـودة لا في الأزل ولا في القـــدم، إلا أن الأولين يقولـــون: ثابتـــة في الأزل، والمقصد ثبوت الذاتية للذات قبل وجودهـا بمعـنى الحكم لها بالذات، والفريق الثاني لا يثبتون الـذات إلا للموجـود، فالخلاف إذاً في مجرد الاصـطلاح؛ لأنهم قـد اتفقـوا على أنهـا معدومـة في الأزل، وأنهـا معلومـة في الأزل، وهـو معنى الثبوت.

وكذا إثبات بعضهم الصفة الأخص لله، وأنها اقتضت لـه الصفات الأربع، القادرية، والعالمية، والحيية، والوجودية.

وذلك أن الـذوات لمـا اشـتركت في التسـمية بالذاتيـة ذات الجسم، وذات العرض، والجوهر -عنـد من قـال بـه- وذات الباري جلّ وعلا، فلا بد من اختصاص كـل ذات بمـا تتميز به عن سائر الـذوات، كاختصـاص الجسـم بـالتحيز،

والعرض بعدم استقلاله بنفسه، وأنه لا بد له من شبح يحل فيه، وذات الباري تعالى بكونه واجب الوجود، مع أن الذين لا يقولون بالصفة الأخص يثبتون له هذه الصفة، وأنه مختص بها، فقد وافقوا الأولين في المعنى.

هذا، وإن كانت صفات الله الذاتية كلها صفة أخص، إلا أن الأولى واضحة، وفي الباقيات غموض.

وأما أنها اقتضت له الصفات الأربع فمعناه أن بينها وبين الصفات الأربع تلازماً، وهو معنى الاقتضاء، وقد يشكل عليهم اقتضاؤها في الصفة الوجودية؛ لأنها الصفة الأخص كما قدمنا، فكأنها صفةٌ خامسةٌ عندهم، وليس لهم عليها دليل، والذين ينفون الصفة الأخص يثبتون اقتضاء هذه الصفة للصفات الأخرى في المعنى، وكذا قول بعضهم: إن صفات الله أمور زائدة على ذاته.

والبعض الآخر يقولون: صفاته ذاته، فالكل مجمعون على أن ليس لله آلة يعلم بها، أو يقدر بها، أو يصير بها حياً، أو غير ذلك من الأعراض،؛ لأنَّ الأعراض لا تحل إلا في جسم، فيلزم التشبيه.

وإنما أراد الذين قالوا: صفات الله أمور زائدة على ذاته ثبوت القدرة، وثبوت العلم، والحياة، ونحوها، فالثبوت عندهم هو الصفة.

والذين يقولون: صفات الله ذاته لا ينكرون ثبوت قدرة الله، وعلمه، وكذا سائرها، إلا أنهم لا يسمون الثبوت صفة، والصفة عندهم هي العرض، والعرض ممتنع على

الله، والأولون لا يثبتونه كما مـرّ، فـالخلاف إذاً في مجـرد الاصطلاح والتسمية كما أوضحنا.

وأمــا قــولهم: لا شــيء ولا لا شــيء، فإنمــا أرادوا أن الشــيء هــو الــذات، والثبــوت ليس بــذات، لأن الــذات الجسم والعرض، وذات الباري، والجوهر -عنـد من أثبتـه- فلا يقال فيـه شـيء، وليس بعـدم حـتى يقـال: لا شـيء، فليس فيه تناقض كما لا يخفى.

هذا وأما قـولهم هم والمعتزلـة: إن ذوات العـالم ثابتـة في الأزل ثابتـة غـير موجـودة، وفي الأزل، لا في القـدم، فإنما يريدون ثبوت الذاتية للذات.

فالجسم مثلاً ذات يتعلق به نوعـان: الحكم في نفس الأمـر بذاتيته، والوجود.

فــالحكم في نفس الأمــر، والواقــع بذاتيتــه ثــابت في الأزل، لا في الوجـود فإنمـا يتعلـق بـه مـتى وجـد، والأزل يشـمل الماضـي، والحاضـر، والمسـتقبل، وهـو الـدوام، بخلاف القدم، فهو وقت مخصوص له أول، وآخــر، ويعــبر به عن الذي لا أول له في اصطلاح المتكلمين.

وإنما ألجأهم إلى ذلك أن الفلاسـفة قـالوا: لا يصـح أن تتعلق القدرة، والعلم بالمعدوم، وإنما يتعلقان بـالموجود، فيلزم أن تكون أصول العـالم، أو العـالم قديمـة، لتتعلـق القدرة، والعلم بهما، كالمماثلة، والمخالفة، فإن المماثلـة لا تكون إلا بين شيئين، وكذا المخالفة.

والقدرة والعلم كذلك، لا يكونان إلا بين قـادر ومقـدور،

وعــالم ومعلــوم، وأن تعلــق القــدرة بالمعــدوم محــال، فأجابوا بأن ذوات العالم ثابتة في الأزل، ثابتة دائمــاً، فلم تتعلق القدرة، والعلم بالمعدوم، أو بالعـدم، بـل بـالثبوت، أو بالثابت، فلا يلزم أن يكون العـالم، أو أصـوله موجـودة في الأزل، هذا أقرب ما يحمل كلامهم عليـه، ومـا يفهمـه من تطلّع على مناقشتهم مع الفلاسفة.

ويمكن أن يجاب على الجميع بـأن القـدرة لا تتعلـق إلا بالمعدوم، لا بالثابت، ولا بالموجود.

أمــا على كلام أصــحابنا فــإن القــدرة تعلقت بإيجــاد الذوات، والإيجاد معدوم، لا بثبوت الذاتية لها على فــرض تسليم قولهم.

وأما على الفلاسفة: فإن القدرة تعلقت بتكثير الذوات، أو بتغيير حالها من حال إلى حال، كتغيير الجماد إلى الحيوانية، والتغيير والتكثير معدومان.

وكذا قدرتنا تعلّقت بقيامنا، وقعودنــا، وهمــا معــدومان؛ لأنَّ القدرة لم تؤثر في غير ما ذكرنا.

بل المحــال تعلــق القــدرة بــالموجود، لأنَّه من تحصــيل الحاصل، وتحصيل الحاصل محال.

وأما العلم فمتعلق بالموجود والمعـدوم، أمـا على كلام أصحابنا فإنه يتعلق بالذوات الحاضرة، وبإيجـاد مـا أخبرنـا به القرآن أنه سيحصـل، وأمـا على كلام الفلاسـفة؛ فلأنـا نعلم بما قـد مضـى من أفعالنـا في المـدة القريبـة، وقـد عدمت، وبما هو حاضر من الأشياء الموجودة، فقد تعلــق

العلم بالموجود، والمعدوم.

وأعظم الخلاف في الإرادة عند من أثبتها حقيقة، وأن الله يخلقها مع خلق المراد، وأنها لا في محل، وأنها غير مرادة في نفسها.

وهو قابل للتأويل أيضاً؛ لأنَّه لا يلزم منه التشبيه؛ لأنهم لا يقولون إنها حالَّةٌ في الله، وأعظم ما يلزمهم القول بالمحال، وهو عرض لا في محل.

وأما إيجاد الإرادة لا بإرادة فإنما المراد إيجادها بغير إرادة حقيقية، وأما أن الله أوجدها وهو عالم بأن الحكمة والمصلحة في إيجادها، فلا ينفون ذلك، فلا يلزمهم العبث،؛ لأنَّ العلم بأن الحكمة في خلقها ينفي العبث، وإلا لزمنا مثلهم في كل مخلوقاته تعالى: لأنا ننفي الإرادة الحقيقية، وإنما نقول: إنه خلق كل المخلوقات وهو عالم بأن الحكمة في خلقها.

هذا، وقد يجاب على الذين يقولون بأن لله إرادةً يخلقها عرض لا في محل، يخلقها عند خلق المراد بجوابين: **الأول:** أن ليس لهم دليل على ما يدَّعونه، وكل دعوى بلا دليل فهي عاطلة باطلة.

والجواب الثاني: أنه إذا أمكن إيجاد إرادات على عدد المخلوقات بدون إرادة، فكذا يجوز ويمكن خلق المخلوقات كلها بغير إرادة، والفرق تَحَكُّم.

وكذا من جوز اللوح، والكرسي، والعرش، والصراط حقيقة، فإنهم لا يقولون: إن الله على العرش، ولا على

الكرسي، ولا أنه محتاج إلى اللوح، ولا أن في الصراط مشقة على المؤمنين، وإنما يجوزون أن يخلقها الله لحكمة يعلمها، ولا يلزم أن نعلم وجه الحكمة في كل فرد من مخلوقاته تعالى، وإنما يلزمنا أن نعلم أن الله لا يخلق إلا ما فيه الحكمة والمصلحة، وأن ننفي عنه الحاجة والعبث، فإذا جهلنا وجه الحكمة في بعض المخلوقات أرجعناه إلى هذه القاعدة الكلية، ألا ترى أن المساجد تسمى بيوت الله، ولا يلزم أن يكون حالاً فيها، ولم يلزم التشبيه من وضع المساجد، فالكل مجمعون على نفي التشبيه، ونفي الحاجة، والعبث، ولا بين ما جوزوه وبين أي هذه الثلاثة أي تلازم، أي لا يلزم التشبيه، ولا الحاجة، ولا العبث، مع أنهم إنما جوزوا ولم يثبتوا، وكلما ذُكر الصراط في القرآن فهو مجاز عندهم، وكذا العرش إذا ذُكر معه الاستواء.

هذا وقد يُشْكِل على بعض الطلبة مسألتان:

أحدهما: قول بعض أصحابنا أن مقدور بين قادرين محال.

الثانية: قول بعضهم أن العقل العلوم العشرة.

أما الأولى: فليس المراد أنه لا يمكن اشتراك اثنين أو أكثر في حمل شيء، أو وضعه، أو تحويله من مكان إلى مكان، أو نحو ذلك، بل المراد أنه لا يمكن أن يكون الفعل كله لزيد، ويكون كله لعمر؛ لأنه إذا كان لزيد فليس لعمر، والعكس، وهذا جواب على من قال: إن

أفعال العبيد من الله، فاحتج عليهم أصحابنا بأدلة منها:

أن الله نسب أفعال العبيد إليهم في عدة مواضع من القرآن، فأجابوا علينا بأنها من الله ومنا، فأجاب عليهم بعض أصحابنا بأن مقدوراً بين قادرين محال أي على ما شرحنا سابقاً، وأنه لو أمكن أن تتعلق قدرتهما به وجوداً لأمكن أن تتعلقا به وجوداً وعدما، بأن يريد أحدهما وجوده، ويريد الآخر أن لا يوجد، فيكون موجوداً معدوماً في حالة واحدة، وهذا محال واضح.

الثانية: قول بعضهم: إن العقل مجموع العلوم العشرة، وليس المراد أنها هي نفس العقل، بل المراد أنها علامة له، فمن كملت فيه فقد كمل عقله، لكن يرد عليهم أنه لا يحتاج إلى هذا التعداد؛ لأنهم يقولون: لا يعرف الثاني إلا من عرف الأول، ولا يعرف الثالث إلا من عرف الأولين، وهكذا إلى العاشر، فكان يكفيهم أن يذكروا العاشر فقط، ولا يحتاج إلى التسعة، ولعلهم يريدون تبيين مقدار التمييز، والله أعلم. وقد أوضحنا هذه الإشكالات التي قد تشتبه على بعض الطلبة، ويضطربون فيها، وربما يتوهم بعضهم أن ثمة خلافاً في الأصول وليس كذلك، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

[بحث على احتجاجه على وجوب النظر في كتاب ينابيع النصيحة]

حاشية على وجوب النظر في كتاب ينابيع النصيحة صفحة (23):

على احتجاجه على وجوب النظر بأن العلم بالثواب والعقاب واجب، ثم احتج على وجوبه بكونه لطفاً، واللطف هو: ما يكون العبد معه أقرب إلى القيام بما كُلِّفَ به. الحمد لله:

قوله: يقال المقرب من الواجب لا يجب، وإنما الواجب الذي لا يتم الواجب إلا به فيجب كوجوبه، ولعل المؤلف أراد أنه إذا أتانا رجل وقال: أنا رسول من الذي خلقكم ورزقكم وخلق الكون كله بشير لمن استجاب لما أرسلني به بالخير الدائم الذي لا يساوى، ولا يماثل، ونذير لمن أعرض عن دعوتي بالشر الذي لا يماثل ولا يساوى، فإنه يجب النظر في دعوته لدفع الضرر إن كان صادقاً؛ لأنَّ دفع الضرر واجب عقلاً، ولا يتم إلا بالنظر، أو الاستجابة له من دون نظر، وهي قبيحة؛ لأنَّه يحتمل أن يكون كاذباً، وتصديق الكاذب قبيح، ولا يتم معرفة الكاذب من الصادق إلا بالنظر.

هذا أحسن ما يمكن من توجيه كلامه، وهو مما لا يتم الواجب إلا به، وهو دليل قوي سيما إذا كان الرسول من بيت الشرف والمجد، موصوفاً بصفات الكمال من الصدق، والأمانة، ورجاحة العقل، ونحوها، لكنه عبر عنه باللطف،

وأن اللطف هو: المقرب وهو ليس بواجب، ثم شـرحه من بعد بما يفيد نحو هذا، فحصل الالتبـاس على بعض الطلبـة، فأردنا توضيحه.

خاتمة

51-يا رب! إنِّي أراني **فاجعل رحيلي إلى**

52-في ظل عرشك **مسجلاً في سجلاتِ**

53-في زمرة **في يوم لا والدٌ يُجْدي**

54-صلَّى الإلهُ على **والحمد لله حمداً ما له**

وهذا آخر ما تيسّر زبره، وبهذا القدر نكتفي.

ونسأل الله أن ينفع بـه إخواننـا المؤمـنين، وأن يجعلـه عملا خالصاً لوجهه الكريم، مذخوراً ليوم الدين.

ونرجـو من إخوانـنا المؤمـنين أن لا يتركونـا من صـالح الدعاء.

ولا حـول ولا قـوة إلا باللـه العلي العظيم، وصـلى اللـه وسـلم على سـيدنا محمـد وعلى آلـه الطـاهرين، وسـلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

وحرر شهر ربيع الآخر سنة 1430للهجرة.

فهرس المواضيع